العرب
alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2017/08/13 الموافق لـ 20 ذوالقعدة 1438
السنة 40 العدد 10721
Sunday 13/08/2017
40th Year, Issue 10721

الكتابة في مواجهة الموت

خمس كاتبات من العراق وخمس قصص

بثينة الناصري - إنعام كجه جي - نهى الصراف - رغد السهيل - ميسون هادي

أبوبكر العيادي: محنة المركز الديمقراطي
أديب كمال الدين: الطمأنينة تصرف الشاعر عن الشعر
ياسين عدنان: درس برلين
أمير العمري: ساحر الأكاذيب

الثقافي
11 إلى 16

وجوه

عبدالعزيز المفلحي
شيخ قبلي يرى الوحدة اليمنية لقاء بين نظامين قمعيين لا أكثر ص7
كارلا ديل بونتي
المحققة التي تطلب المافيا الدولية رأسها ص8
ياسين الزغبي
حمل هموم بسطاء المصريين للرئيس وأحرج السياسيين ص9
بيت رامبرانت
لا يزال هناك من ينتظر عودة الرسام الذي غادر فجرا ص10

البارزاني يشترط ضمانات أميركية قبل تأجيل الاستفتاء

● واشنطن تسعى إلى منع الصدام بين بغداد وأربيل، والأكراد يبحثون عن مكاسب جديدة

المناورة السياسية لتدعيم قبضة البيشمركة على الأرض

❑ أربيل (العراق) – توحي التصريحات التي يطلقها المسؤولون في إقليم كردستان العراق بأن التلويح بالاستفتاء ورقة ضغط الهدف منها تحقيق مكاسب كردية جديدة، أو على الأقل الحصول على ضمانات عراقية وأميركية بتأجيل الاستفتاء وليس بإلغائه تماما، ما يجعل تلك الضمانات بمثابة الالتزام السياسي والأخلاقي.

وأعلنت رئاسة كردستان العراق أن رئيس الإقليم مسعود البارزاني طلب خلال اتصال هاتفي مع وزير الخارجية الأميركي ريكس تيلرسون "ضمانات" و"بدائل" لتلبية رغبة واشنطن في تأجيل الاستفتاء على الاستقلال مؤكدا أن "شعب كردستان سيمضي في طريقه ويقرر مصيره".

وأفاد بيان لرئاسة كردستان على موقعها الإلكتروني أن تيلرسون اتصل هاتفيا بمسعود البارزاني معربا عن رغبة واشنطن في تأجيل الاستفتاء على استقلال الإقليم و"تأييدها استمرار المباحثات والمفاوضات بين الإقليم وبغداد".

وأكد البارزاني أن وفدا من الإقليم "سيزور بغداد قريبا للتباحث حول المسائل المتعلقة بمستقبل العلاقات".

وتساءل البارزاني حسب البيان "ما هي الضمانات التي من الممكن أن يتم تقديمها لشعب كردستان مقابل تأجيله للاستفتاء، وما هي البدائل التي ستحل محل تقرير المصير لشعب كردستان؟".

واعتبر مراقبون عراقيون أن البارزاني يعرف أن الولايات المتحدة تعارض إجراء الاستفتاء بسبب الوضع الإقليمي الذي يمكن أن يؤثر على مصالحها وعلى وجود قواتها، وأنها لا تعارضه مطلقا لإيمانها بأن التفتيت أفضل وسيلة للتحكم بدول المنطقة.

وأشار مراقب عراقي في تصريح لـ"العرب" إلى أن واشنطن تأخذ في اعتبارها عدم إغضاب تركيا وإيران في وقت تحتاج فيه القوات الأميركية إلى تركيز جهودها على جبهة داعش، وخاصة تثبيت وجودها على الحدود السورية العراقية وقطع الطريق أمام استراتيجية العبور الحرّ التي تريد إيران فرضها في منطقة الهلال الشيعي.

ولفت المراقب أن الدعم الصريح للاستفتاء سيدفع بتركيا إلى تصعيد الهجمات على الأكراد وخاصة أكراد سوريا باعتبارهم الورقة الرئيسية في الخطة الأميركية. كما أن إيران يمكن أن تطلق أيدي الحشد الشعبي لمواجهة الأراضي التي يسيطر عليها الأكراد ويريدون ضمها كأمر واقع مكافأة على دورهم في التصدي لداعش.

ورغم الخلاف مع الأتراك في ملف دعم أكراد سوريا وتسليحهم لقيادة المواجهة الميدانية مع داعش في الرقة، فإن المحللين لا يتوقعون أن تبادر واشنطن إلى إغضاب أنقرة والاصطدام معها في قضية الاستفتاء، وأنها ستعمل على إدارة هذه الخلافات بشكل يحفظ استمرار الحرب على الإرهاب ويؤجّل حسم الصراعات العرقية والطائفية إلى مرحلة لاحقة.

وعبّرت إيران مؤخّرا على لسان مرشدها الأعلى علي خامنئي عن رفضها تنظيم استفتاء على استقلال كردستان العراق، لكنّها عمليا توكل مهمّة عرقلة انفصال الإقليم إلى الأحزاب الشيعية الممسكة بزمام الحكم في العراق، وحتى لجهات كردية شريكة مع البارزاني في إدارة الإقليم.

ويقول محللون عراقيون إن ميليشيا الحشد الشعبي التي سبق أن احتكت مرارا بالبيشمركة الكردية، خاصة خلال معركة الموصل، على استعداد لخوض حرب من أجل منع استقلال الإقليم وخاصة نزوع قياداته إلى التوسع والسيطرة على أراض جديدة أغلبها مناطق نفطية مثل كركوك.

وهددت جماعات شيعية مسلحة مدعومة من إيران بطرد الأكراد بالقوة من تلك المنطقة وثلاث مناطق أخرى متنازع عليها وهي سنجار ومخمور وخانقين.

ويفسر المحللون التصريحات الكردية المتمسكة بالاستفتاء بأن هدفها تثبيته في أذهان الخصوم قبل الأصدقاء، وخاصة في ذهن الحكومة المركزية في بغداد، حتى إذا تم التراجع عن موعد الـ25 من سبتمبر فسيكون تراجعا تكتيكيا، وربما يتم تحديد موعد آخر قريب لتظل القضية حية في أذهان الجميع.

وقال هوشيار زيباري، وزير الخارجية والمالية السابق والوجه الكردي البارز، السبت إن أكراد العراق متمسكون بإجراء استفتاء الـ25 من سبتمبر كما هو مقرر وذلك على الرغم من الطلب الأميركي بتأجيله.

وتتخوف الولايات المتحدة ودول غربية أخرى من أن يشعل التصويت صراعا جديدا مع بغداد ويحوّل المنطقة لساحة اضطرابات إقليمية أخرى. وتعارض تركيا وإيران وسوريا، وجميعها تقطنها أعداد كبيرة من الأكراد، استقلال كردستان عن العراق.

وقال زيباري، وهو أيضا مستشار مسعود البارزاني تعليقا على طلب وزير الخارجية الأميركي إن "الموعد كما هو الـ25 من سبتمبر ولم يتغيّر".

وقالت وزارة الخارجية الأميركية في يونيو إنها تخشى أن يصرف الاستفتاء الانتباه عن "أولويات أخرى أكثر إلحاحا" مثل هزيمة متشدّدي تنظيم الدولة الإسلامية.

وانهارت الشهر الماضي عمليا دولة "الخلافة" التي أعلنها التنظيم عندما أتمت القوات العراقية المدعومة من الولايات المتحدة السيطرة على معقله الرئيسي بالموصل بعد حملة استمرت تسعة أشهر شاركت فيها قوات البيشمركة الكردية.

إلا أن التنظيم المتشدد ما يزال يسيطر على أراض غرب العراق وشرق سوريا. وتعهدت الولايات المتحدة بمواصلة دعمها للقوات الحليفة في الدولتين لحين هزيمة التنظيم تماما.

ويسعى الأكراد لدولة مستقلة منذ الحرب العالمية الأولى على الأقل عندما قسّمت القوى الاستعمارية الشرق الأوسط لكن انتهى المطاف بالمناطق التي يعيشون فيها إلى الانقسام بين تركيا وإيران والعراق وسوريا.

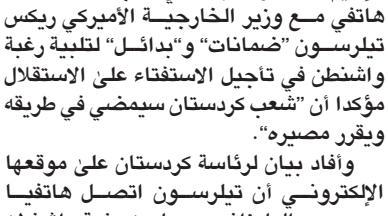

أن تعرف كيف تخسر...
خيرالله خيرالله
ص5

ولد الشيخ يبحث عن إنقاذ مهمته في إيران

❑ صنعاء – قالت مصادر دبلوماسية لـ"العرب" إن الغرض من الزيارة التي يؤديها المبعوث الأممي إسماعيل ولد الشيخ أحمد إلى إيران حث المسؤولين الإيرانيين على ممارسة ضغوط على الحوثيين للقبول بمبادرة الفرصة الأخيرة لولد الشيخ حول تحييد ميناء الحديدة وتسليم إدارته لطرف ثالث، بعد أن أخفقت مسقط في إقناع الجماعة بالتعاطي مع المبادرة بإيجابية.

واعتبر مراقبون أن تحركات المبعوث الأممي تأتي في إطار حرصه على التوصل إلى اتفاق جزئي حول ميناء الحديدة ومطار صنعاء وهو الأمر الذي وُوجه حتى الآن بتعنّت كبير من طرف الحوثيين الذين رفضوا التعامل مع الجهود الأممية.

وأبدى ولد الشيخ في تصريحات له الأسف من عدم تجاوب الحوثيين مع أيّ مبادرة للحل السياسي، وقال إنهم يريدون منه الانحياز إلى طرفهم، مشددا على أنه لن ينحاز لا إلى "جماعة الحوثي أو الحكومة الشرعية".

وبالتوازي مع إفشال الجهود السياسية، يعمل الحوثيون على توسيع تحالفاتهم الميدانية لإدامة الأزمة. وكشفت مصادر سياسية النقاب لـ"العرب" عن تنسيق إيراني قطري على الأرض لجمع عدد من الفرقاء وإنشاء تيار أوسع في مواجهة التحالف العربي على وجه الخصوص.

وأشارت المصادر إلى قيام الدوحة بدور كبير في التنسيق بين الحوثيين وجناح الحراك الجنوبي الموالي لإيران بقيادة حسن باعوم المقيم في الضاحية الجنوبية ببيروت والجناح الإخواني اليمني الذي تتواجد معظم قياداته في تركيا.

ووفقا لمصادر "العرب" تعمل الدوحة بالتنسيق مع طهران على الدفع باتجاه تكوين جبهة عريضة من الإخوان والحوثيين وجناح إيران في الجنوب.

ودعا القيادي الإخواني محمد الحزمي المتهم بالارتباط بجبهة النصرة في العراق وسوريا لتجاوز الخلافات والتصالح مع الحوثي، وهي الدعوة التي التقطها قياديون حوثيون بارزون من بينهم رئيس ما يسمّى اللجنة الثورية العليا محمد علي الحوثي.

ولفت محللون سياسيون إلى أن الضغوط القطرية على الإخوان بدأت تؤتي ثمارها من خلال تبني حزب الإصلاح لخطاب جديد قائم على الدعوة لإيقاف الحرب والمصالحة الوطنية وهو التحول الذي نشأ منذ إنهاء مشاركة قطر في التحالف العربي.

وعملت قطر بشكل متصاعد منذ بدء الأزمة بينها وبين دول الرباعية على تبنّي سياسة إعلامية ذات طابع تحريضي تستهدف قوات التحالف العربي في اليمن بشكل ملموس، كما طبّعت قناة "الجزيرة" القطرية علاقاتها مع الحوثيين في صنعاء من خلال تغطية فعاليات الانقلابيين واستضافة قادتهم عبر بث مباشر من صنعاء.

رحيل عبدالحسين عبدالرضا: صاحب «باي باي لندن» يودع الحياة من لندن

● أعمال الفنان الراحل ناقشت الأوضاع الاجتماعية والبدون وصعود الإسلام السياسي

❑ لندن – غيب الموت الجمعة في لندن الفنان الكويتي عبدالحسين عبدالرضا عن 78 عاما، بعد مسيرة فنية امتدت على خمسين سنة جعلته من أشهر الممثلين في الخليج.

وعرف عبدالحسين على نطاق واسع بمسرحية "باب باي لندن"، التي سبق أن قال إن لها فضلا في انتشاره، وهي مسرحية كوميدية تناقش أوضاع المغتربين.

والمسرحية من تأليف الكاتب المصري نبيل بدران وإخراج التونسي المنصف السويسي، وشارك في بطولتها غانم الصالح ومريم الغضبان وعلي المفيدي ومحمد جابر وداود حسين وهيفاء عادل وانتصار الشراح".

وبدا وكأن الفنان يرسم ملامح نهايته، فقد ودّع الحياة بعد أقل من شهرين من ظهوره الأخير على الشاشة الصغيرة في دور مريض بالقلب في حلقتين متتاليتين بالمسلسل الكوميدي "سيلفي".

واشتهر عبدالرضا المولود في 15 يوليو 1939 بأدواره التلفزيونية والمسرحية الساخرة في أعمال كانت كثيرا ما تنتقد السياسات في الدول العربية والعالم. كما ركز في مسيرته على قضايا الهجرة والبدون وصعود الإسلام السياسي في المنطقة.

ويعتبر من جيل الرواد في الفن الكويتي حيث وقف على المسرح للمرة الأولى في مسرحية "صقر قريش" عام 1961.

ومن أشهر أعماله في الدراما "درب الزلق" و"الأقدار" و"قاصد خير"، وقدم عددا كبيرا من الأعمال، وفي المسرح قدم 33 مسرحية منها بالإضافة إلى "باي باي لندن" نجد "بني صامت" و"عزوبي السالمية" و"على هامان يا فرعون".

وهو مؤسس قناة "فنون" عام 2006، وكان آخر ظهور له في مسلسل "سيلفي 3" عام 2017.

وتعرض عبدالحسين عبدالرضا لعدة أزمات صحية، إحداها كانت في عام 2003 عندما أصيب بأزمة قلبية أثناء تصويره لمسلسل "الحيالة" نقل على إثرها إلى المستشفى وتبين إصابته بانسداد في الشرايين، سافر بعدها إلى لندن لإجراء جراحة عاجلة وعاد بعد شفائه لإكمال تصوير المسلسل.

كما تعرّض لأزمة حادة في عام 2005 إثر إصابته بجلطة في الدماغ أدخل على إثرها العناية المركزة بمستشفى مبارك الكبير ونقل بعدها للعلاج في ألمانيا، وبعد الانتهاء من مسلسل "العافور" أجرى عمليتي قسطرة للقلب في لندن عام 2015.

وفي يوم 9 أغسطس 2017 تم نقله إلى المستشفى بعد تعرضه لوعكة شديدة في العاصمة البريطانية لندن، وقد دخل العناية المركزة حتى أعلن عن وفاته.

ونعى مستخدمون على مواقع التواصل الاجتماعي وفنانون وشخصيات عامة من مختلف دول الخليج والدول العربية الممثل الراحل واستعادوا أهم ملامح تجربته الثرية.

لكن وكالعادة خرج بعض الدعاة المتشددين على هذا الإجماع ولم ينسوا للرجل نقده للإسلام السياسي.

وأثارت تغريدة للداعية الإسلامي علي الربيعي جدلا واسعا بعد دعوته لعدم الدعاء للفنان الكويتي بزعم "إنه مات على ضلالة" و"إنه رافضي إيراني". الأمر الذي أثار جدلا واسعا وتعليقات تجاوز عددها 21 ألفا خلال ساعات فقط.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

السلطات التونسية تحبط مخططا إرهابيا كبيرا جنوب البلاد

عمليات التسليح واكتساب الخبرة القتالية رجحا كفة الأجهزة التونسية ضد التطرف

نجحت السلطات التونسية في إحباط مخطط إرهابي كبير كان يستهدف مقرات حيوية جنوب البلاد وهي آخر حلقة في سلسلة عمليات استباقية للأجهزة الأمنية والعسكرية التونسية التي حققت انتصارات متتالية ضد التنظيمات المتطرفة بفضل اكتسابها خبرة في الحرب ضد الإرهاب علاوة على عمليات التسلح المستمرة.

❑ **تونس** – استعادت السلطات الأمنية والعسكرية في تونس زمام المبادرة في حربها ضد الإرهاب من خلال ضربات استباقية نجحت من خلالها في إحباط العديد من المخططات الإرهابية التي كانت تستهدف مقرات حيوية بالبلاد.

وكشف القطب القضائي لمكافحة الإرهاب، وهو جهاز يتبع وزارة العدل في تونس، السبت عن إحباط "مخطط إرهابي كبير" كان يستهدف مقرات أمنية وعسكرية جنوب البلاد.

وأكّد الناطق الرسمي باسم القطب القضائي لمكافحة الإرهاب، سفيان السليطي لوكالة تونس أفريقيا للأنباء أنّ المخطط الذي تم الكشف عنه عبر عمل استخباراتي "كان يقوم على تجنيد عناصر إرهابية داخل تونس بالتنسيق مع عناصر أخرى متواجدة بليبيا والتحضير لشن ضربات ضد مقرات أمنية وعسكرية جنوب البلاد كتلك التي تم التحضير لها في مدينة بنقردان في مارس من العام الماضي قبل أن يتم إحباطها من قبل الأمن والجيش".

> التهديدات التي كانت تشكلها المجموعات المتشددة في تراجع على الرغم من أن البعض من عناصر هذه الجماعات مازالت ينشط بالجبال الغربية لتونس ويحاول من حين إلى آخر القيام بعمليات استعراضية لم تستثن المدنيين والهدف منها بحسب محللين إظهار أن للمتشددين القدرة على التحرك رغم الضربات التي تلقوها

وهاجمت عناصر من تنظيم داعش في 7 مارس 2016 مقر ثكنات عسكرية وأمنية في مدينة بنقردان على الحدود مع ليبيا واشتبكت مع قوات الأمن والجيش.

وأسفر الهجوم عن مقتل 55 مسلحاً و12 من القوات التونسية و7 مدنيين، بينما تم توقيف 52 مشتبهاً، وفقاً لمسؤولين تونسيين.

وذكر المسؤول أن مساعي الخلية الإرهابية كانت تعمل على استغلال الاضطرابات والاحتجاجات الاجتماعية التي شهدتها مناطق في الجنوب ومن بينها تطاوين وقبلي في وقت سابق من هذا العام.

وأفاد السليطي بأن النيابة العامة بالقطب القضائي لمكافحة الإرهاب باشرت تحقيقا ضد 22 متهما من بينهم 5 بحالة احتفاظ و2 بحالة سراح و15 بحالة فرار في ليبيا من "أجل جرائم إرهابية والتآمر ضد أمن الدولة الداخلي ومحاولة الاعتداء المقصود منه تبديل هيئة الدولة".

وقال السليطي إن هذه العملية "تعدّ من أكبر العمليات نجاحا على المستوى الاستخباراتي لجهة أن المخطط الإرهابي كان مدروسا ويعتمد على حشد أكبر عدد من المقاتلين".

واعتبر أنّ "هذا المخطط كان يهدف لاستقطاب شباب متحمس للجهاد وإرسالهم إلى ليبيا وتقديم الدعم المادي واللوجيستي لعناصر إرهابية خارج الوطن، إلى جانب التخطيط لإدخال عناصر خلسة لارتكاب جرائم إرهابية تستهدف مقرات أمنية وعسكرية تونسية".

والقطب القضائي لمكافحة الإرهاب هو هيئة استحدثتها الحكومة التونسية عام 2014 بهدف تخفيف الضغط على محكمة تونس العاصمة المختصة في النظر في القضايا الإرهابية ودعم جهود الدولة في مكافحة الإرهاب، وهو هيئة تختص بالنظر في قضايا فئة معينة من المتهمين ونوعية معينة من التهم.

وتكافح الأجهزة الأمنية والعسكرية في تونس لإنهاء خطر المتطرفين ما مكّنها من تحقيق عدد من النجاحات انعكست على تحسن الوضع الأمني في البلاد وساهم في عودة النشاط للقطاع السياحي الحيوي لاقتصاد تونس.

ويقول محللون إن العمليات الأمنية الأخيرة والنجاحات التي تحققت، في سياق مكافحة الإرهاب، تشير إلى أن قوات الأمن والجيش في تونس اكتسبت خبرات عملية كبيرة في مكافحة الإرهاب كانت تفتقدها في السنوات الأخيرة.

ويشير هؤلاء المحللون إلى الدور البارز لعمليات التسلح في تحسين أداء القوات

تضييق الخناق على التطرف

التونسية ضد المجموعات المتطرفة، إذ دأبت تونس على تحسين أسطولها العسكري برا وبحرا وجوا على الرغم من الوضع الاقتصادي الهش الذي تمر به البلاد.

وتسلم الجيش التونسي ست مروحيات قتالية أميركية الصنع كدفعة أولى من ضمن 24 مروحية لمكافحة الإرهاب في فبراير الماضي.

وقال مسؤول حكومي إن المروحيات القتالية من نوع "أو إتش58- كيوا مجهّزة للعمل ليلا ونهارا" وتستعمل في "الاستطلاع والتأمين والدعم الناري الجوّي ومراقبة وتحديد الأهداف الثابتة والمتنقلة" وتمتاز بقدرته على "تدمير الأهداف بدقة عالية".

وهذه المروحيات "مجهزة بكاميرا حرارية للمراقبة خلال الليل وبمنظومة تتبّع الهدف تلقائيا وبجهاز ليزر مشفّر لإطلاق صواريخ جو-أرض من نوع هيلفاير".

ويبلغ ثمن المروحيات الـ24 نحو 100 مليون دولار مع احتساب قطع الغيار وخدمات الصيانة والتدريب بحسب ما أعلنت في الثالث من مايو 2016 وكالة التعاون الأمني الدفاعي الأميركية التابعة للبنتاغون.

ويؤكد محللون أن هذه المروحيات ستحسن "قدرة تونس على مراقبة الحدود مع ليبيا المجاورة الغارقة في الفوضى وعنف الجماعات الجهادية، وعلى قتال الإرهابيين خصوصا كتيبة عقبة بن نافع (الجناح التونسي لتنظيم القاعدة) المتحصنة في جبال غرب البلاد على الحدود مع الجزائر".

وتسلمت تونس أيضا في 16 يناير الماضي زورقين عسكريين أميركيين سريعين في إطار اتفاق أبرم في 2012. والزورقان هما الثالث والرابع من جملة ستة زوارق من شأنها أن تتيح للجيش التونسي تعزيز قدراته في التصدي للإرهاب ومراقبة الهجرة غير الشرعية في البحر المتوسط.

وكانت الولايات المتحدة منحت تونس في مايو 2015 صفة حليف أساسي غير عضو في حلف الأطلسي ما يمنح الديمقراطية الناشئة مزايا في التسليح والتدريب ومستوى متقدما من التعاون الاستخباراتي.

وفرض الجيش مناطق عسكرية مغلقة في مناطق في الغرب وجنوب البلاد ما أدى إلى انحسار أنشطة المسلحين بشكل لافت.

وتراجعت التهديدات الأمنية التي كانت تشكلها المجموعات المتشددة، لكن البعض من عناصر هذه الجماعات التي مازال ينشط بالجبال الغربية لتونس ويحاول من حين إلى آخر القيام بعمليات استعراضية لم تستثن المدنيين والهدف منها بحسب محللين إظهار أن للمتشددين القدرة على التحرك رغم الضربات التي تلقوها.

ونشر تنظيم داعش مساء الاثنين الماضي على موقع التواصل الاجتماعي تويتر مقطع فيديو يظهر عملية ذبح الراعي خليفة السلطاني التي نفذها إرهابيون في شهر يونيو الماضي في جبل مغيلة الواقع بين محافظتي القصرين وسيدي بوزيد، ووصفت وسائل إعلام محلية وأجنبية الفيديو بـ"الصادم". وبنفس الطريقة قتل متشددون شقيق خليفة السلطاني الأصغر مبروك السلطاني الراعي الذي يبلغ من العمر 16 سنة في شهر نوفمبر من العام 2015.

حفتر يقدّر كلفة وقف تدفق اللاجئين إلى أوروبا بـ20 مليار دولار

❑ **طرابلس** – يقدر القائد العام للجيش الليبي المشير خليفة حفتر كلفة الجهود الأوروبية الضرورية للمساعدة في وقف تدفق اللاجئين على الحدود الجنوبية لليبيا، بـ"20 مليار دولار على امتداد 20 أو 25 عامًا".

وقال حفتر في مقابلة مع صحيفة "كوريير دولا سيرا" الإيطالية إن مشكلة المهاجرين "لا تحل على شواطئنا. إذا توقفوا عن المغادرة عبر البحر، فيتعين علينا عندئذ أن نحتفظ بهم، وهذا ليس ممكنا".

وأضاف قائد الجيش أنه "يتعين علينا في المقابل العمل سوية لوقف موجات تدفق اللاجئين على امتداد 4000 كيلومتر من الحدود الصحراوية الليبية في الجنوب. جنودي على أهبة الاستعداد. أسيطر على أكثر من ثلاثة أرباع البلاد. لديّ العناصر، لكن تنقصني الإمكانيات".

وأوضح المشير حفتر أن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون "سألني عما نحتاج إليه، وأقوم بإعداد لائحة لإرسالها إليه".

وذكر أن اللائحة تتضمن "تدريبات لخفر الحدود وذخائر وأسلحة وخصوصا آليات مدرعة وسيارات جيب للرمل وطائرات من دون طيار وأجهزة كشف الألغام ومناظير للرؤية الليلية ومروحيات".

وأضاف حفتر أن الهدف هو إقامة معسكرات متحركة تضم 150 رجلا كحدّ أدنى كل مئة كيلومتر.

ويقدر حفتر كلفة هذا البرنامج الكبير بـ"حوالي 20 مليار دولار على امتداد 20 أو 25 عاما للبلدان الأوروبية".

وعلى سبيل المقارنة قال إن "تركيا تحصل على ستة مليارات من بروكسل للسيطرة على عدد من اللاجئين السوريين وبعض العراقيين". وأضاف "أما نحن في ليبيا فيجب أن نعمل على احتواء دفعات كبيرة من الأشخاص الذين يصلون من كل أنحاء أفريقيا".

وفي أواخر يوليو، اتفق المشير حفتر مع منافسه فايز السراج، رئيس حكومة الوفاق الوطني، على إعلان مبادئ من عشر نقاط يتعهدان من خلالها خصوصا على وقف لإطلاق النار وإجراء انتخابات في أسرع وقت ممكن، وذلك خلال لقاء في باريس برعاية الرئيس الفرنسي.

وأعلن الموفد الأممي الجديد إلى ليبيا غسان سلامة الأربعاء دعمه لإجراء انتخابات في ليبيا إذا توفرت شروطها.

وقال سلامة إن "الأمم المتحدة بصدد التأكد والتحذير من أن الشروط الملائمة لإجراء الانتخابات قد اجتمعت فعلا، قبل الشروع بها في ليبيا".

وأضاف أن "الأمم المتحدة ستتثبت من أن المفوضية المعنية بالانتخابات جاهزة وأن قانون الانتخابات متوفر ومتفق عليه، وأنّ مختلف القوى السياسية توافقت على فكرة إجراء الانتخابات".

ولفت سلامة إلى أنّ "الأمم المتحدة تعتبر هذه الشروط أساسية وتهتم لوجودها حتى تسهم الانتخابات ببناء المؤسسات".

وانتقد المشير حفتر مجددا السراج الذي لم يستشره للموافقة على عملية دعم بحري لإيطاليا من أجل مساعدة خفر السواحل الليبيين على احتواء عمليات انطلاق زوارق المهاجرين.

وقال في هذا الصدد إن "قراره خيار شخصي غير شرعي وغير قانوني".

وفي محاولة لتقريب وجهات النظر بين الرجلين المتنافسين نقلت وكالة إعلام روسية عن مفاوض روسي وجود زيارة مبرمجة السبت لحفتر، ومن أجندات الزيارة لقاء وزير الخارجية سيرجي لافروف، وسط أنباء متضاربة حول لقاء محتمل بين قائد الجيش الليبي ورئيس حكومة الوفاق. وكان ليف دينغوف رئيس مجموعة الاتصال الروسية بشأن ليبيا قد قال في تصريح لوكالة الإعلام الروسية إنّ من المتوقع أن يجتمع حفتر بالسراج في موسكو قبل أن تصحح الوكالة هذه الأنباء نافية خبر عقد اللقاء.

> لائحة مطالب قائد الجيش الليبي خليفة حفتر الموجهة للسلطات الفرنسية تتضمن تدريبات لخفر الحدود وذخائر وأسلحة وخصوصا آليات مدرعة وسيارات جيب للرمل وطائرات من دون طيار وأجهزة كشف الألغام ومناظير للرؤية الليلية ومروحيات

وكان حفتر والسراج تعهدا خلال مباحثات في فرنسا نهاية يوليو بوقف مشروط لإطلاق النار وبإجراء انتخابات لكنّ بعثة بحرية إيطالية تسعى لمساعدة ليبيا في مشكلة المهاجرين أثارت التوتر بين الطرفين هذا الشهر.

ويسيطر الجيش الوطني الليبي على معظم شرق وجنوب ليبيا.

ورفضت تلك القوات الاعتراف بحكومة في طرابلس تدعمها الأمم المتحدة لكنها تواجه صعوبات لتأكيد سلطتها على مجموعة من الفصائل المسلحة التي تتنافس على النفوذ منذ سقوط معمر القذافي في عام 2011.

وأجرى حفتر مباحثات مع مسؤولين روس من قبل، وفي يناير قام بجولة على حاملة طائرات روسية بالبحر المتوسط. وزار رئيس الحكومة المدعومة من الأمم المتحدة موسكو في مارس الماضي وقال الكرملين وقتها إنه يرغب في المساعدة لإصلاح الضرر الذي قال إنه حدث نتيجة التدخل الغربي في البلاد.

لا غنى عن الجيش الليبي في وقف تدفق المهاجرين

احتقان في موريتانيا بعد اعتقال سيناتور

❑ **نواكشوط** – حمّل ائتلاف موريتاني معارض، الجمعة، حكومة بلاده مسؤولية سلامة السيناتور محمد ولد غده المعتقل منذ عدة أيام.

جاء ذلك في بيان مشترك بين أحزاب الائتلاف والمتمثلة في تحالف "المنتدى الوطني للديمقراطية والوحدة" (14 حزبا) وأحزاب "تكتل القوى الديمقراطية" و"الصواب" و"إينار" و"القوى التقدمية للتغيير".

وقال الائتلاف، في بيان، إن السيناتور ولد غده "اعتقل على يد عناصر من الشرطة كانت ترتدي أزياء مدنية بدون أمر بالتوقيف".

وأضاف البيان أن تلك العناصر "ضربت عرض الحائط بحصانة السيناتور البرلمانية واعتقلته دون توجيه تهمة له".

وحذّر الائتلاف من أنّ "التراجع في مساحة الحريات وخرق القانون ينذر بدخول البلاد مرحلة جديدة من الفوضى وانعدام الأمن والعبث بأبسط حقوق وحريات الناس".

ودعا "جميع القوى الوطنية والديمقراطية للوقوف بوجه مسار التعسف والاستبداد الذي بدأ النظام يتجه إليه".

والخميس منع الأمن الموريتاني السيناتور محمد ولد غده من عبور الحدود الجنوبية للبلاد حيث كان ينوي السفر إلى السنغال قبل أن يتم اعتقاله عقب عودته إلى نواكشوط.

وسبق أن أصدرت محكمة موريتانية حكما بالسجن لمدة 6 أشهر غير نافذة بحق السيناتور ولد غده إثر دهس سيارة كان يقودها لكوخ عن طريق الخطأ ما تسبب في وفاة ثلاثة أشخاص.

وينشط البرلماني محمد ولد غده في صفوف المنتدى الوطني للديمقراطية والوحدة (تكتل من أحزاب المعارضة).

كما يعد من أكثر البرلمانيين انتقادا لسياسات الحكومة والرئيس الحالي محمد ولد عبدالعزيز ويعتبر أحد الرافضين للتعديلات الدستورية التي جرى التصويت عليها السبت.

دعوات تعديل الدستور تفتح باب تأجيل الانتخابات الرئاسية بمصر

جدل قانوني حول دستورية تعديل المادة الخاصة بمدة العهدة الرئاسية

جدل قانوني وسياسي في مصر مع دعوات بعض نواب البرلمان المصري إلى إجراء تعديلات دستورية قد تتضمن تمديد مدة العهدة الرئاسية من أربع سنوات حاليا إلى ست سنوات في مقترح التعديل، وسط مخاوف من أن تصطدم هذه الإجراءات برفض معارضي الحكومة إضافة إلى قطاع واسع من الرأي العام.

أحمد جمال

❑ **القاهرة** – فتحت الدعوات التي أطلقها عدد من نواب البرلمان المصري بشأن تعديل الدستور الباب أمام الحديث عن إمكانية تأجيل الانتخابات الرئاسية المقرر إجراؤها منتصف العام المقبل، بعد أن تحدثوا بشكل صريح عن إدخال تعديلات على المادة الخاصة بمُدة فترة الرئيس وزيادتها إلى ستّ سنوات للفترة الواحدة بدلا من أربع سنوات بحسب النص الحالي.

وقال إسماعيل نصرالدين، عضو ائتلاف دعم مصر (صاحب الأغلبية) بالبرلمان، إن هناك فريقا قانونيا قام بدراسة عدد المواد التي أضحت بحاجة إلى التعديل في الوقت الحالي، وانتهى إلى ضرورة زيادة المدى الزمني لرئيس الجمهورية في الحكم، بالإضافة إلى خمس مواد أخرى تم الاتفاق على بعضها بينما يظل البعض الآخر في طور المناقشات.

> سياسيون يؤكدون أن التوجه نحو التعديل يتنافى مع الاستقرار السياسي الراهن ويؤشر على تضييق الحريات وحديث التعديلات يعيد إلى الأذهان ما سبق أن فعله مبارك بتجديد رئاسته لأكثر من مدتين

وأضاف في بيان له، مساء الخميس، أن التعديلات الجديدة ستطرح على البرلمان مع بداية دور الانعقاد الثالث خلال شهر أكتوبر المقبل، وسيتم عرضها للحوار المجتمعي والسياسي قبل نهاية شهر أغسطس الجاري، مكررا ما جاء على لسان علي عبدالعال رئيس البرلمان الذي أكد أن "مصر أصبحت في حاجة ماسة لإجراء تعديلات دستورية جوهرية، خاصة وأن الدستور تم وضعه في ظرف استثنائي وبنوايا حسنة".

أهمية تصريحات النائب البرلماني تعود إلى أنها جاءت بعد يوم واحد من تصريحات مماثلة لرئيس البرلمان المصري أكد خلالها أن "أيّ دستور يتم وضعه في حالة عدم استقرار يحتاج إلى إعادة نظر بعد استقرار الدولة، وهناك مواد بالدستور تحتاج لإعادة معالجة لأنها غير منطقية"، وكان عبدالعال نفسه قد صرّح من قبل بأنه يرى أن هذا الدستور لا يرضي طموحات المصريين.

وقالت مصادر برلمانية لـ"العرب"، إنه حال الموافقة على تلك التعديلات من قبل مجلس النواب أولا ثم موافقة الشعب عليها من خلال الاستفتاء، فإن الانتخابات الرئاسية سيتم تأجيلها لمدة عامين، بما سيعطي الفرصة لإجراء الانتخابات المحلية التي كان من المقرر إجراؤها قبل نهاية العام الجاري.

ويتضمن الدستور المصري الحالي خطوات تعديله من خلال طلب يقدمه خمسة من أعضاء البرلمان إلى مجلس النواب تتم مناقشته خلال ثلاثين يومًا، فإذا وافق المجلس على طلب التعديل يُعرض الأمر على البرلمان للمناقشة بعد ستين يومًا من تاريخ الموافقة، فإذا وافق ثلثا أعضاء المجلس يُعرض على الشعب في استفتاء خلال ثلاثين يومًا من تاريخ الموافقة، ثم يكون التعديل نافذًا إذا وافقت عليه أغلبية الأصوات الصحيحة للمشاركين في الاستفتاء.

ولا يختلف كثيرون على أهمية تعديل الدستور بعد أن أفرز وضعه بالطريقة الحالية مجموعة من الأزمات؛ على رأسها التداخل في العلاقة بين السلطات وتضخم عدد نصوصه التي وصلت إلى 247 مادة ما جعله أحد أكبر الدساتير في العالم، علاوة على تضمنه العديد من المواد غير القابلة للتطبيق، كتحديد نسب من الموازنة العامة لقطاعات التعليم والصحة، بالإضافة إلى الفراغ الذي تركه إلغاء غرفة البرلمان الثانية (مجلس الشورى).

وشجعت تلك المبررات على ظهور التوجه البرلماني الحالي نحو التعديل بعد أن أصبح الرأي العام جاهزا لتقبّل تلك الخطوة، غير أن المشكلة الأكبر التي ستواجه البرلمان ستتمثل في تعديل مدة الفترة الرئاسية التي لن تلقى قبولا لدى الكثيرين تحديدا في الوقت الحالي، خاصة وأنه لم تتبق إلا أشهر قليلة على الانتخابات الرئاسية.

وبات من الواضح أن مسألة القبول الشعبي لم تعد تمثل هاجسًا أو عائقا أمام ذهاب البرلمان إلى تعديل الدستور، وكان البرلمان أقر العديد من التشريعات التي أحدثت غضبا مجتمعيا ومع ذلك لم تظهر آثار هذا الغضب إلا على مواقع التواصل الاجتماعي فقط فيما لم تشهد البلاد تظاهرات مناهضة لخطوات البرلمان المصري كما راهن على ذلك العديد من القوى المناوئة للإصلاحات التي يقدم عليها النظام المصري.

وكان من بين هذه التشريعات على سبيل المثال قانون الخدمة المدنية وفرض ضريبة القيمة المضافة والموافقة على اتفاقية ترسيم الحدود مع المملكة العربية السعودية (قضية تيران وصنافير).

وتصطدم مغامرة تعديل المادة الخاصة برئيس الجمهورية في الدستور بمعوقات سياسية وقانونية وتعيد للأذهان تعديلات دستور 1971 الذي تم إلغاؤه عقب ثورة يناير 2011، ففي عام 1980 تم السماح بتجديد مدة الرئاسة لأكثر من مدة تالية بدلا من مدتين رئاسيتين، ما سمح بتواجد الرئيس الأسبق حسني مبارك في منصبه لأكثر من 30 عاما، كما أن أهم المعوقات وجود نص دستوري يحظر تعديل تلك المادة.

على المستوى السياسي فإن إدخال تعديل على الدساتير بشكل عام يشي بأن هناك حالة من حالات عدم استقرار النظام السياسي، وهو ما تترتّب عنه آثار سلبية على الحكم القائم الذي وصل إلى مرحلة من الثبات من دون أن تكون هناك معارضة حقيقة لتحركاته، وإن كانت دوائر قريبة من الحكومة المصرية ترى أن تلك النقطة تحديدا –أي ضعف المعارضة– هي الدافع الرئيسي وراء الرغبة في تعديل الفترات الرئاسية خلال الوقت الراهن.

ولا يقل إجراء استفتاء على تعديل الدستور خلال الوقت الحالي صعوبة عن إجراء انتخابات رئاسية سواء من الناحية المادية والتكاليف الباهظة والتي يراها البعض مبررا للتأجيل، أو من الناحية السياسية بسبب إمكانية تغير النظرة المستقرة للأوضاع الداخلية حيث ذهب المواطنون إلى صناديق الاقتراع ثلاث مرات من قبل بشأن تعديل الدستور أو إقرار آخر جديد منذ عام 2011.

وقال عمرو هاشم ربيع الخبير بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية لـ"العرب" إن الحديث عن زيادة مدة الرئاسة في وقت ترى فيه الحكومة استقرار الأوضاع الحالية يؤدي إلى وجود نوع من التضييق على الحريات، وأن الحديث عن طول مدة فترات الرئاسة ينبغي أن يكون في أوضاع غير مستقرة كما كان الوضع عليه عند إقرار هذا الدستور، وهو ما يتنافى مع الحالة المصرية الحالية.

وأضاف أن تعديل أحد مواد الدستور أو بعضها يفسح المجال أمام العديد من التيارات السياسية؛ سواء من اليمين واليسار والتيار الليبرالي، للمطالبة بإدخال تعديلات أخرى على مواد ترى أنها لا تحقق مصالحها الخاصة، ما يؤدي إلى خلق حالة من عدم الاستقرار السياسي ويثير المخاوف.

في انتظار قرار البرلمان

وعلى الجانب القانوني تأخذ مسألة تعديل مدة الفترة الرئاسية جدلا متصاعدا بين الفقهاء الدستوريين، فهناك من يرى أن هناك نصا دستوريا (المادة 226) يمنع تعديل نصوص الدستور المتعلقة بإعادة انتخاب رئيس الجمهورية أو بمبادئ الحرية أو المساواة ما لم يكن التعديل متعلقاً بالمزيد من الضمانات، فيما يرى آخرون أن الحظر يكون إذا كان التعديل مرتبطا بزيادة فترات الرئاسة وليس مدة الفترة الرئاسية.

وقال شوقي السيد الفقيه الدستوري لـ"العرب" إن الموافقة الشعبية على التعديلات الدستورية تأتي فوق النصوص الدستورية الموضوعة، وبالتالي فإن البرلمان من حقه عرض الأمر على الاستفتاء حتى وإن كان تفسير النص يأتي في صالح عدم الاقتراب من تلك المادة، مشددا على أن الأصل في الدساتير أنه يتم وضعها وتعديلها وفقا للإرادة الشعبية.

وأضاف أن الحكومة تستند خلال سيرها في طريق تعديل الدستور الحالي على القول بأنه يعدّ أحد الدساتير الجامدة، وأن إدخال تعديلات عليه يأخذ خطوات ومناقشات عديدة قبل الإقدام عليه، وبالتالي فإن رغبتها في التعديل وفقا لتلك الشروط يمثل ضمانة لحق الشعب في التعبير.

حزب الله يدفع بلبنان إلى إنهاء سياسة النأي بالنفس عن النزاع السوري

❑ **بيروت** – تدفع جماعة حزب الله اللبنانية وحلفاؤها لبنان نحو تطبيع العلاقات مع حكومة الرئيس السوري بشار الأسد في تحرك يمثل تحديا لسياسة النأي بالنفس عن الصراع السوري ويشعل خلافاً سياسيا في البلاد.

وتأتي الدعوات لتوثيق عرى العلاقات مع الحكومة السورية والتعاون فيما يتعلق بإعادة اللاجئين والعمليات العسكرية على الحدود السورية اللبنانية في الوقت الذي يستعيد فيه الأسد مزيدا من الأراضي من مسلّحي المعارضة ويسعى لاستعادة مكانته الدولية. وتهدف سياسة النأي بالنفس التي انتهجتها الحكومة اللبنانية وتم الاتفاق عليها في 2012 إلى إبقاء البلد الذي يشهد انقسامات عميقة بعيدا عن الصراعات في المنطقة مثل الحرب السورية حتى رغم مشاركة حزب الله المدعوم من إيران في هذه الحرب بقوة وإرساله قوات تحارب إلى جانب الأسد.

وساعدت هذه السياسة الجماعات المتنافسة على التعايش داخل الحكومة التي تجمع حزب الله، والذي تصنّفه الولايات المتحدة منظمة إرهابية، مع ساسة متحالفين مع السعودية غريمة إيران في شكل من أشكال الوفاق السياسي وسط الاضطرابات الإقليمية.

ورغم أن لبنان لم يقطع العلاقات الدبلوماسية أو التجارية قط مع سوريا فإن الحكومة نأت بنفسها عن أيّ تعامل مع الحكومة السورية بصفة رسمية وسيمثل انهيار هذه السياسة دفعة سياسية للأسد.

ويريد حلفاء الأسد الشيعة في لبنان من الحكومة أن تتعاون مع سوريا في قضايا مثل الحرب ضد المتشددين عند الحدود المشتركة وتأمين عودة 1.5 مليون سوري يعيشون حاليا في لبنان لاجئين.

وتقول مها يحيى مديرة مركز كارنيغي للشرق الأوسط في بيروت "الكل يدرك أن سياسة النأي بالنفس مهزلة إلى حد ما. لكنها على الأقل احتوت الصراع وحالت دون انسياق لبنان بشكل كبير وراء ما يحدث في سوريا".

وأضافت أن تطبيع العلاقات "سينظر له باعتباره انتصارا. وإذا استخدمنا المصطلحات الطائفية سيكون انتصارا للشيعة ضد السنة.. وسيؤجج التوترات بشكل أكبر".

ودفعت علاقة لبنان بسوريا الخصوم اللبنانيين على مدى عقود نحو مواجهة بعضهم البعض. وهيمنت سوريا على لبنان منذ نهاية الحرب الأهلية التي اندلعت بين عامي 1975 و1990 وحتى 2005.

وثار خلاف الأسبوع الماضي بسبب خطط وزراء الحكومة من حزب الله وحركة أمل الشيعية لزيارة دمشق الأسبوع المقبل.

ورغم رفض الحكومة وصف الزيارة بأنها زيارة رسمية معللة ذلك بسياسة "النأي بالنفس إلا أن وزير الصناعة حسين الحاج حسن وهو عضو في حزب الله أكد أن الوزراء سيكونون في دمشق كممثلين للحكومة.

وقال الحاج حسن لتلفزيون المنار "سنقابل المسؤولين السوريين بصفتنا الوزارية ونجري مباحثات لمعالجة بعض القضايا الاقتصادية بصفتنا الوزارية وسنعود بصفتنا الوزارية لمتابعة هذه الأمور".

وقال سمير جعجع وهو سياسي مسيحي بارز ومعارض قديم لحزب الله وللنفوذ السوري في لبنان إن زيارة سوريا "ستهز الاستقرار السياسي الداخلي للبنان كما سيصنّف لبنان على أثرها في خانة المحور الإيراني". ووصف مسؤول لبناني كبير متحالف مع دمشق الخلاف بأنه "جزء من الصراع السياسي في المنطقة".

وتجلى نفوذ حلفاء إيران في لبنان العام الماضي باختيار الحليف القديم لحزب الله السياسي المسيحي ميشال عون رئيسا للدولة في اتفاق سياسي تولّى بموجبه سعد الحريري المتحالف مع السعودية رئاسة الوزراء.

وزاد حزب الله مؤخرا دعواته للحكومة اللبنانية للتواصل مباشرة مع دمشق بشأن إعادة اللاجئين السوريين الذين يشكلون حاليا واحدا من كل أربعة أشخاص في لبنان وأغلبهم من السنة.

وللقضية حساسية سياسية كبيرة في لبنان رغم اتفاق جميع السياسيين على ضرورة عودة اللاجئين إلى سوريا بسبب الضغط الذي يمثلونه على موارد البلاد ومخاطر وجودهم على التوازن الطائفي.

وقال الحريري إن لبنان سينسّق عمليات عودة السوريين مع الأمم المتحدة فقط التي تقول إنها لن تقبل بأيّ إعادة قسرية للذين فروا من الصراع خاصة في ظل خشية كثير منهم من العودة إلى مناطق خاضعة لنفوذ الحكومة السورية.

وأجرت المديرية العامة للأمن العام اللبناني مؤخرا محادثات مع السلطات السورية لتأمين إعادة عدة آلاف من السوريين إلى بلادهم عقب حملة عسكرية لحزب الله بمنطقة الحدود في الشمال الشرقي.

ويقول الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس إن إعادة اللاجئين تتم طواعية، لكنّ المنظمة الدولية لم يكن لها دور في المحادثات.

وأصبح هجوم متوقّع للجيش اللبناني على تنظيم الدولة الإسلامية بمنطقة حدودية مع سوريا نقطة محورية أخرى في الجدل بشأن التعاون مع دمشق. وقال الجيش إنه سيقود المعركة بمفرده في الأراضي اللبنانية ولن يحتاج للتنسيق مع أطراف أخرى.

لكن الأمين العام لحزب الله حسن نصرالله قال إن جماعته والجيش السوري سيشنّان هجوما متزامنا ضد التنظيم انطلاقا من الجانب السوري من الحدود. وقال نبيل بومنصف كاتب العمود بصحيفة النهار اللبنانية إن سياسة النأي بالنفس انتهت عمليا. وحذّر بومنصف من تداعيات ذلك قائلا "إن سعي كل طرف لتسجيل نقاط سياسية على حساب الآخر سيفجر مشكلة كبرى في لبنان".

راية الحزب قبل راية الوطن

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 – 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

النائبة الكويتية تكره اللهجة العراقية فهل تحب اللهجة السعودية؟

أسعد البصري
كاتب عراقي

❏ كاتب سعودي يقول إن هناك حساسية عالية جداً لدى الكويتيين من أيّ تحذيرات خليجية أو إقليمية، وليست العلاقة مع إيران أولها. الكويت طردت مؤخرا دبلوماسيي السفارة الإيرانية ولَم تبق إلا على أربعة فقط، وأغلقت ملحقياتها التي ثبت أنها كانت أوكارا للتجسس وترتيب العمليات الإرهابية.

زار أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح طهران قبل ثلاث سنوات ثم استقبلت الكويت بترحاب الرئيس حسن روحاني، وتم تشكيل لجان تعاون وصداقة متعددة في وقت كانت فيه علاقة طهران مع الرياض في انحدار.

بعد سنة واحدة فقط من هذا الانفتاح والسياسة الإيجابية الكويتية اكتشفت أجهزة الأمن كميات ضخمة من الأسلحة، مع خلية إرهابية كويتية متكونة من 20 شخصا تابعين لإيران. وجاء هروب المساجين من أعضاء الخلية الإيرانية، واحد فقط إيراني والبقية كويتيون. تم تهريب الإرهابيين المسجونين ونقلهم بزوارق سريعة من المياه الكويتية إلى إيران.

السعوديون ينظرون إلى مواقف الحياد الكويتية سواء مع إيران أو مع قطر ويقولون "هناك دَين أخلاقي كبير على الكويت ونتوقع أن تحفظ شيئاً منه". قطر تقوم بتمويل المعارضة ضد السعودية في لندن وتركيا، معارضة تدعو لإسقاط الحكم السعودي. قطر كانت شريكاً في التآمر لاغتيال الملك عبدالله، وتعترف بأنها تآمرت أيضاً مع القذافي لإسقاط النظام في الرياض. وكويتيون يتبادلون القبلات مع الدوحة ويستقبلون جدارية موقعة من القطريين على صورة أمير بلادهم في رسالة غير موفقة إلى الرياض.

> هل نسي هؤلاء الكويتيون مواقف الرياض حين ألغى صدام حسين هوية الكويت وعلمها والقضاء على شرعيتها واختراع شرعية بديلة واستبدال عملتها عام 1990؟ حرص الملك فهد حينها على وجود أسرة آل صباح الحاكمة وتماسكها لأنها رمز الشرعية الكويتية. واستقبل السعوديون الكويتيين في بيوتهم بينما استقبلت العراقيين اللاجئين بعد الحرب بمخيمات في الصحراء

هل نسي هؤلاء الكويتيون مواقف الرياض حين ألغى صدام حسين هوية الكويت وعلمها والقضاء على شرعيتها واختراع شرعية بديلة واستبدال عملتها عام 1990؟ حرص الملك فهد حينها على وجود أسرة آل صباح الحاكمة وتماسكها لأنها رمز الشرعية الكويتية. واستقبل السعوديون الكويتيين في بيوتهم بينما استقبلت العراقيين اللاجئين بعد الحرب بمخيمات في الصحراء لا يستطيعون الخروج منها إلى المدن السعودية.

وبسبب موقف الحكومة السعودية الشجاع والتضامن مع الكويت ظهرت لأول مرة في شوارع الرياض ومساجدها أصوات ضد الحكومة وسارت مظاهرة معادية وجاهر رجال دين شباب بمعارضتهم وبأنه "لا يجوز القتال من أجل الكويت التي لا تحكم بشرع الله"! وضجّت شوارع العواصم العربية ضد السعودية وليس ضد الكويت.

وكانت تلك شرارة تمرّد أسامة بن لادن وتفجّر الإرهاب الداخلي في التسعينات من القرن العشرين حتى عملية سبتمبر 2001 في نيويورك هي من آثار موقف المملكة الحازم من غزو الكويت واستقبال مئات الآلاف من الجنود الأميركيين وتحمّل نفقاتهم، ما زالت تداعيات ذلك الموقف الشهم لأجل الكويت عبئا على المملكة ورأينا هجمات الإعلام الأميركي على السعودية العام الماضي وصدور قانون جاستا سيّئ الصيت.

كاتبة سعودية تقول إن الكويت تعلم أن الاتهامات الموجهة لقطر والمتعلقة بالتساهل مع جمع التبرعات للإرهابيين تشمل الكويت أيضا. وإن الذي نبش موضوع التسريبات بين القذافي وقادة قطر يستطيع نبش موضوعات العلاقة الكويتية مع إيران. وحدثتني بمرارة سيدة نجدية مطعونة من أخ وصديق عن تشويه نائب سابق في مجلس الأمة الكويتي يدعى عبدالحميد دشتي لسمعة السعودية عالميا، وكيف تم تهريبه من الكويت بعد الحكم عليه العام الماضي بـ14 سنة سجنا. هناك شكوك حول هذه الأحكام والتهريبات والبعض يشكك في قصة خلية العبدلي أيضا.

البعض يقول إن سبب السكوت عن النائب دشتي وبذاءاته هو خشية من الشماتة وسماع كلمة "هذه بضاعتكم ردت إليكم". دبلوماسي سعودي كتب بأنه كان بمؤتمر دولي بحضور إيراني وكانت إحدى أقارب دشتي تتحدث ضد المملكة بحديث ملؤه السم والحقد والتحريض إلى درجة أن الإيرانيين كانوا أفضل منها. ويضيف "صحيح أن الإيرانيين طوال عقدين قد نجحوا في شيطنة المملكة وسمّموا العلاقات السعودية الأميركية لكن الجهد الأكبر كان من حزب الدشتيين الكويتيين".

عموما إحصائية السفارة الأميركية تقول إن نسبة شيعة الكويت تصل إلى 35 بالمئة ومنهم مَن يقلد خامنئي مرجعا دينيا وإذا أضفنا "البدون" قد تصل النسبة إلى 40 بالمئة وهذا مفهوم لولا أنهم يمسكون الاقتصاد وأصحاب أموال طائلة ويتعرّضون لتسييس وتنظيم إيراني مستمر. لهذا حذر كاتب سعودي مؤخرا قائلا "فالكويت على خط الزلازل، وهي أكثر دولة تحتاج إلى وحدة المجلس واستقراره. لقد رحل صدام وخلفه من هم أسوأ منه وأعظم شراً".

ما يهمّني هو كيف نشرح للكويت جوهر المشكلة وأهمية الوقوف مع السعودية؟ النائبة الكويتية في مجلس الأمة الكويتي صفاء الهاشم صرحت خلال الأيام الماضية بأنها تعتبر الغزو عام 1990 "عراقيا" وليس "صداميا" وأنها تكره اللهجة العراقية ولا تحب العراقيين وأن مساهمة الكويت في إعادة إعمار العراق هي "دفعة بلاء". ولأنني من البصرة التي تتحدث بلهجة هي نفس اللهجة الكويتية فكلمة "دفعة بلاء" تعني الصدقة والازدراء بالعراقيين. يأتي هذا التصعيد الكويتي مع العراقيين في وقت تقوم فيه السعودية بالتقارب مع قادة العراق ومداواة الجراح بين العراقيين وأشقائهم العرب. أليس هذا النشاط الكويتي منظما وعلى النقيض من المساعي السعودية دوما؟

تكرهين اللهجة العراقية وتعلنين ذلك على الهواء وأنت نائبة؟ بينما الإمارات العربية المتحدة قدمت لنا أغنية حسين الجسمي "كلنا العراق" في وقت نحن بأمسّ الحاجة إلى المساعدة والحب من العرب. سوف أبلغ 650 ألف طفل مشرّد في الموصل أعلنت المنظمات الإنسانية أنهم مصابون بالصدمة بأن بعض الكويتيين لا يحبون سماع صوتهم وعليهم البكاء بصوت منخفض. سأبلغ بنات الأنبار الحزينات في الليل بأن بعض الكويتيين فرحون بدموعهن.

صحف كويتية أصدرتها الكويت أيام الغزو كانت تشتم العراقيين رجالا ونساء وأطفالا، وكانت تستشهد بغربة السياب حين كتب من الكويت قصيدته "غريب على الخليج".

يقولون هذا السياب يشهد بأنه غريب والعراقي ليس منا "وعلى الرمال على الخليج/جلس الغريبُ يسرّحُ البصر المحيّر في الخليج/ويهدّ أعمدة الضياء/بما يُصعّدُ من نشيج". كان السعوديون ينصحونهم بعدم شتم الشعب العراقي إلى درجة أنهم في لقائهم مع الجواهري بدمشق كان منزعجا منهم فقال لهم "ماكوشي اسمه كويت". ربما نتفهم الجرح الكويتي قبل ربع قرن ولكن ماذا الآن ونحن العراقيون ننزف دما كل يوم؟

يذكروننا بأنهم ساعدوا صدام حسين في حربه ضد إيران وقدموا له 60 مليار دولار في ذلك الوقت الذي يعتبر فيه هذا المبلغ فلكيا ثم غدر بهم. السؤال هو لو لم تساعدوا صدام لقامت إيران باحتلال بغداد وما هي المشكلة؟ إيران تحتل العراق اليوم وأنتم على أحسن العلاقات معها. ثم إن وقفتكم انحصرت بالأناشيد للدكتاتور والمال وليست مثل وقفة الإمارات مع السعودية حيث يقاتلان كتفا لكتف وشهيدا بشهيد. متى تنسون الماضي؟

مَن كان سيُصدّق أن الألمان سيُصبحون أصدقاءً لأميركا بعد 15 عاما فقط من توقف الحرب العالمية الثانية وهي التي قامت بقصفهم قصفا شنيعا لدرجة أن مدينة كولن لم يبق منها إلا ثلثها وفي هامبورغ دُمّر 300 ألف منزل، أما مدينة دريزدن فإن بعض الدراسات تُقارنها أحيانا بهيروشيما.

كان هناك اعتقاد لدى بعض الأميركيين بأن كل ألماني هو "نازي" وتم تقديم اقتراحات مثل تهجير مليون ألماني كعبيد إلى أفريقيا أو "خطة كوفمان" التي تنصح بتجنيد 20 ألف طبيب لإخصاء 45 مليون ألماني لقطع النسل. وهناك خطة الوزير الأميركي مورجيناتو لتحويل ألمانيا إلى بلد زراعي ومنعهم من التحوّل مرة أخرى إلى بلد صناعي.

البيت الأبيض رفض كل هذه الخطط وقرر كسب صداقة الشعب الألماني وعدم إهانته حتى لا تتكرّر مأساة ما بعد الحرب العالمية الأولى. أنفقت أميركا المليارات من الدولارات لإحتواء ألمانيا اقتصاديا وأنتجت الأفلام وسخّرت الثقافة للقضاء على الفكر النازي، وتم في النهاية احتواء ألمانيا داخل العائلة الغربية الأوربية بنجاح.

معظم الألمان اليوم يحبون أميركا ويؤمنون بقيم التسامح والديمقراطية والأخوّة بين الشعوب. وهذا الدرس الإنساني تحاول نقله السعودية اليوم بكل الطرق إلى الكويتيين والعراقيين دون جدوى. النائبة صفاء الهاشم تضر الكويت قبل العراق بتحريضها على الكراهية بين الشعبين. إذن يمكن استيعاب ومساعدة ألمانيا بعد 15 سنة من الحرب رغم أنها مسؤولة عن مقتل 30 مليون إنسان في الحرب، واحتلت باريس وأحرقت لندن واجتاحت روسيا وقامت بإبادة أجناس بشرية مع أطفالهم.

كل هذا تجاوزته البشرية بوقت قصير فلماذا لا يمكن مساعدة ومحبة العراقيين بعد غزو الكويت؟ وإلى متى نحن نعاقَب؟ أميركا رفعت شعارا بعد الحرب "ألمانيا مشكلتنا" فلماذا لا ترفع الكويت شعارا مثل "العراق مشكلتنا" وتساعدنا؟

إن احتضان الكويت للنائب عبدالحميد دشتي الذي قاد حملة كبيرة ومنظمة لتشويه سمعة المملكة العربية السعودية ووشمها بالإرهاب لا يختلف عن احتضانها للنائبة صفاء الهاشم وتشجيعها على بث مشاعر الكراهية والإهانة للعراقيين.

هذه أعمال تصب في صالح إيران. شيعة الكويت لن يكرهوا شيعة العراق بسبب تصريحات النائبة الهاشم فهم يجلسون معا على الأرض في زيارة كربلاء ويأكلون في قدر واحد. الذي سيتأثر هو أطفال الموصل النازحين وبنات الأنبار اليتامى لأنهم يتوقعون من العرب كلمة محبة ومواساة. وإذا كانت النائبة الهاشم لا تحب اللهجة العراقية فهل تحب اللهجة السعودية يا ترى؟

تقول الشاعرة سعاد الصباح:
"أنا امرأةٌ من جنوب العراق
فبين عيوني تنامُ حضارات بابلْ
وفوق جبيني
تمرُّ شعوبٌ وتمضي قبائلْ".

استفتاء كردستان تغطية لفشل سياسي

محمد حريري
كاتب كردي

❏ استقلال كردستان قضية حيّة في قلوب كل الأكراد، وعندما يرفض قطاع كبير جدا من الشعب الكردي التصويت لفائدة الاستقلال، لا بد أن هناك أسبابا قوية تدفعه إلى ذلك. وأحدث إعلان مسعود البارزاني رئيس إقليم كردستان المنتهية ولايته، إجراء استفتاء على استقلال كردستان في 25 سبتمبر القادم لغطا وانقساما كبيرين في المجتمع الكردي لن يهدأ حتى بعد إجراء الاستفتاء كما يعتقد البعض.

ومنذ اليوم الأول لإعلان الاستفتاء انقسم الشارع الكردي انقساما حادا بين مؤيدين ورافضين.

فالمؤيدون قسم كبير منهم من الحزب الديمقراطي الكردستاني ونسبة من الاتحاد الوطني الكردستاني والاتحاد الإسلامي الكردستاني (جناح الإخوان) وبعض الموظفين والمدفوعين بشعور عاطفي قومي.

فيما تتكون أغلبية الجهة الرافضة من الناس العاديين والكتاب والمثقفين المستقلين المعارضين للفساد السياسي الكردي، وهؤلاء يعتقدون أن السلطة السياسية ارتكبت من الكوارث ما يكفي بحق الشعب الكردي، وأن الشعب الكردي لا يتحمّل في ظل الحالة الاقتصادية المزرية وعدم دفع الرواتب لعدة أشهر، وفي ظل الانقسام وتعطيل البرلمان الكردي المنتخب من قبل قيادة الحزب الديمقراطي، كارثة أخرى بسبب قرار أحادي غير مدروس جيدا لشخص واحد اتخذ بدوافع سياسية مصلحية لذر الرماد في عيون من يطالبون رئيس الإقليم بالتنحي لانتهاء ولايته منذ أشهر ولفشله في إدارة الإقليم وتعاظم الفساد في ظله.

بالإضافة إلى ذلك يعارض قادة حركة التغيير والجماعة الإسلامية الاستفتاء لنفس الأسباب، ولأسباب حزبية تتعلق بحصتهم في الحكومة والمناصب، ويشترطون تفعيل البرلمان المعطل وإعادة الامتيازات والمناصب الحكومية لهم من قبل حزب مسعود البارزاني، ليشتركوا في الاستفتاء.

وقد أعلن شاسوار عبدالواحد صاحب قنوات "ان آر تي" الفضائية عن تشكيل حركة "كلا للاستفتاء حاليا" يوم 8 أغسطس الجاري. وتعتقد هذه الحركة أن إجراء الاستفتاء والتصويت بنعم عمل خطير يعرض مستقبل الإقليم وشعبه للخطر، لذا طلبت من مواطني الإقليم أن يصوتوا بلا في هذه الاستفتاء.

وجاء في البيان التأسيسي للحركة أن "هذا الاستفتاء لا يخدم المصلحة العليا لشعب كردستان، وأن هذه ليست خطوة صحيحة تجاه الاستقلال وتأسيس دولة جمهورية ديمقراطية وعادلة، بل بالعكس هي خطأ تاريخي خطير تجاه إجهاض هذا الهدف، والانقسام والتشظي أكثر، وجر الشعب الكردي إلى الكوارث والخراب والصراعات المسلحة الدموية."

واتهم إعلام الحزب الديمقراطي الكردستاني هذه الحركة بأنها حركة عميلة لإيران والحكومة العراقية تعمل ضد مصلحة واستقلال كردستان، ويقودها شاب مغمور لا يعرف من أين جمع ثروته ليمتلك شبكة من الفضائيات وعدة مجمعات سكنية ومدينة جافئ لاند للألعاب.

والغريب أن مواقف الدول الإقليمية والدول المؤثرة الكبرى كالولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي كلها لا تؤيد إجراء الاستفتاء في هذا الوقت! حتى تركيا أعلنت رفضها لهذا الإجراء، ورغم ذلك يصر إعلام الحزب الديمقراطي على القول إن هذه هي الفرصة المواتية للأكراد لإعلان الاستقلال. لكن يلاحظ أن مواقف تركيا في رفضها ليست

> قرار أحادي غير مدروس جيدا لشخص واحد، اتخذ بدوافع سياسية مصلحية لذر الرماد في عيون من يطالبون رئيس الإقليم بالتنحي لانتهاء ولايته

جدية بما فيه الكفاية، لما عرف عن الأتراك من شراسة في معارضة أي مشروع كردي للاستقلال حتى لو كان في أفريقيا كما قال أحد السياسيين الأتراك ذات مرة. لهذا يعتقد الكثيرون أن هذا الاستفتاء ما هو إلا مشروع لأردوغان لجعل كردستان العراق قبرصا أخرى، عبر حليفه القوي مسعود البارزاني ولتستولي تركيا على خيرات الإقليم وتضعه تحت هيمنتها الكاملة كما تفعل الآن في جميع مناطق التي تقع تحت سيطرة الحزب الديمقراطي الكردستاني.

واستعان البارزاني في الترويج لحملته بحزب الاتحاد الإسلامي المؤيد لأردوغان، ومشروعه في أسلمة المنطقة سياسيا، والذي يدعو الناس إلى المشاركة في الاستفتاء بنعم على المنابر الدينية والقنوات الإعلامية التابعة له. كما استعان بمجموعة كبيرة من خطباء الجوامع الذين وصل الأمر ببعضهم إلى تخوين وتكفير من يصوت بـ"لا" في الاستفتاء!

قرار الاستفتاء أحادي ويكشف الانقسامات بين الأكراد

أن تعرف كيف تخسر...

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ أن تعرف كيف تخسر في السياسة أهمّ بكثير من أن تعرف كيف تربح. من يعرف أن يخسر إنّما يتعلّم من تجاربه ويهيّئ نفسه ليوم يستطيع فيه أن يربح.. فيربح نفسه أوّلا. باختصار شديد، الذكاء في أن تعرف كيف تخسر أكثر بكثير ممّا أن تعرف كيف تربح. أن تعرف كيف تخسر يتطلب قبل كل شيء ذكاء شديدا وتواضعا، فضلا عن اعتراف بالواقع والتصالح معه بعيدا عن المكابرة قبل أيّ شيء آخر.

مناسبة هذا الكلام أن الأزمة الخليجية مع قطر طالت أكثر مما يجب وهي مرشّحة لأن تطول أكثر. خلاصة الكلام، وذلك من باب الحرص على قطر كدولة عربية خليجية لديها دور تستطيع لعبه في مجال تطوير المجتمعات الخليجية بدل إغراقها في التفاهات والمزايدات والشعارات المزيّفة والطنّانة، أن ليس في استطاعة قطر أن تخرج رابحة من المعركة التي تخوضها مع الدول الأربع التي اتخذت قرارا بمقاطعتها في الخامس من حزيران – يونيو الماضي، أي قبل ما يزيد على شهرين.

من هنا، يفترض في قطر اتخاذ موقف يأخذ في الاعتبار الواقع القائم والمتمثل في أنّ الدول المقاطعة مستعدة، إلى إشعار آخر، للذهاب بعيدا في المواجهة معها وذلك مهما طال الزمن. الأهمّ من ذلك كلّه أن الدول الأربع غير مستعدة للرضوخ لضغوط أميركية. الدليل على ذلك، أن السعودية والإمارات العربية المتحدة تحدتا الولايات المتحدة في عهد الرئيس باراك أوباما وقررتا دعم عملية التخلص من نظام الإخوان المسلمين الذي كان على رأسه، من الناحية الشكلية، رئيس من النوع المضحك المبكي اسمه محمّد مرسي. تحدت السعودية والإمارات أميركا في العام 2013 ودعمتا الانتفاضة الشعبية التي أدت إلى التخلص من نظام الإخوان المسلمين وتخلّفهم.

قبل ذلك، في العام 2011، تدخلت السعودية عسكريا في البحرين عندما شعرت أنّ أمنها بات مهدّدا من إيران والأدوات التي استخدمتها للتخلص من النظام في تلك المملكة الصغيرة.

> الدول المقاطعة مستعدة، إلى إشعار آخر، للذهاب بعيدا في المواجهة مع قطر وذلك مهما طال الزمن. الأهم من ذلك كله أن الدول الأربع غير مستعدة للرضوخ لضغوط أميركية

بعيدا عن المطالب الـ13 التي ثمّة من يقول إن عددها تقلّص إلى ستّة، الموضوع موضوع سياسي أوّلا وأخيرا. يمكن اختزاله بسؤال واحد هل في استطاعة قطر أن تكون على موجة واحدة مع الدول الأخرى في مجلس التعاون لدول الخليج العربية، علما أن حق الاختلاف في شأن مواضيع معيّنة مفهوم ومبرّر وهو جزء لا يتجزّأ من تركيبة المجلس الذي تأسّس في أبوظبي في العام 1981. لعب المجلس دورا لا يستهان به في توفير مظلّة حماية للدول الست الأعضاء فيه إبان الحرب العراقية–الإيرانية ثم في مرحلة ما بعد احتلال العراق للكويت في العام 1990. من يريد البحث عن التمايز الذي كان قائما داخل المجلس منذ ولادته، يستطيع العودة إلى مواقف سلطنة عُمان وإلى مواقف كويتية معيّنة في مرحلة ما. اعترضت الكويت في إحدى المراحل على الاتفاقية الأمنية التي كانت تلحظ حقّ الملاحقة من دولة لمطلوبين موجودين في داخل أراضي دولة أخرى من دول المجلس.

كان التمايز العُماني والكويتي شيئا والدور الذي لعبته قطر منذ خلافة الشيخ حمد بن خليفة لوالده في منتصف العام 1995 شيئا آخر. باشرت قطر بعد 1995 بممارسة سياسة ذات طابع هجومي مستغلة كل الثغرات التي كانت موجودة في السعودية خصوصا والتي كان أفضل تعبير عنها السياسة التي اتبعتها المملكة أثناء حرب اليمن صيف 1994 وهي تسمّى "حرب الانفصال" ثم الانكفاء عن هذا البلد بعد انتهاء تلك الحرب وانتصار علي عبدالله صالح والذين وقفوا معه، من مجموعات إسلامية.

لعبت قطر دورا محوريا على الصعيد الإقليمي معتمدة على استضافة قاعدة العديد الأميركية وغياب أيّ عقدة تجاه إسرائيل في الوقت ذاته. صارت قطر في عهد الشيخ حمد بن خليفة، وإلى جانبه الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني، لاعبا أساسيا في كل مكان. من اليمن إلى ليبيا معمّر القذافي.. إلى لبنان وفلسطين، مرورا بطبيعة الحال بسوريا ومصر وحتى الجزائر. استطاعت قطر إدارة لعبة في غاية التعقيد كان من أبرز أدواتها فيها قناة "الجزيرة" والإخوان المسلمون الذين شكلوا، بفضل تنظيمهم العالمي، أفضل جهاز استخبارات في المنطقة وما يتجاوز المنطقة.

إضافة إلى ذلك، عرفت قطر كيف تقيم علاقة مع إيران تخدم أهدافها وتوحي في الوقت ذاته للإيرانيين بأنّهم قادرون على اختراق مجلس التعاون لدول الخليج العربية وأن يكون لهم صوت داخله. ألم يحضر الرئيس الإيراني أحمدي نجاد القمة الخليجية التي انعقدت في الدوحة في العام 2007 حيث سمح له بإلقاء كلمة توجيهية عصماء روّج فيها للسياحة الخليجية في إيران؟!

اللعبة التي لم تقرأ لها الدوحة حسابا

جمعت قطر بين إقامة فروع لأفضل الجامعات الأميركية في أراضيها من جهة والعلاقات القوية العميقة مع التخلف الذي يمثله الإخوان المسلمون و"حماس" و"طالبان" من جهة أخرى. كانت "الجزيرة" التي زارها شمعون بيريس على بعد كيلومترات قليلة من قاعدة العديد. وكانت في الوقت ذاته منبرا لأسامة بن لادن رمز الإرهاب العالمي.

جمعت قطر بين كلّ التناقضات في لعبة لم تحسب حساب أنّها لا بدّ من أن تنتهي يوما. كان في استطاعتها إعادة تأهيل بشار الأسد وأخذه إلى فرنسا ليكون ضيفا في احتفالات العيد الوطني. كان ذلك في مرحلة الغضب السعودي عليه إثر ضلوعه، بطريقة أو بأخرى، في جريمة اغتيال رفيق الحريري ورفاقه. كان الرئيس نيكولا ساركوزي في جيب قطر وكان مهمّا أن تكون هناك سياسة قطرية تقوم على قصقصة أجنحة السعودية.

تغيّرت الصورة الآن. هذا لا يعود إلى أن اللعبة القطرية صارت مكشوفة. الحقيقة أن اللعبة انكشفت تماما في 2013 و2014. الجديد الآن أمران. أولهما أن ليس في قطر من هو قادر على إدارة اللعبة المعقّدة والآخر أنّ في السعودية قيادة مختلفة لم تعد مستعدة لمساومات من أيّ نوع. هذه القيادة تعرف تماما معنى أن تتصدى قطر للمملكة مستخدمة قدراتها المالية حتّى في دعم "حزب الله" لدى خوضه صيف العام 2006 حربا افتعلها مع إسرائيل كان من بين أهدافها تحقيق انتصار على لبنان واللبنانيين وتغطية جريمة اغتيال رفيق الحريري.. وتوجيه الشتائم إلى زعماء الخليج.

> هناك شيء انتهى. هناك أيام مضت لم يعد فيها مكان لهامش كبير للمناورة تملكه قطر. كانت استعادة مصر من الإخوان المسلمين في منتصف العام 2013 نقطة تحول على الصعيد الإقليمي

لا شراء أسلحة أميركية أو إيطالية أو لاعب مثل البرازيلي نيمار وضمّه إلى فريق فرنسي معروف من يملكه يخدم قطر. هناك معطيات جديدة مختلفة لا مفرّ من التعاطي والتكيّف معها، إضافة بالطبع إلى الاعتراف أن المسألة ليست مسألة علاقات عامة في واشنطن وغير واشنطن والاعتقاد أن في الإمكان تهديد الخليجيين ومصر وتخويفهم عن طريق تركيا وإيران..

بعض التواضع أكثر من ضروري في هذه المرحلة. هناك شيء انتهى. هناك أيّام مضت لم يعد فيها مكان لهامش كبير للمناورة تملكه قطر. كانت استعادة مصر من الإخوان المسلمين في منتصف العام 2013 نقطة تحوّل على الصعيد الإقليمي وذلك بغض النظر عمّا إذا كان في الإمكان إنقاذ مصر كدولة تعاني من مشاكل ضخمة في المدى الطويل. يظلّ السؤال في النهاية، هل تستطيع قطر أن تكون دولة طبيعية تفرّق بين الممكن والمستحيل أم لا؟ هل تستطيع تحويل خسارتها إلى ربح بعيدا عن المكابرة من نوع القدرة على استضافة دورة كأس العالم في صيف العام 2022 وتجاهل أن كلّ شيء يمكن تغييره في العالم باستثناء الصيف الخليجي الحار؟

بعض التواضع ضروري بين حين وآخر..

أزمة في تونس تتدحرج فصولها نحو حدث سياسي غير مسبوق

الجمعي قاسمي
كاتب تونسي

❑ لم تهدأ العاصفة التي أثارها راشد الغنوشي، رئيس حركة النهضة الإسلامية في تونس، بتصريحاته الصادمة التي دعا فيها رئيس الحكومة يوسف الشاهد إلى عدم الترشح للاستحقاق الرئاسي المُقبل.

ولا يبدو أنها تتجه نحو التلاشي في قادم الأيام أو حتى احتواء رياحها التي جعلت التوجس يُسيطر على قصر الحكومة بالقصبة والارتباك يحكم أداء الوزراء والتيه يُخيّم على الأحزاب التي اقتربت من المربعات الأكثر سخونة، حتى وصلت في بعض تفاصيلها إلى مستوى تحدي البقاء من عدمه.

وتُشير التطورات إلى أن تلك العاصفة مازالت متواصلة بأشكال صاخبة تجاوزت في مفاعيلها الاشتباك السياسي التكتيكي، إلى المناورة المكشوفة التي تجمع بين استعراض القوة وإبقاء باب المساومة مفتوحا على حدود اقتسام السلطة تبعا لتطور المناخ الداخلي، ووفقا لمتطلبات الواقع الإقليمي والدولي.

ويكشف الحراك السياسي المحيط بتلك التطورات التي تسارعت في اتجاهات مختلفة أن المشهد العام في البلاد ينزلق تدريجيا نحو أزمة قد تكون أخطر وأشد وقعا، وتداعياتها القادمة أوسع وأعمق ارتباطا بالحسابات المتغيرة والمعادلات الجديدة.

وتتباين القراءات في تحديد هذه الأزمة التي يُتوقع أن تتدحرج فصولها بعناوين تختلف عن سابقاتها، ولكنها تتقاطع وتتداخل في التأكيد على أن تونس أضحت على عتبة حدث سياسي غير مسبوق قد يجعل منظومة الحكم التي برزت بعد 14 يناير 2011، قاب قوسين أو أدنى من الانهيار التام.

وتجد هذه القراءة ما يدعمها ويُعزّزها في سياق التسريبات التي تتالت حول انتهاء استعدادات الرئاسة من بلورة مبادرة تشريعية لتغيير النظام السياسي الراهن، وتحويله إلى نظام رئاسي ستعرضها على البرلمان قريبا للمصادقة عليها، بعد أن ضمنت تأييد بعض الأحزاب، وخاصة منها حركة النهضة الإسلامية التي يبدو أنها دخلت في مقايضة لتمرير هذه المبادرة.

ويرى مراقبون أن دعوة الغنوشي للشاهد بعدم الترشح للاستحقاق الرئاسي القادم ليست معزولة عن تلك المقايضة، وإنما تندرج في إطارها، تماما مثل اللقاء المفاجئ الذي جمع الخميس بين راشد الغنوشي ونورالدين الطبوبي الأمين العام للإتحاد العام التونسي للشغل، داخل مقر الاتحاد النقابي لعمال المغرب العربي بتونس العاصمة.

ورغم التعتيم على فحوى هذا اللقاء الذي لا يخلو توقيته من دلالات سياسية، فإن مُسارعة الطبوبي إلى الاجتماع برئيس الحكومة يوسف الشاهد مُباشرة بعد ذلك تستدعي التساؤل عما يُطبخ سياسيا في هذا الوقت الذي يواجه فيه الشاهد سلسلة من المناورات الصاخبة التي تستهدف إنهاء مستقبله السياسي.

ويأخذ هذا التساؤل أبعادا أوسع لسببين اثنين أولهما أن نورالدين الطبوبي كان قد رفض دعوة الغنوشي ليوسف الشاهد بالتعهد بعدم الترشح للاستحقاق الرئاسي 2019، واعتبرها "منافية لمبدأ الديمقراطية"، بينما الثاني مُرتبط بتجاهل الأحزاب السياسية التي واجهت دعوة الغنوشي بخطاب عاصف في بياناتها، لم يحجب مخاوفها من انتكاسة سياسية تنعكس سلبا على البلاد.

هل سيرضخ الشاهد للمقايضات

ومن يُتابع نشاط الأحزاب السياسية في البلاد واستنفار مسؤوليها للبحث في كيفية مواجهة تبعات تصريحات الغنوشي وتحركاته يوضح حجم الارتباك الذي يسيطر عليها، ويثبت فشلها في أن تكون رقما فاعلا في المعادلات الجديدة التي تتجه نحو إسقاط مصطلح الانتقال الديمقراطي الذي كثيرا ما اتكأت عليه في رهاناتها السياسية.

ووسط هذا المشهد الذي تتزايد فيه المخاوف من مناورات الغنوشي وتزدحم فيه المحاولات المحمومة لتصفية الحسابات بتشابكات مُركبة من المواجهات المُعلنة منها والخفية، تنتظر الأوساط السياسية خروج يوسف الشاهد عن صمته، ليوضح موقفه النهائي بعد أن بلغ القلق ذروته وانتقل إلى فصل إضافي أبعد من حدود مستقبله السياسي.

وتُطالب في هذا السياق، يوسف الشاهد بتحديد ما إذا كان يريد البقاء في موقع الأداة التابعة والمصادرة في قرارها والمرهونة بوجودها لمعيار رضا الغنوشي أو التمسك بصلاحياته الدستورية والاندفاع نحو الخروج عن السياق النمطي للدور الوظيفي الراهن.

وعلى وقع تلك الانتظارات يُرجح أن تتضح ردود الشاهد حولها بعد عيد الأضحى المبارك، من خلال طبيعة الإجراءات التي سيتخذها في علاقة بالتحوير الحكومي المُرتقب في حكومته، بمعنى هل سيكتفي بسدّ الشغور الحالي، أم سيذهب إلى تحوير واسع؟

وقبل ذلك، أيقظت تلك الانتظارات الكثير من الأسئلة الحائرة، منها هل سيقبل الشاهد برئاسة الحكومة القادمة بعد تصريحات الغنوشي، بل هل سيُسمح له أصلا بتشكيل الحكومة، أم أنه سينسحب ليفسح المجال لحكومة جديدة تكون مناصفة بين حركتي النداء والنهضة؟

> الانتظارات توقظ الكثير من الأسئلة الحائرة، منها هل سيقبل الشاهد برئاسة الحكومة القادمة بعد تصريحات الغنوشي، بل هل سيسمح له أصلا بتشكيل الحكومة، أم أنه سينسحب ليفسح المجال لحكومة جديدة تكون مناصفة بين حركتي النداء والنهضة

وتفرض هذه الأسئلة إرهاصات ثقيلة على مساحات واسعة من المشهد السياسي التونسي الذي يرقب بتوجس تطور العلاقة بين قصر قرطاج ومونبليزير حيث مقر الغنوشي، في سياق تفاهمات باريس 2013، بين قائد السبسي والغنوشي التي أتت برياح مخالفة تماما لما اشتهته القوى السياسية التي دعمت السبسي للوصول إلى قصر قرطاج في انتخابات 2014.

ورغم أن تلك التفاهمات عكست في ذلك الوقت إرادة سياسية محكومة بعوامل وارتباطات القوى المتنفذة داخل البلاد واختارت شعار "التوافق" لتمريرها، فإن عودة الحديث حولها بقوة هذه الأيام حمل الكثير من الاستدلال السياسي لتبريرها في سياق البحث عن ممرات جديدة تمكّن حركة الغنوشي من الحفاظ على حضورها والتموضع في خارطة المقاربات الداخلية القادمة لتفادي الهزات الإقليمية والدولية وحساباتها المعقدة.

الديمقراطية الصورية في أفريقيا.. تمديد وعنف وتوريث

حسابات المصالح تتحكم في مفاتيح الحل والعقد

رغم ما عاشته القارة الأفريقية من استحقاقات انتخابية من خلال توجه زعمائها إلى صناديق الاقتراع لكسب التأييد الشعبي وضمان استمرارهم في السلطة عبر الآليات الشرعية، فإن إخلالهم بوعودهم بالتنحي عن السلطة والتوجه نحو سن تعديلات دستورية للتمديد في سنوات حكمهم، كشف أن الديمقراطية في أفريقيا صورية تتحكم فيها المصالح والحسابات الخارجية، وأن التمسك بالسلطة حتى الرمق الأخير ظل يتمدد من جنوب الصحراء إلى شمالها.

د. خالد حنفي علي
باحث مصري في الشؤون الأفريقية

❑ في السابع من أغسطس الجاري رفض الرئيس التنزاني جون ماجوفولي دعوات أنصاره لتمديد حكمه إلى ما بعد الولايتين الرئاسيتين، مؤكدا احترامه للدستور، وأنه سيسلم السلطة للرئيس المقبل، عندما يحين الوقت. بعدها بيوم واحد، نجا الرئيس الجنوب أفريقي جاكوب زوما من اقتراع بحجب الثقة في البرلمان، على الرغم من تصاعد حدة الانتقادات له، سواء من قبل حزبه المؤتمر الوطني الأفريقي الحاكم أو المعارضة.

المشهدان -على اختلافهما- قد يعبران عن احترام قواعد اللعبة الديمقراطية في القارة الأفريقية، لكنهما بالمقابل لا يعكسان الاتجاه العام لظاهرة التحايل على تلك القواعد وإفراغها من مضمونها في دول أفريقية أخرى في ظل تمديد العديد من الرؤساء لولاياتهم الرئاسية عبر تعديل الدستور لتبرير شرعية الاستمرار في السلطة.

> ما فعله كاجامي ليس إلا نسخة مكررة لسيناريو سلكه قادة أفارقة آخرون في شرق ووسط وغرب القارة في تمديد ولاياتهم بتعديل الدستور أو بخرقه

إذ سبق ذلك، فوز الرئيس الرواندي بول كاجامي بولاية ثالثة في الانتخابات الرئاسية التي جرت في الخامس من أغسطس الجاري بنسبة تجاوزت الـ98 بالمئة، بعدما كان قد تم تعديل دستور البلاد في ديسمبر 2015 ليسمح له بالترشح لفترة جديدة لسبع سنوات، ثم فترتين مدة كل منهما خمس سنوات، متخليا بذلك عن وعود سابقة بتمهيد البيئة السياسية لمن سيأتي بعده، إثر قضاء ولايتين متتاليتين فاز بهما عامي 2003 و2010.

ما فعله كاجامي ليس إلا نسخة مكررة لسيناريو سلكه قادة أفارقة آخرون في شرق ووسط وغرب القارة في تمديد ولاياتهم بتعديل الدستور أو بالأحرى خرقه. فمثلا، فاز الرئيس الأوغندي يوري موسيفيني بولاية خامسة في فبراير 2016 مواصلا سيطرته على الحكم منذ أكثر من 30 عاما، كما استطاع إدريس ديبي في العام نفسه تأمين ولاية خامسة ليمدد هو الآخر حكمه منذ العام 1990.

وعلى الدرب ذاته وإن اختلفت مدد بقائهم في السلطة، سار كل من إسماعيل عمر جيله في جيبوتي وتيودورو أوبيانغ نجيما في غينيا الاستوائية وبول بيا في الكاميرون، وغيرهم.

التشبث بالسلطة حتى الرمق الأخير تمدد من جنوب الصحراء إلى شمالها في أفريقيا، فلم يمنع مرض الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة (80 عاما) بجلطة دماغية في العام 2013 وقضائه لأربع فترات رئاسية منذ العام 1999 من أن تتجه بعض التكهنات إلى احتمال ترشحه في انتخابات الرئاسة في العام القادم، حتى وهو على كرسي متحرك.

وفي الوقت الذي يواجه سيناريو التوريث من بوتفليقة إلى أخيه سعيد في الجزائر -كأحد احتمالات حل أزمة الخلافة في هذا البلد- صعوبات سواء من قبل الجيش أو المناخ الاجتماعي الرافض لتزاوج السلطة ورأس المال، فإن الغابون فعلت ذلك، دون أن تعبأ كثيرا بالانتقادات السياسية الغربية وطالما أن الأمر جاء عبر صناديق الاقتراع حتى لو صدرت بعد الانتخابات اتهامات بالتزوير.

في هكذا بيئة أفريقية تزداد شكوك المعارضة في التزام أيّ رئيس بعدم التمديد لرئاسته، فوعود الرئيس الموريتاني محمد ولد عبدالعزيز بعدم الاستمرار بعد فوزه بفترتين في عامي 2009 و2014 لم تلق مصداقية لدى المعارضة مع تمرير الاستفتاء على التعديلات دستورية في الخامس من أغسطس الجاري. ذلك أن تلك التعديلات تضمنت إلغاء مجلس الشيوخ بما يعزز سيطرة الرئيس على صنع القرار السياسي ويمهد لإلغاء القيود الدستورية على الفترات الرئاسية.

نكوص أفريقي

تلك المشاهد تعكس في مضمونها نكوصا أفريقيا عن المسار الديمقراطي بعدما لاحت نذره في تسعينات القرن العشرين تحت وطأة ضغوطات المشروطية السياسية الغربية التي تربط بين تدفق المساعدات ومدى الالتزام بالنهج الديمقراطي الليبرالي سواء التعددية الحزبية وتداول السلطة واحترام الدستور وتنظيم انتخابات دورية وانتهاج اقتصاد السوق الحر. وعزز ذلك أن الاتحاد الأفريقي يجمد عضوية أيّ دولة يتم فيها تغيير الحكم عن طريق انقلاب عسكري.

في مواجهة ذلك أظهر قادة أفارقة قدرة على الاستجابة المرنة لقواعد اللعبة الديمقراطية والاستمرار في السلطة بطرق ناعمة (صناديق الاقتراع)، وليس خشنة (قوة السلاح). واستطاع أولئك القادة تكريس قاعدة صورية للديمقراطية مفادها: دعهم يعارضون وينافسون في الانتخابات كي يحسّنوا صورتنا الخارجية لأجل المساعدات الغربية، ودعنا نستمر في السلطة بوسائلنا الخاصة عبر الانتخابات الدورية في ظل غياب البيئة الشفافة للمنافسة الانتخابية والتي يفترض أنها لب الفكرة الديمقراطية كي يستطيع الناخب التعبير عن رأيه بحرية.

لعل ذلك ما دفع الاتحاد الأوربي ذاته في نهاية الشهر الماضي إلى إلغاء خطط لمراقبة الانتخابات في أنغولا، بعد عدم التوصل إلى اتفاق مع حكومة لواندا، ومنها حرية الوصول إلى مكاتب الاقتراع.

لقد انبنى التصور الليبرالي الغربي على أن المسار الديمقراطي سينقل أفريقيا من الصراعات إلى بر السلام والأمن والتنمية، لكنه أغفل خصوصية القارة وطبيعة شبكات المصالح التي راكمتها السلطة داخليا وخارجيا، بما يحول دون تناوب ديمقراطي حقيقي. فالتعددية الحزبية تحولت إلى عباءة للعرقيات المتنافسة على السلطة والثروة، خاصة أن بناء الدولة القومية بعد الاستقلال لم ينجح في نقل الانتماءات الأولية إلى المستوى الوطني.

وبينما رضخ يحيى جامع في جامبيا في يناير الماضي لضغوط الخارج ليتخلى عن السلطة بعد خسارته للانتخابات لينهي حكمه لهذا البلد طيلة 22 عاما، فإن رؤساء آخرين قرروا ترك السلطة طواعية ولكن مع استمرار هيمنتهم في سيناريو آخر يعمق أزمة الديمقراطية الشكلية في القارة.

لا يختلف الأمر من حيث المضمون في زيمبابوي، فروبرت موغابي (93 عاما) الذي يقبض على زمام السلطة منذ العام 1980، خرج مؤخرا ليقول إنه "لا يحتضر ولن يترك الحكم"، ما دفع البعض لعدم استبعاد ترشحه لفترة خامسة في انتخابات الرئاسة في العام المقبل إن لم يداهمه الموت أو يقعده المرض تماما. حتى إن حدث ذلك، فالمساعي على أشدها لدى حزب الاتحاد الوطني الديمقراطي الأفريقي الزيمبابوي/الجبهة الوطنية الحاكم لتأمين استمرار سيطرته على السلطة، ما برز في مطالبة غريس زوجة موغابي -القيادية بالحزب الحاكم- الرئيس باختيار خليفته.

الاستحواذ على السلطة بطرق ناعمة

لذا بات من يصل إلى السلطة في أفريقيا، ولو عبر صناديق الاقتراع، يغلق الباب وراءه أمام الآخرين، ويصوغ بيئة سياسية وأمنية واقتصادية تستأثر بها قبيلته وحزبه وتصعّب حدوث انتخابات نزيهة.

على سبيل المثال اتهم الزعيم الكيني المعارض رايلا أودينغا بتزوير الانتخابات الرئاسية التي جرت في الثامن من أغسطس الجاري لصالح منافسة أهورو كينياتا. ويرى أودينغا أن الانتخابات عادة ما تسرق منه، مثلما جرى في عامي 2007 و2013. ويدعم عدم الثقة في إمكانية حدوث تناوب حقيقي أن كينياتا يتقدم في الانتخابات على الرغم من عدم نجاحه في مكافحة الفساد والبطالة والإرهاب القادم عبر جارته الصومال. بخلاف المعضلة العرقية الأكبر حيث ينتمي أودينغا إلى عرقية لوو التي تعترض على تهميشها من قبل الكيكويو، والتي ينحدر منها كينياتا وتحتكر السلطة والثروة.

اللافت أن الاضطرابات الداخلية الناتجة عن هشاشة الديمقراطية في بعض الدول الأفريقية لم تختلف في نتائجها أحيانا عمّا عرفته في زمن الانقلابات كما الحال عندما سقط 1200 شخص في الانتخابات الكينية في العام 2007 إثر خسارة أودينغا آنذاك، ونقل احتجاجاته على التزوير إلى الشوارع.

وبالمثل أيضا فإن الانتخابات الأخيرة في زامبيا في العام 2016 والتي فاز فيها إدغار لونغو على زعيم المعارضة هاكندي هيشيليما شهدت عنفا واتهامات بالتزوير. بل إنها قادت الأخير إلى الاعتقال بتهمة الخيانة في أبريل من العام الجاري وفرض حالة الطوارئ التي تم تمديدها الشهر الماضي.

بدورها أسهمت بعض المعارضات الأفريقية في تكريس هشاشة الديمقراطية بسبب انشقاقاتها الداخلية، ما دفع -مثلا- زعيم المعارضة الرئيسية في زيمبابوي مورغان تشانغيراي إلى التحالف مع حلفائه السابقين للاتفاق على ميثاق انتخابي لمواجهة موغابي في الانتخابات القادمة أملا في إنهاء قبضته على البلاد.

صناديق دون مكاسب

تكمن المعضلة الحقيقية للمسار الديمقراطي الأفريقي في عدم تحوله إلى مكاسب اقتصادية واجتماعية حيث ظلت "سياسة ملء البطون" -التي يصف عبرها جان فرانسو بيار ظاهرة الفساد الأفريقي- منتشرة في كافة مفاصل الدولة، مع غياب المساءلة وهيمنة الأحزاب الحاكمة على البرلمان لمدد طويلة.

حتى أننا نجد دولا نفطية مثل غينيا الاستوائية تعيش غالبية سكانها تحت خطر الفقر في وقت يمسك الرئيس تيودور أوبيانغ نجيما (74 عاما) بزمام السلطة منذ العام 1979، ويفوز بجميع الانتخابات الرئاسية ويعين نجله نائبا له.

فيما لم يؤد ظهور النفط في تشاد في العام 2003 إلى تحسين أوضاعها سكانها الفقراء، مع هيمنة إثنية الزغاوة التي ينتمي لها الرئيس إدريس ديبي على السلطة والثروة والمناصب الرئيسية في الجيش وحزب الحركة الوطنية للإنقاذ.

صحيح أن بعض الرؤساء الأفارقة المتمسكين بالسلطة حققوا إنجازات اقتصادية معترف بها دوليا مثل بول كاغامي في رواندا حتى أن البعض يصفه بالدكتاتور العادل، لكن ذلك قد لا يكون مبررا لتمديد رئاسته وتحدي الدستور.

فنزويلا.. صراعات داخلية تضع البلاد على شفا الانهيار

❑ **بوغوتا (فنزويلا)** – تشهد فنزويلا أزمة ليست عادية بل تبدو الأخطر منذ وفاة الرئيس السابق هوغو تشافيز عام 2013، حيث تجاوزت الأزمة البعد الإقليمي وبدأت تأخذ منحى دوليا.

والسؤال الذي يجب أن نطرحه في هذا السياق هو كيف ينبغي لنا فهم مغزى تلك المعضلة التي يشاهدها العالم أجمع حاليا؟ لا شك أن الإجابة عنه تفرض علينا أولا تقديم لمحة عامة عن فنزويلا، حتى يتسنى لنا فهم الأزمة بكافة مشكلاتها وعواملها ومآزقها.

في البداية لا بد من التأكيد على أن جذور الأزمة في فنزويلا تعود إلى تلك الخلافات التي دبت داخل الحزب اليساري (الحزب الاشتراكي الموحد) الحاكم في البلاد، بمجرد موت هوغو تشافيز.

فبعض الأسماء القوية داخل الحزب كانت ترى في نيكولاس مادورو الخليفة القوي لتشافيز. فمادورو الذي يعرف على سبيل التحقير باسم "سائق الحافلات"، كان مقربا للغاية من الرئيس الراحل، لكنه لم يستطع يوما أن يكون مثله على الإطلاق.

وحينما جاء إلى سدة الحكم لأول مرة، بدأ الناس ينظرون إليه باستخفاف متسائلين "هل هذا الرجل يمكنه أن ينجح؟"، لكنّ عزاءهم الوحيد هو أن الحزب الذي يقف خلفه ويدعمه، كان سيستمر في تحسين أوضاع البلاد.

ولا جرم أن مادورو لم يستطع بأي حال من الأحوال تحقيق السيطرة والاحترام الكاملين في الحزب، حتى وإن كانت شوكته قد أخذت تقوى بمرور الوقت.

وباتت الصراعات على الساحة الداخلية سببا رئيسا من أسباب سوء إدارة البلاد، كما أنها ذهبت بفنزويلا إلى سلسلة من الأزمات الداخلية. ناهيك عن الانخفاض السريع في أسعار النفط، وما صاحب ذلك من أزمة اقتصادية.

وبرز الفساد في مقدمة الأحداث المتسارعة. وتحولت الأزمة التي طرأت على السياسة الداخلية في فنزويلا مع الوقت إلى مشكلة عجز الساسة عن إدارتها، كما استشعر الشعب آثارها على المستويين الاقتصادي والاجتماعي. وبدا جليا أن العديد من الجهات الخارجية التي قدمت دعما لفنزويلا، مثل إيران وروسيا والصين، لم تكن علاقاتها مع مادورو كما كانت مع الرئيس الراحل تشافيز، وهذا يعني أن الدعم الخارجي لفنزويلا بدأ يتقلص مع مرور الوقت.

غاب الاستقرار في فنزويلا بغياب تشافيز

كل هذه التطورات الداخلية والخارجية أثرت بشكل مباشر على سياسة فنزويلا وصورتها ومدى حضورها في المنطقة. وفي 2015 عندما بدأت تسوء الأمور بشكل كبير في الداخل، حيث سيطرت المعارضة على الأغلبية داخل البرلمان.

وطالب البرلمان بحقه في الإدارة العليا؛ لكن كل الصلاحيات مجتمعة في يد الرئيس.

وفيما يخص مأزق المعارضة فقد تشرذم هذا الكيان على خلفية ما اتبعه من سياسات، كما أنه بات ساحة لنشوب حروب "الأنا" التي خاضها قادة معارضون كانوا قد كشفوا عن أنفسهم في الفترة التي ساد فيها اعتقاد راسخ بأن مادورو سيترك سدة الحكم ويرحل.

ورغم الخسارة الكبيرة التي مني بها مادورو في انتخابات 2016 فإنه دافع على بعض من قوته، ما دفع المعارضة إلى اتباع سياسة جديدة من أجل الحصول على نتائج إيجابية في المواجهة مع الحزب الحاكم، لذلك لجأت إلى حشد الناس وتشجيعهم على النزول إلى الشوارع.

لكن المظاهرات التي اندلعت وقتل فيها العشرات، على عكس المتوقع، لم تقرّب الشعب الفنزويلي من المعارضة بل أضعفت حضورها لديه بسبب اتجاهها للعنف وبحثها عن مصالحها الشخصية.

وفي تلك الأجواء اتجهت البلاد إلى انتخابات الجمعية التأسيسية، وتمكن الحزب الحاكم من تحقيق الفوز دون مشاكل وبالشكل الذي أراده مادورو.

وأعلن مادورو نهاية يوليو الماضي عن فوز معسكره في انتخابات الجمعية الجديدة التي ستعمل على إعادة صياغة الدستور وسط انتقادات دولية، في وقت تعهدت فيه المعارضة بمواصلة الاحتجاجات رغم وقوع اشتباكات دامية.

ويتعين مع هذه المرحلة أن تتحرك القوى الإقليمية والدولية التي تسعى لحل أزمة فنزويلا في صمت بسبب عملية السلام في كولومبيا، وإلا فإن البلاد ستشهد مرحلة حرجة يكثر فيها الجدل دون البحث عن حلول جذرية، كما هو الحال في سوريا، وبالتالي ستشهد أمام أعيننا انهيار دولة بحجم فنزويلا.

وواضح للعيان أن الرئيس الحالي كسب كافة المعارك التي خاضها حتى الآن لكن نظرة الشعب له تزداد سوءا، كما أن المعارضة مازالت تعطي انطباعا للمواطنين بأنها "غير مسؤولة". ولعل طلبها الدعم من الخارج أو حتى سعيها للمطالبة بعمل انقلاب عسكري يبعدها كثيرا عن الشعب وعن الواقعية.

الوقت وحده كفيل بتوضيح ما ستؤول إليه تلك الأزمة في فنزويلا وكيف ستنتهي. لكن رغم كل هذه التطورات يجب ألا ننسى أن الجيش لا يزال قويا وأن احتمال تدخله بات وشيكا، لا سيما إذا خرجت الأمور على نطاق السيطرة.

محافظ عدن الذي يدخل السياسة من باب الاقتصاد

عبدالعزيز المفلحي

شيخ قبلي يرى الوحدة اليمنية لقاء بين نظامين قمعيين لا أكثر

صالح البيضاني

❑ **عدن** – خبير اقتصادي وسياسي عقلاني تولى قيادة العاصمة اليمنية المؤقتة عدن في ظرف يوصف بأنه شديد الحساسية، وفي أجواء من الصراع السياسي المستعر والتراجع الاقتصادي والفوضى الأمنية التي تعم اليمن.

يرى البعض أنه الرجل المناسب الذي تم تعيينه في الوقت المناسب نظرا لحجم التحديات التي قد تحول بينه وبين النهوض بمدينة عدن التي خرجت للتو من سعير حرب أشعلها الحوثيون عقب اجتياح المدينة في مارس 2015 والفرار منها بعد خمسة شهور تقريبا من المعارك في شوارعها والتي أتت على الكثير من مقومات البنية التحتية وخلفت دمارا هائلا شوه وجه المدينة الحضاري.

ولد عبدالعزيز عبدالحميد المفلحي في عام 1957 في منطقة خلة في محافظة الضالع، والتابعة لمشيخة مكتب المفلحي أحد المكاتب القبلية العشرة ليافع التي ينحدر منها وعاد إلى القبيلة التي تتسنّم فيها أسرته الزعامة القبلية وهو طفل صغير ليمكث فيها حتى سن الخامسة قبل أن ينتقل إلى العاصمة عدن لدراسة المرحلتين الابتدائية والإعدادية.

> بعض وسائل الإعلام الإخوانية حاولت ابتسار وتوجيه بعض تصريحات المفلحي في اتجاه مغاير لخدمة أجندات سياسية معينة

غير أن الأجواء في عدن الماركسية آنذاك لم تكن لصالح الطفل في مناخ مشحون ضد ما كان يسمى ببقايا البرجوازية وأبناء المشايخ والسلاطين ورجال المال ما جعله ملاحقا من قبل النظام الاشتراكي في الجنوب، فغادر في تلك المرحلة إلى مدينة تعز في شمال اليمن حيث أكمل دراسته الثانوية.

قائد طلابي

في مدينة تعز التي كانت تفتح أيديها للفارين من ملاحقات النظام في الجنوب في ذلك الحين، انخرط الشاب المفلحي في العديد من الأنشطة الشبابية والثقافية والرياضية، ومنها على سبيل المثال تأسيسه للقيادة العامة للكشافة والمرشدات في محافظة تعز، والمساهمة في تأسيس جمعية الكشافة اليمنية، كما أقام في تلك المرحلة المبكّرة من حياته أول معسكر للتشجير في شمال اليمن.

واستمرت الروح القيادية تلاحق الشاب الحالم الذي انتقل لدراسة البكالوريوس في العاصمة المصرية القاهرة وإلى جانب التحاقه بجامعة القاهرة لدراسة الاقتصاد والعلوم السياسية زاول العديد من الأنشطة الطلابية، وتم انتخابه عضوا في الهيئة الإدارية لرابطة طلاب اليمن الموحدة التي كانت تضم طلاب اليمن شمالا وجنوباً، وتم انتخابه في العام 1980 رئيسا للرابطة، حيث عرف بعمله الدؤوب على خدمة الطلاب اليمنيين في مصر.

وعن ذلك يروي وزير الثقافية اليمني الأسبق خالد الرويشان قصة أول لقاء جمعه بالمفلحي "كنا طلبة جُددا وغرباء على مصر في عام 1984 حين استقبلنا في مطار القاهرة شابٌ شديد الحيوية ذو ابتسامة مشرقة لن تنساها بعد ذلك أبدًا بسيارته الأنيقة الزرقاء أوصلنا لشقته، وكان الغداء جاهزًا. وخلال ساعات كان قد استأجر شقتا للطلبة القادمين الجدد بمنتهى الحرص والخوف على كل طالب وخلال أيام كان قد حلّ كثيرا من مشاكل قبول الطلبة في جامعتي القاهرة وعين شمس".

رجل اقتصاد وإدارة

أنهى المفلحي مشواره الدراسي في القاهرة وقرر تطبيق ما تعلمه في الاقتصاد وكانت السعودية في تلك الفترة تشهد حالة من الطفرة والنمو الاقتصادي، فقرر الانتقال إليها للعمل مع رجال الأعمال المنحدرين من أصول يمنية، وكان أول عمل يتولاه مديرا لقسم العملاء في إحدى وكالات شركات السيارات العالمية بدءا من العام 1985 وبشكل تصاعدي تدرّج في المناصب القيادية في الشركة حتى تولى إدارة أكبر فروعها في الرياض بين عامي 1987 و2003، ثم مساعدا لمدير عام الشركة بالمملكة العربية السعودية حتى العام 2008 حين قدم استقالته.

وخلال فترة عمله لم تنقطع علاقة المفلحي واهتماماته بتطوير مهاراته الاقتصادية والإدارية، حيث شارك في العديد من المؤتمرات الاقتصادية والعلمية في مختلف أنحاء العالم، وهو ما أهّله للحصول على العديد من الجوائز والعضويات الهامة حيث حاز على شهادة كواحد من أفضل الإداريين العالميين في دعم المشاريع الصغيرة في عام 1997 وجائزة "هو إز هو؟" بارون من ضمن أفضل 500 عقل في القرن الحادي والعشرين، وحصل كذلك على شهادة دولية كواحد من أفضل 500 شخصية اقتصادية في العالم وأفضل 500 شخصية مالية وإدارية في العالم، وتم اختياره من أهم 500 قيادي في العالم للقرن الـ21. كما تم اختياره في عام 2011 مع الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما من الشخصيات التي حققت إنجازات في مختلف القطاعات في حياتها.

واختير بين عامي 2002 و2005عضوا في المكتبة العالمية "بي دبليو دبليو"، وحاز كذلك على جائزة السلام العالمية في العام 2005 من المؤتمر الثقافي المتحد في الولايات المتحدة الأميركية. لم تكن ممارسة النشاط السياسي هاجسا ملحا لدى المفلحي خلال مسيرة حياته إلا بقدر ما تقتضيه الحاجة، فقد رأى أن معظم المشاكل التي يعاني منها اليمن ذات طابع اقتصادي واجتماعي في المقام الأول وهو ما جعله يهتم بالاقتصاد والإدارة، مع الانخراط في العمل السياسي الملحّ الذي بدأه مبكرا من خلال التحاقه بصفوف الجبهة القومية منذ كان في سن السابعة عشر حتى عام 1965، قبل أن يقرر الانضمام لجبهة التحرير والتنظيم الشعبي التي كانت في صراع وتنافس مستمر مع الجبهة القومية.

السياسة بعين الاقتصاد

مغادرة المفلحي للجبهة القومية وذهابه لجبهة التحرير انتهت بانتصار الأولى وسيطرتها على مقاليد الأمور في جنوب اليمن عقب مغادرة بريطانيا عدن في العام 1967، وهو التاريخ الذي بدأت فيه مشاكل المفلحي وغيره من أبناء شيوخ القبائل والسلاطين مع الجناح اليساري في الجبهة القومية، الأمر الذي انتهى بفراره بحياته إلى شمال اليمن قبل أن يحكم عليه بالإعدام من قبل النظام الاشتراكي في العام 1974.

منذ السبعينات من القرن العشرين تفرّغ المفلحي للدراسة وتطوير خبراته الاقتصادية والقيادية، ولم يلتحق بأيّ تجمع سياسي، واقتصرت مشاركاته على إبداء الرأي، كرجل أعمال وشيخ قبلي يحظى بمكانة اجتماعية مهمة في مسقط رأسه، وفي هذا السياق تسجّل له بعض المواقف التي عبّر عنها بشكل محدود مثل موقفه من قيام الوحدة اليمنية في العام 1990 والتي نظر إليها من زاوية اقتصادية وفنية باعتبار الأسلوب الذي قامت عليه لم يكن ناضجا وكان نتيجة التقاء مصالح نظامين كان يصفهما بالقمعيين.

وقد ذهب البعض إلى أن رؤية المفلحي التشاؤمية للوحدة الاندماجية ظهرت بعد ذلك بأربع سنوات فقط من خلال حرب صيف 1994 التي نقلت موقف المفلحي من معارض لطريقة إعلان الوحدة وسلوك الطرفين الموقعين عليها، إلى مناصرة القضية الجنوبية التي أخذت في التصاعد وأخذت منحى مغايرا في العام 2007 بعد الإعلان عن الحراك الجنوبي السلمي.

وبالرغم من تأييد المفلحي للحراك الجنوبي إلا أنه نأى بنفسه عن الانضمام لأيّ مكوّن أو تجمع سياسي في تلك الفترة الحرجة، كما رفض بالمقابل تولي أيّ منصب حكومي رسمي سواء في زمن الرئيس السابق علي عبدالله صالح أو في عهد الرئيس عبدربه منصور هادي.

وفي مارس 2013 أعلن اسم المفلحي ضمن قوام أعضاء مؤتمر الحوار الوطني الشامل، فردّ من القاهرة بتصريح استغرب فيه الزج باسمه ضمن قائمة المشاركين في المؤتمر واعتبر من مقر إقامته في القاهرة أن "هدف حشر اسمه محاولة رخيصة لتشويه سمعته" واعتذر لاحقا في رسالة رسمية للرئيس عبدربه منصور هادي عن المشاركة في الحوار. غير أن تحفظ المفلحي على المشاركة في الحياة السياسية لم يدم طويلا، فقد عاد للواجهة من خلال لقاءاته المتكررة بالرئيس عبدربه منصور هادي في الرياض في العام 2015 وهو الأمر الذي انتهى بتعيينه مستشاراً للرئيس اليمني في أكتوبر2015، وظل يعرف خلال تلك المرحلة بتصريحاته المتزنة ومواقفه غير الحدية تجاه القضايا والخصوم.

محافظا لعدن

كان الأسى يعتصر المفلحي وهو يشاهد المدينة التي احتضنت الجزء الأهم من فترة تكوينه الثقافي والمعرفي تمرّ بحالة من الصراع السياسي والانهيار الاقتصادي والخدمي. وربما كانت العلاقة الشخصية الحميمة بينه وبين عدن هي السبب الوحيد الذي دفعه للموافقة على تسلّم أول منصب رسمي له في ظل ظروف بالغة التعقيد وفي مرحلة شديدة الاستقطاب وهي الأمور التي ظل ينأى بنفسه عنها طول مسيرته السياسية.

وفي الـ27 من أبريل من العام 2017 صدر قرار الرئيس عبدربه منصور هادي بتعيين المفلحي محافظا لعدن، وهو الأمر الذي تقبله من خلال مغادره الرياض إلى العاصمة اليمنية المؤقتة والشروع في القيام بدور ما لتحسين الوضع الاقتصادي والخدمي في المدينة المنهكة بالتوازي مع التأكيد المستمر عن متانة علاقته بالمحافظ السابق والقضية الجنوبية التي تجمعهما معا، وهو الأمر الذي ساهم في تقليص حدة التوتر وإفساح المجال للمفلحي لتطبيق خطته العاجلة التي تواجه بسيل من الإشاعات السياسية التي يتغاضى عن الرد عن معظمها ويردّ على الجزء القليل منها الذي يشعر أنه يمكن أن يسيء لعدن وليس له بشكل شخصي، ومن ذلك محاولة بعض وسائل الإعلام الإخوانية ابتسار وتوجيه بعض تصريحاته في اتجاه مغاير لخدمة أجندات سياسية معينة.

> المفلحي يعد واحدا من أفضل 500 شخصية اقتصادية في العالم وأفضل 500 شخصية مالية وإدارية في العالم، وقد تم اختياره من أهم 500 قيادي في العالم للقرن الـ21. كما اختير في العام 2011 مع الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما من الشخصيات التي حققت إنجازات في مختلف القطاعات في حياتها

● المفلحي يعرفه اليمنيون جيدا ويعرفون رفضه الدائم لتولي أي منصب حكومي في زمن الرئيس المخلوع علي عبدالله صالح أو حتى في بدايات عهد الرئيس عبد ربه منصور هادي.

● الأجواء في عدن "الماركسية"، فترة نشأة المفلحي، لم تكن لصالح الطفل في مناخ مشحون ضد ما كان يسمى ببقايا البرجوازية، ما جعله ملاحقا من قبل النظام الاشتراكي.

المحققة التي تطلب المافيا الدولية رأسها

كارلا ديل بونتي

تغادر واصفة ما يحدث في سوريا بأنه تجاوز فظائع رواندا والبوسنة

توفيق الحلاق

❑ **واشنطن** – على غير عادة الدبلوماسيين والحقوقيين الدوليين الذين يحافظون على مظهرهم الجاد والمحايد، بدت كارلا ديل بونتي عضو لجنة التحقيق المستقلة التابعة لمجلس حقوق الإنسان في منظمة الأمم المتحدة حزينة إلى أبعد الحدود.

ديل بونتي قالت خلال مقابلة أجرتها معها صحيفة سويسرية في مسقط رأسها كانتون تيسان "أنا محبطة، لقد استسلمت. لقد كتبت استقالتي وسأرسلها في الأيام المقبلة"، وأضافت "لم يعد بإمكاني أن أبقى في هذه اللجنة التي لا تستطيع فعل شيء، لقد وصلتُ إلى نتيجة وهي أن أعضاء مجلس الأمن لا يرغبون في تحقيق العدالة في سوريا".

المحققة السويسرية تقول في تصريحات مفاجئة «أنا محبطة، لقد استسلمت وكتبت استقالتي. لقد وصلت إلى نتيجة وهي أن أعضاء مجلس الأمن لا يرغبون في بتحقيق العدالة في سوريا». (في الصورة المافيا الإيطالية تشتم ديل بونتي وتتظاهر ضدها)

كان حزنها مفهوما ومبرراً فقد بذلت جهوداً جبارة خلال الأعوام الخمسة الماضية مع فريقها لتوثيق جرائم الحرب التي اجتاحت سوريا بعدما انضمت في سبتمبر 2012 إلى لجنة تحقيق مستقلة تابعة للأمم المتحدة شكلت في أغسطس 2011 بعد بضعة أشهر على بدء الثورة في سوريا. ومع ذلك لم تصل تلك الجهود إلى تحقيق العدالة وشعرت بأنها لن تصل أبداً.

«لا بوتانا» عدوة المافيا

ولدت ديل بونتي في 9 فبراير 1947 في لوغانو، بكانتون تيسينو بجبال الألب السويسرية. ودرست القانون في بريطانيا وجنيف وبرن وحازت على الماجستير. وهي تتقن اللغات الإنكليزية والإيطالية والألمانية والفرنسية. وبعد إنهائها لدراستها انضمت إلى شركة محاماة في لوغانو، وغادرتها في العام 1975 لتؤسس شركة خاصة بها، ثم انضمت لاحقا لمكتب الادعاء العام السويسري لتحقق في قضايا ضد عصابات الجريمة المنظمة. ولأن سويسرا تتمتع بمكانة مالية عالمية فقد كان لوظيفة ديل بونتي مكانة خاصة خارج سويسرا إلى الدرجة التي أطلقت عليها المافيا الإيطالية لقب "لا بوتانا" أو "المومس"، لتصبح أول شخصية عامة سويسرية تتنقل بسيارة مصفحة ومواكبة أمنية مستمرة. فقد تعرضت لمحاولة اغتيال عندما كانت برفقة القاضي الإيطالي جيوفاني فالكوني الذي كان متخصصا بتعقب المافيا الإيطالية، حين عثرت الشرطة الإيطالية على نحو 100 كيلوغرام من مادة السمتك المتفجرة أسفل منزله وتم إنقاذهما.

صاروخ غير موجه

بعد انتهاء سنيّ خدمتها الخمس في مكتب الادعاء العام السويسري، انضمت ديل بونتي لمحكمة جرائم الحرب الدولية في يوغسلافيا السابقة ومحكمة العدل الدولية لجرائم الحرب في رواندا، لتتعامل وجها لوجه مع مجرمي الحرب كمدّعية. وفي حوار لها أجرته في أواخر 2001 عن جرائم الحرب التي حدثت في التسعينات من القرن العشرين قالت ديل بونتي "إن تحقيق العدالة من أجل الضحايا والناجين يتطلب جهودا حثيثة على المستويين الدولي والقومي". لكنها في 30 يناير 2007 أعلنت في بيان عن نيتها الاستقالة كرئيسة لمكتب الادعاء في المحكمة الدولية لجرائم الحرب في يوغسلافيا السابقة بنهاية تلك السنة، حيث ذكرت في البيان "حان الوقت للعودة إلى حياتي العادية".

اشتهرت ديل بونتي بصرامتها الشديدة في عملها وأطلقت عليها عدة ألقاب منها "الغستابو الجديد" و"الصاروخ غير الموجه". فهي كانت قد اتهمت الفاتيكان مثلا وبشجاعة نادرة في عام 2005 بمساعدة أحد المطلوبين بجرائم الحرب في كرواتيا لتجنيبه الاعتقال.

وبالعودة إلى القضية السورية فقد عرضت لجنة التحقيق الدولية المستقلة المعنية يوم الثلاثاء 1 مارس 2016 تقريرا مأساويا عن معركة حلب التي انتهت في ديسمبر من العام نفسه. وأصدرت السويسرية ديل بونتي عضو اللجنة أن المجموعات المسلحة والقوات الحكومية السورية وحليفها الروسي على حدّ سواء يتحملون مسؤولية جرائم الحرب التي ارتكبت في حلب. ذلك التقرير غطى الفترة الممتدة من 21 يوليو 2016 تاريخ بدء حصار مدينة حلب من طرف القوات التابعة للنظام إلى 22 ديسمبر من نفس العام، تاريخ استعادة المدينة وتوصل في خلاصته إلى أن "جميع الأطراف ارتكب انتهاكات خطيرة للقوانين الإنسانية الدولية وتشكل أساسا لجرائم حرب".

اللافت أنها المرة الأولى التي تشير فيها اللجنة التي يترأسها البرازيلي باولو بينهيرو بأصابع الاتهام مباشرة إلى النظام السوري بخصوص قصف قافلة إنسانية في شهر سبتمبر 2016 قرب حلب. وطبقا للتقرير الجديد، فإن "جميع التقارير وكل صور الأقمار الاصطناعية وكافة الشهادات وتقارير الطب الشرعي على الميدان تشير إلى تورط القوات السورية التي يتهمها التقرير بأنها تعمّدت استهداف القافلة".

وكانت دمشق، مثلما هو الحال بالنسبة إلى روسيا، قد نفت على الدوام تورطها في الحادثة. كذلك في التقارير المتتالية التي أعدتها على مدى السنوات الماضية، قامت اللجنة بتوثيق المسؤولية الهائلة لنظام بشار الأسد عن الفظائع المرتكبة.

وفي حوار أجرته مع ديل بونتي القناة العمومية السويسرية الناطقة بالفرنسية قالت "لقد مرت ستة أعوام ونصف والأسد يتحمل المسؤولية عن عدد كبير من القتلى المدنيين. لا بد من محاكمة الأسد، إنه على رأس قائمة المجرمين".

وفي وقت لاحق من هذا الشهر، أغسطس الجاري، أعرب الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس عن شعوره بالأسف لاستقالة العضو البارز في لجنة التحقيق المستقلة في سوريا ديل بونتي، ونقلت قناة فوكس نيوزالإخبارية الأميركية عن المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة تشديده على ضرورة محاسبة المسؤولين عن ارتكاب جرائم بحق المدنيين خلال الحرب الدائرة في سوريا، وأشار المتحدث إلى اعتقاد غوتيريس أن "مبدأ المحاسبة يمثل عاملا حاسما، اشتغلت عليه لجنة التحقيق".

وأضاف أن غوتيريس يشعر بالامتنان لعضوة اللجنة المستقيلة ديل بونتي إزاء الخدمات التي قدمتها خلال عملها في اللجنة، بوصفها إحدى المدافعات بلا هوادة عن مبدأ المحاسبة على مدار مسيرة عملها الطويل. ولعل غوتيريس كان يشير إلى نجاحها بمثول رئيس دولة للمرة الأولى أمام القضاء الدولي بجرائم حرب وهو الرئيس الصربي السابق سلوبودان ميلوسيفيتش حين عينت مدعية عامة للمحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة أواخر عام 1999.

جبهة النصرة وداعش

إلى جانب جرائم نظام الأسد فقد أكدت ديل بونتي بخصوص انتهاك حقوق الإنسان في سوريا أن المجموعات المتطرفة التي تقاتل في سوريا لا تتوقف عن الازدياد ووصل عددها إلى 700 مجموعة.

وتوضح ديل بونتي في مقابلة مع وكالة "إيتار تاس" الروسية نشرت يوم 20 يونيو الماضي "إن مأساة الشعب السوري تتعاظم بسبب المرتزقة الأجانب ومجموعات جبهة النصرة والدولة الإسلامية في العراق والشام".

وأضافت أن تلك المجموعات المختلفة التي تنشط في سوريا "ليست لديها قيادة موحدة، إنها مجموعات متطرفة تقتل وتعذب وتحاصر المدن".

واعترفت ديل بونتي بأن عدد "المتطرفين والمرتزقة الأجانب الذين يأتون إلى سوريا يتزايد ومستوى مشاركتهم في الصراع السوري يزداد أيضاً"، موضحة أن الهدف الرئيسي للمتطرفين القادمين إلى سوريا هو "إنشاء دولة الخلافة الإسلامية". وأضافت ديل بونتي "إن بعض هذه المجموعات يحارب بعضه بعضا ويقاتل من أجل فرض سيطرته على الأراضي لتنشر قوانينه، معتبرة أن كل ما يحدث في سوريا ينعكس سلباً على السكان المدنيين "الأزمة تتعمق وتصبح أكثر قساوة ولا أحد يهتم بالمدنيين".

إن عدد الجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب، كما ترى ديل بونتي، في زيادة على الرغم من جميع قرارات مجلس الأمن. وقالت "إن إيصال المساعدات الإنسانية غير ممكن تقريباً، وشددت ديل بونتي على أن أفكارها كنائب عام سابق كانت دائما إلى جانب ضحايا النزاع المسلح.

وتقول ديل بونتي "أنا لم أر مثل هذا النزاع لا في يوغسلافيا ولا في رواندا. لا وجود لطرفي نزاع في سوريا، بل هناك فوضى لنزاع مسلح وهذا أمر يصعقني"، وتتابع "لنأخذ على سبيل المثال التعذيب، لم أر في يوغسلافيا هذه الأساليب الفظيعة للتعذيب، لأنه في يوغسلافيا كان الناس يقتلون أما هنا فقبل قتل الإنسان يتعرض للتعذيب والتجويع قبل أن يموت".

شهادة ديل بونتي حول الوضع الميداني في سوريا ذات طابع مميز، تقول فيها "هذا ما عرفته عندما استمعت إلى الشهادات وهذا ما تقوم به القوات المعارضة والحكومية، الناس يتعرضون للتعذيب في أماكن الاعتقال وعلى الحواجز في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة والحكومة".

وتابعت "في البداية كان هناك الخير والشر فكانت المعارضة من جهة الخير والنظام يلعب دور الشر. جميع الأطراف الآن في سوريا تصطف في جهة الشر. المعارضة لم تعد تضم إلا المتطرفين والإرهابيين. صدقوني لم أر مثل الجرائم الفظيعة التي ارتكبت في سوريا".

حدود العدالة

هذه الاستقالة المدوية للمحققة الدولية ديل بونتي كشفت حدود العدالة الدولية. ولفتت صحيفة "لاكروا" الفرنسية إلى أن لجنة التحقيق الدولية، بالرغم من منعها من ممارسة عملها داخل الأراضي السورية، فقد استطاعت من خلال شهادات اللاجئين السوريين إثبات لجوء الدولة السورية إلى سياسة تعذيب ممنهجة داخل فروع المخابرات العسكرية والسياسية ولدى سلاح الجو.

وباتت اللجنة، اليوم، تملك لائحة بأسماء المسؤولين من أعلى هرم السلطة في سوريا إلى أسفله لكنها تصطدم بحق النقض الروسي داخل مجلس الأمن الذي منع مجلس الأمن من تكليف المحكمة الجنائية الدولية بملاحقة المسؤولين السوريين. لقد شعرت كارلا ديل بونتي بالحزن والإحباط من عجز مجلس الأمن عن تحقيق العدالة وربما تساءلت دون أن تصرّح "من الذي سيحقق العدالة إذن؟ ومن الذي سيحاكم بشار الأسد؟".

لجنة التحقيق الدولية تمتلك، اليوم، حسب ديل بونتي، لائحة بأسماء المسؤولين من أعلى هرم السلطة في سوريا إلى أسفله لكنها تصطدم بحق النقض الروسي داخل مجلس الأمن الذي منع مجلس الأمن من تكليف المحكمة الجنائية الدولية بملاحقة المسؤولين السوريين

● ديل بونتي تشتهر بصرامتها الشديدة في عملها وأطلقت عليها عدة ألقاب منها "الغستابو الجديد" و"الصاروخ غير الموجه". فهي كانت قد اتهمت الفاتيكان مثلا وبشجاعة نادرة في عام 2005 بمساعدة أحد المطلوبين بجرائم الحرب.

● ديل بونتي تكشف عن أن مأساة الشعب السوري تتعاظم بسبب من سمتهم "المرتزقة الأجانب ومجموعات جبهة النصرة وداعش". (في الصورة ديل بونتي تشارك في مسرحية هاملت مع شخصية هتلر). (المصدر يوتيوب)

صاحب عزيمة يبرهن على أن الإعاقة ليست في الأجساد

ياسين الزغبي

حمل هموم بسطاء المصريين للرئيس وأحرج السياسيين

أحمد حافظ

❑ القاهرة – لا تخلو المجتمعات العربية من وجود فئات اعتادت بث اليأس والإحباط في النفوس، ولم تفكر في صنع الفارق، لا لأنفسها ولا لغيرها بنشر الأمل والعزيمة لمواجهة الصعاب والأزمات، ربما لأنهم اعتادوا الاعتماد على غيرهم في كل شيء، وعلى أن المبادرة بالنسبة إليهم تأتيهم دائمًا من الآخرين.

في مصر، تتّسع حاليًا دائرة السوداويين الذين يزرعون اليأس لتوظيفه بشكل سياسي، ومنهم قوى حزبية مختلفة، بل وأيضًا نواب بالبرلمان تخاذلوا عن القيام بواجبهم الخدمي تجاه الشارع، ما أفقد الناس الأمل في الأفضل لغياب الشخص القادر على أن يكون همزة الوصل بين الحاكم والمحكوم.

ساعي بريد البسطاء

الشاب المصري صاحب الساق الاصطناعية ياسين الزغبي كان همزة الوصل هذه بين الناس ورئيس الدولة فأصبح حديث الساعة في الشارع المصري، بعدما قرر أن يطوف محافظات الوجه البحري (الإسكندرية، كفر الشيخ، البحيرة، مرسى مطروح، الغربية) على دراجة بخارية يجمع شكاوى وطموحات الناس حتى يسلمها للرئيس عبدالفتاح السيسي يدًا بيد، برغم بتر إحدى ساقيه قبل 7 سنوات ولجوئه إلى تركيب ساق اصطناعية.

> كثير من المصريين يرون أن أسلوب التظاهر والاحتجاج لم يعد السبيل الوحيد ولا الأمثل لتوصيل الرسائل للمسؤولين، فهناك طرق أخرى أكثر جدوى وفاعلية ورقيا أصبحت تجبر الحكومة على أن تسمع وتستجيب للمطالب التي تحظى بدعم مجتمعي وتعاطف شعبي يصعب على أي مسؤول أن يغفله

خلال المؤتمر الدوري الرابع للشباب الذي عُقد بالإسكندرية على ساحل البحر المتوسط مؤخرًا، فوجئ الحضور بالمؤتمر من النخبة والسياسيين والمفكرين ونواب البرلمان ورؤساء الأحزاب وممثلي الفئات الشبابية ومعهم وزراء ومحافظون بعرض فيلم تسجيلي للشاب الزغبي وهو يتجول بدراجته في كل شوارع وقرى ونجوع المحافظات الخمس، متحديًا إعاقته، ليسأل الناس "ماذا تريدون لحياتكم، ولدينتكم، ولوطنكم؟".

وظهر الشاب في الفيلم يجالس الناس البسطاء وأصحاب الحرف البسيطة والفلاحين وسط حقولهم والعاملين بالمزارع السمكية، وحتى سكان المناطق الصحراوية والشباب في الشوارع، ويتبادل معهم أطراف الحديث بوجه مبتسم، ويطلب منهم كتابة شكاواهم بخط أيديهم حتى يسلّمها بنفسه إلى المسؤولين، وسط ترحيب ودود من كل الذين التقاهم.

كانت الابتسامة لا تغيب عن وجه الزغبي طوال حديثه في جولاته بالدرّاجة، وكانت هي المحفز لدى هؤلاء للتعامل معه بشكل جاد وكأنه مندوب عن الحكومة، لشعورهم بأنه يمتلك من التحدي والمثابرة ما لا يمتلكه غيره لتحقيق وعده بتوصيل المشكلات للمسؤولين بالدولة والمساعدة في حلّها.

بعد انتهاء عرض الفيديو وصل في نفس اللحظة إلى مكتبة الإسكندرية بدراجته حيث انعقاد المؤتمر، فوقف الرئيس بنفسه على باب القاعة لاستقباله وتقبيل رأسه وسط تصفيق حاد من الحاضرين.

وقبل أن يصرّ السيسي على أن يجلس الزغبي إلى جواره مباشرة لأنه القدوة الحسنة لكل الشباب ويستحق أن يكون في مقدمة الصفوف الأمامية، قام الشاب بتسليمه كل الخطابات التي كتبها الناس بخط أيديهم وتحدثوا خلالها عن مشاكلهم ومطالبهم حتى يتدخل رئيس الدولة بنفسه لحلها.

كنوع من ردّ الجميل من الرئيس لهذا الشاب والتأكيد على أن العمل البطولي الذي قام به رغم إصابته لم يذهب هباءً، تعهد له أن تستجيب الحكومة لكل الطلبات وتذلل جميع المشكلات التي كتبها الناس في الخطابات.

جلس الزغبي الذي وصف بأنه "ساعي بريد البسطاء وحامل همومهم" إلى جوار الرئيس والابتسامة تكسو وجهه لا يصدّق ما يجرى، وشعر بالخجل الشديد عندما أمسك السيسي بالميكروفون وقال له "أنت فخر لشباب مصر. كم أنا فخور بوجودك معنا الآن.. حقيقي فخور جدًا بك.. وأعدك بأن تتم الاستجابة لكل هذه الطلبات".

هذا فقط ما كان يريده الشاب. لم يكن يريد مجدًا شخصيًا أو يصنع لنفسه اسمًا لامعًا على الساحة الاجتماعية والسياسية، فقط أراد أن يوصل رسالة للآخرين من أبناء جيله بأن الطموح والتحدي والإرادة هي السبيل الوحيد لمواجهة الإعاقة وعبور الأزمات، وأنه مهما كانت الصعاب فلا بد أن يسعى الإنسان لأجل تحقيق حلمه، والإنسان هو من يصنع فرصته، وأن الفرصة لا تصنع إنسانا.

بهذا الموقف، أصبح الزغبي حديث الساعة في الشارع المصري، لدرجة أن معارضين للحكومة تحدثوا على غير العادة عن مزايا مؤتمرات الشباب التي أصبحت تحتضن نماذج شبابية مشرّفة يمكن اتخاذها قدوة واعتبارها مثلاً أعلى للطموح والتحدي ومواجهة الصعاب.

ورأى كثيرون ممن تابعوه أن أسلوب التظاهر والاحتجاج لم يعد السبيل الوحيد ولا الأمثل لتوصيل الرسائل للمسؤولين، فهناك طرق أخرى أكثر جدوى وفاعلية ورقيًا أصبحت تجبر الحكومة على أن تسمع وتستجيب للمطالب التي تحظى بدعم مجتمعي وتعاطف شعبي يصعب على أيّ مسؤول أن يغفله.

صاحب البشرة السمراء يمتلك وجهًا بشوشًا يشعّ بالأمل حتى وإن صمت عن الحديث، وابتسامة مشرقة تبعث التفاؤل وتذلل الأحزان وعينين مليئتين بالتحدي، وتشعر في حركاته وطريقة سيره على الأرض بأنه يمتلك من القدرات والملكات والقوة ما لا يمتلكه غيره.

مثلما كافح الزغبي حتى يصل صوته كشاب إلى رئيس الجمهورية، تحمل ذاكرته قصة كفاح طويلة مع تحدي الإعاقة، فعندما سافر برفقة أسرته إلى قضاء الإجازة الصيفية بأحد شواطئ مدينة شرم الشيخ على البحر الأحمر في عام 2011، حيث كان يجيد وقتها السباحة والملاكمة وحصد الكثير من الجوائز المحليّة، صدمه أحد الزوارق السريعة داخل المياه نتيجة تهور سائقه.

بتروا له ساقه

عاد الزغبي من شاطئ البحر إلى مستشفى معهد ناصر بالقاهرة وأبلغ الأطباء أسرته بأنه لا مفر من بتر ساقه اليسرى لضمان بقائه على قيد الحياة، فرفضت الأسرة ذلك الطلب في بادئ الأمر وأصرّت على سفره إلى خارج البلاد لعلاجه بمستشفى في ألمانيا، وهناك صدمهم نفس الرد بأنه لا بديل عن بتر ساقه، حتى رضخت أسرته وعاد الزغبي من ألمانيا بساق واحدة.

قال الزغبي (17عامًا) عن ذلك في حوارات صحافية له "صدمت لدقائق قليلة، ثم ابتسمت واستجبت للقدر، وكان لدّي إصرار غير مسبوق على تحدي الإعاقة حتى لا يعاملني أحد باعتباري معاقًا، وتحدّيت كل الصعاب لأكون شخصًا ذا قوام جسدي مكتمل، فأنا لا أعترف بالإعاقة".

عُرف عن هذا الشاب طوال السنوات التي أعقبت بتر ساقه أنه شخصية طموحة لأبعد الحدود، ويقاتل من أجل أحلامه، ويمتلك من الإرادة والعزيمة ما يؤهله لذلك، فلم ييأس أو يصب بعقد نفسية أو تتوقف حياته بل اتخذ من الإصابة حافزًا ليبث في غيره من الشباب شعاع الأمل ونبذ اليأس والإحباط.

آثر تركيب ساق اصطناعية وممارسة رياضة ركوب الدراجات، اعتاد أن يتخذ من الابتسامة الدائمة سلاحًا لمواجهة كل من ينظر إليه بصورة الشاب المعاق ذي الساق الواحدة، وبهذه الابتسامة التي تكسو وجهه طوال الوقت، وفي أيّ مكان وزمان، استطاع تحدي نفسه لدرجة أنه شارك في مسابقات عديدة من بينها سباق الدراجات لمسافات طويلة وقفز الحواجز المنخفضة.

العبور إلى المستحيل

بنظرات التحدي وابتسامات الوجه، لم يعط الفرصة لأحد أن يعلق على ساقه الاصطناعية التي لا يسعى لإخفائها، فهي لا تمثل له سوى مجرد وسيلة لاستمرار الحياة والتحرك بشكل طبيعي، لذلك فهي لا تعيقه عن الخروج في جولات أسبوعية لركوب الدراجات بصحبة فريق "جي بي آي" الذي يدين له بالكثير من الفضل، لأنه من وقف بجانبه وشجعه على مواصلة حياته بشكل طبيعي ودمجه ضمن أعضاء الفريق.

كثيرًا ما قال عنه أعضاء هذا الفريق إن الزغبي بالنسبة إليهم مثال حيّ للإرادة والتحدي الطموح وتذليل العقبات، ومثل يحتذى به في القفز على هموم الحياة وتجاوزها إلى المستحيل، وربما إلى ما هو أبعد من المستحيل، بالاندماج في المجتمع غير مبال بما أصابه ولازمه طوال حياته.

الزغبي شخصية متفائلة لأبعد الحدود، ويحمل في روحه حبًا للحياة وعزيمة على مواجهة الصعاب ربما لا يحملها كثيرون ممن يمتلكون كل المقومات الجسدية، ودائمًا ما يصر على إظهار ذلك، بنبرات صوت ثابتة وشعور دائم بالرضا.

وأكثر ما يثير غضبه أن يصفه أحد بـ"المعاق"، لأنه ينظر إلى نفسه بعكس ذلك، ويرى أن الإعاقة في الذهن والعقل والتفكير وليست في القوام الجسدي للإنسان، فهناك أصحاء كثيرون لم يفقدوا أيّ عضو من أجسادهم ومع هذا فإن وجودهم على قيد الحياة مثل عدمه، حيث لم يقدّموا لأنفسهم أو لغيرهم أيّ شيء يثبت وجودهم وأهميتهم، ودائمًا ما ييأسون من الخطوة الأولى ولا يكملون طريقهم نحو تحقيق أحلامهم.

يقول عن ذلك "لم أتمن شيئًا في حياتي إلا وحققته، فكيف أكون معاقًا؟.. أنا لم أحقق أحلامي في ممارسة حياتي بشكل طبيعي وأمارس هواياتي في الرياضة والقفز وركوب الدراجة بمساعدة أحد، وإنما فعلت كل ذلك بنفسي وبمجهوداتي. الإعاقة الحقيقية عند من امتلكوا كل شيء ولم يفعلوا أيّ شيء. الإعاقة أن تكون بيدك مقومات النجاح وإسعاد الآخرين ولا تفعل ذلك"، وكان بذلك يشير إلى قيامه بنقل هموم البسطاء للرئيس.

ورطة الأحزاب

يمكن النظر إليه على أنه الشاب الذي تسبّب في حرج بالغ للأحزاب السياسية ونواب البرلمان ومنظمات المجتمع المدني أمام الرأي العام، فهو الذي فعل ما لم تفعله كل هذه الجهات تجاه البسطاء في المحافظات التي تجوّل بها على دراجته ليسمع شكاوى الناس ويساهم في حلها بأيّ وسيلة كانت، حتى تكلل مجهوده بالنجاح.

هذه الجهات المنوط بها التقارب مع الناس في الشارع ونقل معاناتهم والمحاربة لأجل أن ينالوا حياة كريمة لم تفعل شيئًا، ولم تنزل إلى الأرض وتتقرّب من الناس وحياتهم ليقدموا القدوة ويكونوا هم أملهم في حياة مثالية.

جاء الزغبي وقام هو بهذا الدور، وجمع مشكلات بالجملة تتعلق بعدم توصيل المرافق من مياه الشرب والصرف الصحي فضلا عن تدني الخدمات الصحية بالمستشفيات وعدم الاهتمام بالتعليم وانتشار القمامة بالشوارع.

كان مما زاد من الحرج للنخبة من السياسيين والبرلمانيين ورجال الإعلام، والذين من المفترض قيامهم بدور الوسيط بين الشارع والحكومة، أن الرئيس السيسي وجّه شريف إسماعيل رئيس الوزراء إلى تشكيل لجنة عاجلة من مختلف المسؤولين للبت في الشكاوى التي استلمها من الزغبي خلال المؤتمر، والاستجابة لها جميعها في غضون أيام قليلة، مع موافاته بتقرير كامل عن ذلك.

البعض رأوا في الأمر نوعًا من التوظيف السياسي باستثمار شعبية الزغبي الشاب لتحقيق التقارب مع الشباب والاستماع إليهم، لكن النتيجة التي ظهرت للجميع هي أن التجاوب السريع من جانب الرئيس يعكس توجهًا حقيقيًا للدولة نحو الاستفادة من الإمكانيات الشبابية لتكون إحدى الركائز الأساسية للبناء، وأن هناك نوايا طيبة من الرئيس المصري نحو تعظيم دور الشباب خلال المرحلة المقبلة.

رسائل من الرئيس

لعل ما يفنّد عدم التوظيف السياسي لحالة الزغبي أن السيسي يختار الشباب البارزين في المجتمع من أصحاب القدوة الحسنة ليجلسوا إلى جواره في اللقاءات الشبابية التي يعقدها بشكل دوري، حيث جلست بجانبه في المؤتمر الأخير الطالبة مريم فتح الباب المعروفة باسم "ابنة حارس العمارة"، وهي التي تفوقت في الثانوية العامة بمجموع متميز وكانت من أوائل الجمهورية برغم الظروف المادية السيئة لأسرتها وكيف استطاعت التفوق وهي تعيش داخل غرفة واحدة مع أسرتها أسفل العمارة السكنية.

في المؤتمر الشبابي السابق الذي عقد بمدينة الإسماعيلية قبل 3 أشهر، كانت منى السيد المعروفة بـ"فتاة العربة" ضيف شرف المؤتمر، وهي التي انتشرت صورة لها على مواقع التواصل الاجتماعي وهي تجرّ عربة بضائع في الشارع لتنفق على أسرتها حتى التقاها السيسي بقصر الاتحادية الرئاسي وكلّف وزارة الإسكان بتوفير وحدة سكنية مجانية لها، وقام بالتبرع بشراء سيارة نقل لها من ماله الخاص لتكون بديلًا عن العربة التي تجرّها.

> كفاح الزغبي حتى يصل صوته كشاب إلى رئيس الجمهورية يوازي ما تحمله ذاكرته عن قصة كفاح طويلة مع تحدي الإعاقة

لأن السيسي دائمًا ما يتحدث عن الصبر والطموح وتحدي الصعاب في مواجهة الأزمات، يبدو أنه رأى في وجود الشاب ياسين الزغبي مثالًا حيًا لتأكيد رسائله التي لا يتوقف عن إرسالها للناس، ووجد أن حضور مثل هذا الشاب في المؤتمر سوف يكون رسالة قوية وواقعية للمتخاذلين ودعاة بث الإحباط واليأس والفشل في نفوس الناس، وهي الدعوات التي طالما أفصح السيسي مرارًا عن خشيته الشديدة منها في أن تتسبب في قتل عزيمة المصريين.

الزغبي، ولأنه أراد أن يكون "الملهم" لغيره ممن يحملون نفس إصابته وباعث الصبر والمثابرة والتحدي في نفوس الآخرين، كانت مكافأته من الحكومة أن وضعته في مقدمة المنضمين لمبادرة "شوف بطل"، التي سوف يزور أعضاؤها رجال القوات المسلحة والشرطة ممن أصيبوا في المواجهات مع الإرهابيين حتى تكون ابتسامته وقوة عزيمته باعثة لروح الأمل والتحدي داخلهم مهما بلغت إصابتهم.

والآن، هو في طريقه للالتحاق بكلية الحقوق، إذ يتمنى أن يكون محاميًا وقانونيًا يدافع عن حقوق المعاقين في بلاده والتي يراها ضائعة، بداية من نظرات الناس وتعامل المجتمع معهم، وليس انتهاءً بالقوانين التي لم تعطهم حتى اليوم أبسط حقوقهم، سواء حقهم في العمل بموجب قانون الـ"5 بالمئة"، الذي ينص على توظيف خمسة بالمئة من إجمالي العاملين بالمؤسسة الحكومية من ذوي الاحتياجات الخاصة، أو حقهم في مواصلات وشوارع تسمح لهم بحرية الحركة، أو حتى شعورهم بالثقة في أنفسهم.

● سياسيو مصر وبرلمانيوها يستشعرون الحرج بعد أن وجه السيسي رئيس الوزراء لتشكيل لجنة عاجلة للبت في الشكاوى التي استلمها من الزغبي.

● الزغبي بنظراته المتحدية لم يعط الفرصة لأحد أن يعلق على ساقه الاصطناعية.

في حضرة الغائب عن منزله

بيت رامبرانت

لا يزال هناك من ينتظر عودة الرسام الذي غادر فجرا

فاروق يوسف

❑ **لندن** – صباح هولندي. كأن رامبرانت لم يغادر بيته في "يودن بري ستريت" بأمستردام وكان لا يزال شاباً. المقهى الملاصق لبيته صار يحمل اسمه. لم يكن قد رسم بعد رائعته "الحارس الليلي". نحن في القرن السابع عشر. يبتسم خيالي. "ألا تصدق؟" ليل أمستردام يملأ قوارب الصيادين سمكا وعيني أعشابا يفوح عطرها من كوب الشاي الصباحي وأنا أجلس في مقهى رامبرانت.

لا يرسم بفرشاة

لقد حلمته وحلمني، وصرنا نتبادل الأحلام كالسجناء. حين رأيت صورته شابا في متحف ريكس وسط العاصمة الهولندية ظننت أن الرسم قد انتهى. ليست صورة. ليست أيقونة.

> عبقري عصر الباروك رامبرانت كان رساما ليس كمثله رسام. عبقري مهنته، المتمكن الذي لا يجارى. هناك شيء فيه لا يمكن أن يتكرر. من الصعب أن يسمى ذلك الشيء. إنه رامبرانت لذاته

المسيح نفسه سيشعر بالاضطراب لو رآها. أتوقع من شاعر مثل أرتور رامبو أن يعيد كتابة أشعاره في اللحظة التي تقع عيناه على ذلك اللغز. بحجم الكف هي. "ولكنه رامبرانت" أقول لنفسي. غيّرَ الرجل الرسم وغيّرَ نفسه وسخر من عاصفته. اعترف لي نديم كوفي وهو رسام عراقي يقيم في هولندا أنه يتألم إذ ينظر إلى تلك الرائعة. قال لي حسن حداد "لا أصدق أنه يرسم بفرشاة". يقصد رامبرانت. سأضع قدمي على المركب السكران، في استعارة من قصيدة رامبو الشهيرة.

بيته يوم كان شابا أمامي وكنت أفكر بالخطوة الأولى التي سأقيها. هناك كتابات قليلة وصغيرة الحجم تشير إلى المكان باعتباره متحفا، بالرغم من أن هناك ما يؤكد أننا في حضرة منزل رامبرانت. ولأن مفهوم المتحف يكون ثقيلا حين يقاس بفكرة البيت، فقد فضلت أن أجلس على المدرجات التي تواجه ذلك البيت وأتأمله قبل الدخول إليه.

ليس كمثله رسام

سحرني عبقري عصر الباروك رامبرانت (1606–1669) في كل المرات التي رأيت فيها رسومه. كان رساماً ليس كمثله رسام. عبقري مهنته، المتمكن الذي لا يُجارى. هناك شيء فيه لا يمكن أن يتكرر. من الصعب أن يسمى ذلك الشيء. إنه رامبرانت لذاته. الكائن القادم من عصر الإغريق ليصافح الإسباني بيكاسو. سأصدق حدسي هذه المرة. ما من رسام ينافس رامبرانت مثل بيكاسو. الاثنان غيّرا الرسم، غير أنهما احتفظا بالكثير من أسرار ما فعلاه لنفسيهما.

قالت لي امرأة سبق لي أن رأيتها في الحانة الأيرلندية وقد رأتني جالسا على المدرجات التي تقابل المنزل "المدخل من هناك" لم أخبرها أنني كنت أفكر بقدمي رامبرانت. باب البيت مغلق. ربما كان الرسام لا يزال نائما. أحاول أن أرتجل مشهده في الليلة الماضية وقد عاد مهموما بفكرة يضيق بها الرسم الذي يعرفه.

أسوأ ما يمكن أن يفعله المرء أن يكون سائحا. كنت أخشى أن ينظر إليّ رامبرانت بعتب وهو يراني أتفحص أثاث منزله كما لو كنت واحدا من دائنيه. "حتى أنت" أسمعه يقول لي.

لا يزال الصباح هولنديا. هناك قناتان مائيتان. واحدة بالطول وأخرى بالعرض. رأيت جسرا يسهّل عليّ محاولة الهروب إلى مركز المدينة. خيّل إليّ أني رأيت رامبرانت قادما. بالملابس نفسها التي يرتديها تمثاله الذي يقف شامخا في الساحة التي تحمل اسمه. أمستردام تريده شابا أبديا. لم ينظر إليّ فتبعته. لم يتجه إلى باب منزله، بل اندسّ بين صفوف الزوار في المكتب السياحي كما لو أنه كان يرغب في شراء بطاقة دخول إلى منزله. قلت لنفسي لأمضي وراءه. غير أنه كان قد اختفى حين سلمتني الموظفة بطاقة الدخول.

متمهلا ارتقيت السلم الخشبي. لن يكون هناك أحد في انتظاري فوق. الرجل الذي يشبهه، ربما يكون سائحا متلهفا لمعرفة ما الذي كان يحدث في القرن السابع عشر. كنا في حفلة تنكرية.

السياحة حين تكذب

"عليك أن تتخيل عصر رامبرانت" يقول الكتيّب السياحي الذي يوزع مجانا على الزائرين. كما لو أن الرسام نفسه كان ذريعة ليس إلا. "حين ترك رامبرانت مضطرا هذا المنزل بسبب عجزه عن تسديد مبلغه، بيع أثاث المنزل عن طريق المزاد" يقول الدليل. ذلك يعني أن كل ما سأراه لن يكون أصيلا. إنهم يؤلفون كتابا ليشيّدوا متحفا زائفا. الفكرة كلها تقع في أن رامبرانت عاش هنا. تنفس الهواء الذي مر بين نوافذ هذا المنزل. استعادة رامبرانت باعتباره رجل حياة هي الفكرة الملهمة.

هناك شيء ما كان قد وقع بين جدران هذا المنزل غيّرَ طريقتنا في النظر إلى العالم. هناك ماكنة للحفر الطباعي وكان رامبرانت هو سيد ذلك الفن، ولكن الماكنة الصامتة لا تقول شيئا. كانت هولندا يومها أسيرة طباعها الاستعمارية، وكان عليها أن ترتجل الصور التي تكرّر معجزتها.

لم يكن رامبرانت هولنديا طائرا. لذلك توقعت رؤيته في المنزل الذي يشير إليه شابا. غير أنه كان بطريقة أو بأخرى نوعا من ذلك الطائر، في الرسم على الأقل. كان يضرب ضربته ويحلّق. أمن أجل ذلك كنا نتألم، كما اعترف لي نديم كوفي، وكما أسرّني حسن حداد.

لم تكن هناك فرشاة. كان رامبرانت يرسم بعين خياله إذن. أصدّق كل ذلك.

على حامل لوحاته هناك لوحة لا تزال بيضاء. لوحة لم يرسمها، تركها صامتة تنظر إلينا كما لو أنها تحاول أن تستفز خيالنا. "ارسمها كما لو أنك تستعير يدي" يقول بإشفاق. قريبا من ذلك الحامل كان كرسيه فارغا فيما كانت باليته أصباغه جاهزة للاستعمال. هذه اللقطة المقترحة وحدها تكفي لا للتذكير برامبرانت بل لاستحضار عصره، منتصف القرن السابع عشر. بالنسبة إليّ فإن أثاث المنزل كله، الذي يعود إلى تلك اللحظة العصيبة من حياة رامبرانت لم يكن ليوحي بحياة عاشها الرسام الهولندي وهو يسعى إلى إعادة صياغة الزمن باعتباره فضاء مطلقا لا مجرد بعد رابع.

أنظر من نافذة مرسمه كما لو أنني أحاول أن أستحضر جزءا من عاداته اليومية. في الخارج لم يكن هناك شيء من عصر رامبرانت. كل شيء قد تغير. حتى الجسر الخشبي الصغير الذي مرت من تحته الكثير من المياه كان قد تغير. ملايين الخطوات المسرعة محت شيئا من قشرته وتركت عليه عاطفتها المبهمة معجونة بالغبار. التفت إلى اللوحة البيضاء وأنا أدرك أنها ستبقى كذلك ما دام ذلك البيت قائما. ما من أحد، حتى لو كان رساما يجرؤ على أن يمد يده إلى الحيز الممتلئ برائحة يده. يد الرسام الذي قرر في لحظة نقاء أن ينجو بالرسم من رعاته الرسميين، ليذهب به إلى العزلة.

السطر الذي لم يكتبه

في ذلك الصباح الهولندي من عام 1656 كان رامبرانت قد غادر منزله هذا متخفيا، تاركا كل شيء وراءه: سريره وخزانة ثيابه وماكنة الطباعة وتجاربه في الرسم على الزنك وأصباغه وكرسيه والصور الطباعية التي كان قد أنجزها. كل هذا يمكنه أن يكون متوقعا، ولكن تلك اللوحة الصغيرة البيضاء الموضوعة على الحامل الخشبي كانت بالنسبة إليّ واحدة من أهم علامات فقر خيال مؤلفي حكاية ذلك المنزل.

السياحة تغلب. كانت تلك اللوحة بمثابة إشهار لعاطفة شعبية تريد أن تضع نقطة في نهاية السطر الذي توقف رامبرانت عن كتابته، بعد أن عجز عن سداد أقساط منزله وهرب منه متخفيا. خسر المنزل صاحبه، غير أن التاريخ ربح رساما عظيما.

بعد كل هزيمة من هزائمه كان رامبرانت يؤكد قوة تشبثه بالرسم وإخلاصه له. وهكذا فإن رامبرانت الذي ترك أمستردام مهزوما كان أقوى وحين تخلى عنه رعاة فنه من الأمراء والنبلاء في نهاية حياته صار فنه أقوى.

"إنه رامبرانت ولا أحد سواه" صرت أردّد في نفسي وأنا أهبط السلم متجها إلى أمستردام التي لم تتعرف على رسامها يوم غادرها ذات صباح تاركا في خيالها أثرا من أمانة بيعت في المزاد في ما بعد.

> الفكرة تقع في أن رامبرانت عاش هنا. تنفس الهواء الذي مر بين نوافذ هذا المنزل. استعادة رامبرانت باعتباره رجل حياة هي الفكرة الملهمة

● بيت رامبرانت ينطوي على حامل لوحاته، حيث لوحة لا تزال بيضاء. لوحة لم يرسمها، تركها صامتة تنظر إلينا كما لو أنها تحاول أن تستفز خيالنا.

● أثاث المنزل كله، الذي يعود إلى تلك اللحظة العصيبة من حياة رامبرانت لم يكن ليوحي بحياة عاشها الرسام الهولندي وهو يسعى إلى إعادة صياغة الزمن باعتباره فضاء مطلقا لا مجرد بعد رابع.

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

محنة المركز الديمقراطي

ثالثية ماكرون وما بعد السياسة

أبوبكر العيادي
كاتب من تونس

❏ شكّل فوز إمانويل ماكرون في الانتخابات الرئاسية مفاجأة مذهلة، قسمت المجتمع الفرنسي إلى نصفين، نصف تفاءل بوصول وجه جديد يقطع مع المشهد السياسي القديم الذي لم يقدم زعماؤه للفرنسيين غير الوعود، وتمنى أن يحصل حزبه "الجمهورية إلى الأمام" على الأغلبية المطلقة في البرلمان حتى ينفذ برنامجه الانتخابي. ونصف استاء من صعوده إلى سدة الحكم بدعوى عقيدته النيوليبرالية التي سوف تخدم الأعراف والبنوك ورؤوس الأموال أكثر ممّا تخدم الشعب، فقاطع الانتخابات التشريعية بقوة، حيث بلغت نسبة الامتناع عن التصويت أرقاما غير مسبوقة منذ ستينات القرن الماضي (51.29 بالمئة في الدور الأول، و57.21 بالمئة في الدور الثاني).

هذا الامتناع عن التصويت مثّل بدوره محور جدل لم ينته بعد، بين مبرّر كالفيلسوف الألماني بيتر سلوتردايك الذي عدّه إرثا لحال الكآبة العامة التي سبقت مرحلة ماكرون، فالناخبون الفرنسيون في رأيه يحتفظون في دواخلهم بارتكاس تصرفاتهم السابقة إذ ينتابهم نوع من الالتباس لكونهم مرغمين على التفاؤل عبثا يوما وراء يوم فيعيشون في ما يسمّيه بالتشاؤم المترف والإحساس المرّ بعدم القدرة على تصديق الحياة السياسية حتى صارت السياسة في تصورهم مجالا يُعطل فيه الجميعُ الجميعَ ويغدو الفساد خبز الفرنسيين اليومي. وبين من يعتبره نهاية التمثيلية النيابية مثل الفرنسي عبدالنور بيدار، لأن السلطة التشريعية الجديدة لا تمثل سوى سدس الكتلة الانتخابية، أي ثلاثة فرنسيين من عشرين، فالأغلبية المطلقة التي حصل عليها حزب "الجمهورية إلى الأمام" تطرح في نظره مسألتين، ضعف السلطات المضادة كركيزة للجدل الديمقراطي من جهة، والطلاق الكامل بين تلك الأغلبية في البرلمان ومن يفترض أنه منحها إياها، أي الاستفتاء الشعبي من جهة ثانية. هذا فضلا عن كون 70 بالمئة من نواب الحزب الفائز ينتمون إلى الطبقات العليا، وهو ما جعل الأصوات الغاضبة تذهب للمتطرفين من الجهتين، اليمين واليسار، أو توثر الامتناع. وفي رأيه أن الديمقراطية تكون في صحة جيدة إذا تصرف النواب انطلاقا من رصيد معين من الأصوات ليعبّروا عن إرادة منتشرة انتشارا واسعا عبر أنحاء البلاد.

وبصرف النظر عن أن ماكرون -الذي حصل في الدور الثاني على نسبة 66.06 بالمئة- لم يفز في الواقع إلا بنسبة 43.63 بالمئة، وأن نصفهم صوت ضدّ مارين لوبان أكثر مما صوت له، فإن المحللين ركزوا على ما يعتبرونه جديدا في برنامجه بما يحويه من حرص على تجاوز ثنائية اليمين واليسار، ليقدم حلاً للتجاذبات الأزلية التي تعطل المجتمع الفرنسي، من خلال ثورة ديمقراطية كفيلة بتحرير طاقات القوى التقدمية التي طالما شكمت اندفاعَها الأحزابُ التقليدية.

فقد وصف عالم الاجتماع الفرنسي ألان تورين التصويت لماكرون وبرنامجه بكونه "خيارَ المستقبل ضد خيار الماضي"، وقال إن ماكرون لم يسع لإضافة حركة أخرى ناحية اليمين أو اليسار، لأنه أدرك أن التوجه الصحيح ليس في الاصطفاف مع اليمين ضد اليسار أو العكس، بل في اختيار المستقبل ضد الماضي، لأن المهم هو ملء الفراغ الناجم عن تفكك اليمين واليسار المناصرين لدوام الاتحاد الأوروبي. وهو ما مكّنه، رغم قصر عهده بالسياسة، من فرض خياره الأساس المتمثل في سياسة اقتصادية منفتحة على كل محاولات الانغلاق السياسي، ما جعل الولايات المتحدة المهمشة بانعزالية دونالد ترامب، وبريطانيا المنغلقة بسبب البريكسيت، تترديان إلى منطقة الظل التي خلقتاها بنفسيهما، بينما "يأتي النور الذي قد يضيء سبل كل البلدان نحو النهضة الاقتصادية المشفوعة بالصراع ضد التفاوت الاجتماعي من بلد الأزمات والإخفاقات، أي فرنسا".

أما شنتال موف، أستاذة النظرية السياسية بجامعة وستمنستر، فقد رأت أن من المفارقة أن نداوي الأزمة العميقة للتمثيلية النيابية التي تعاني منها الديمقراطيات الغربية بالتي كانت هي الداء. فالأزمة نجمت عن تبنّي معظم البلدان في أوروبا استراتيجيا الخيار الثالث الذي نظر له في بريطانيا عالم الاجتماع أنتوني غيدنز ووضعه قيد التطبيق حزب العمال الجديد بقيادة توني بلير. وهي استراتيجيا اعتبرت هي أيضا ثنائية اليمين واليسار منتهية الصلاحية، ودعت إلى شكل جديد من الحوكمة أطلق عليها مصطلح "الوسطية الراديكالية"، وصرح معتنقها توني بلير بـ"أننا ننتمي جميعا إلى الطبقة الوسطى"، وبالاً وجود بعدئذ لسياسة اقتصادية يمينية أو يسارية، وإنما "سياسة جيدة" أو "سياسة رديئة".

هذا الأفق الذي اصطُلح عليه بـ"ما بعد السياسة" يستند بدوره إلى شعار مارغريت ثاتشر "لا بديل" أو "TINA" اختزالا، باستعمال الأحرف الأولى لمقولتها There Is Not Alternative"، والمقصود ألا بديل للعولمة النيوليبرالية.

وقد لقي الخيار الثالث الذي اعتمده توني بلير حينئذ صدى في ألمانيا، حيث تبناه المستشار غرهارد شرودر في حزبه "الوسط الجديد"، قبل أن يتبناه معظم الاشتراكيين والاشتراكيين الديمقراطيين في أوروبا، ويعلنوا انتماءهم إلى وسط اليسار.

وبزوال الحدود بين اليمين واليسار فقدَ المواطنون إمكانية الخيار بين البرامج المختلفة عند الانتخاب. وكان لغياب البديل أثرٌ في ظهور المشاكل التي تواجهها البلدان الغربية حاليا، كالشك في صدقية المؤسسات الديمقراطية وتصاعد الامتناع عن التصويت والنجاح المطّرد للأحزاب الشعبوية اليمينية. ولئن استطاعت تلك الأحزاب، التي تزعم أنها ستعيد إلى الشعب سلطة انتزعتها منه النخب، أن تتجذر في عدة بلدان، فإن الاشتراكية الديمقراطية، بانزياحها نحو وسط اليسار، أصيبت في مقتل ووقعت في أزمة تكاد تشمل كافة أوروبا. وفي رأي شنتال موف أن إلغاء الحدود بين اليمين واليسار غير واقعي، لأننا نعلم، منذ ماكيافيلي، أن المجتمع يطفح بمصالح ومواقف متناقضة لا يمكن التوفيق بينها، ولا يكفي أن ننكرها كي تزول. ثم إن غاية الديمقراطية التعددية ليست بلوغ توافق بقدر ما هي تمكين التوافق من التعبير عن نفسه من خلال مؤسسات تفتح له باب صراع سليم، لا ينظر فيه المتصارعون إلى بعضهم بعضا كأعداء بل كمتنافسين، فهم يعرفون أن ثمة مسائل لا يمكن الاتفاق حولها ولكنهم يحترمون حق بعضهم بعضا في الصراع لأجل فوز فريقهم، وتتولى المؤسسات الديمقراطية عندئذ توفير إطار "يقاوم فيه المتصارعون بعضهم بعضا دون أن يَفتِك طرفٌ بطرف" بعبارة الأنتروبولوجي مارسيل موس.

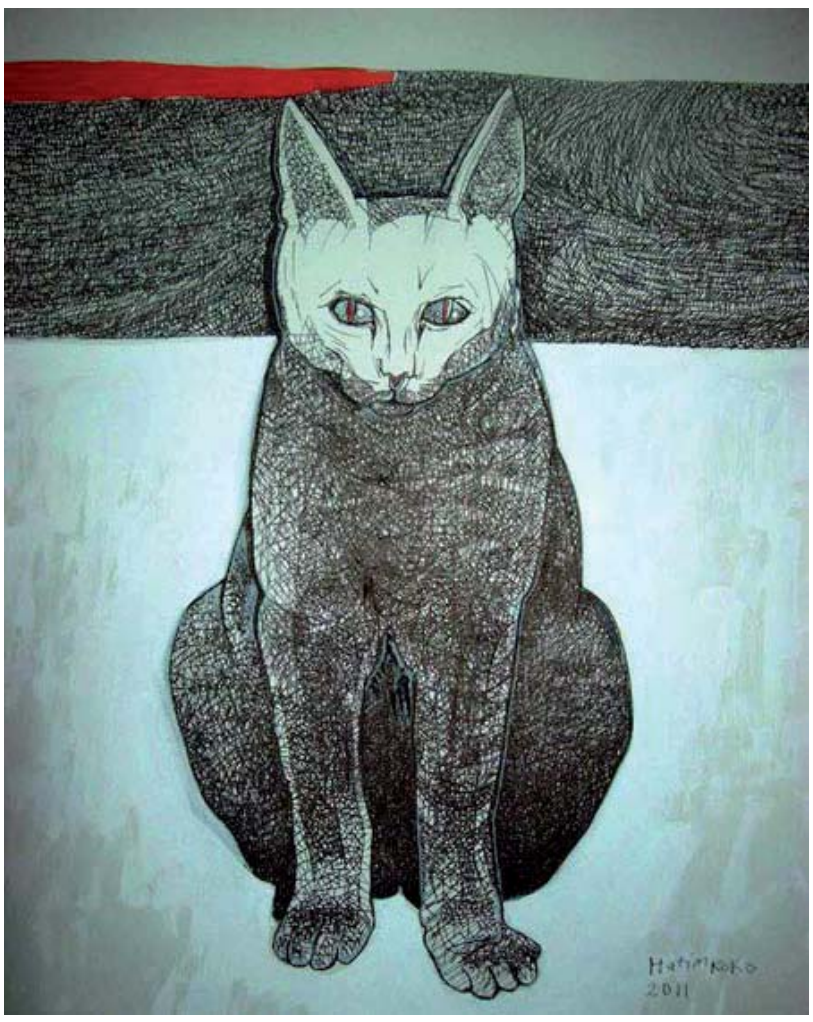

* لوحة: حاتم كوكو

المثقف العربي ورهاب الغنائم

علي حسن الفواز
شاعر وناقد من العراق

❏ وسط الخراب والعطب قد يذهب الكثيرون للنفي بقصد الإثبات، وقد يستعير البعض منهم ما يشبه الذاكرة الآمنة للتوهّم بفكرة الخلاص، أو حتى النأي بالنفس عن أيّ تورّط بـ"الهزيمة" أو الخيبة، فما يحدث على "الجبهة الثقافية" يمكن أنْ يحدث بذات الطريقة التي تحدّث بها ريك ماريا ريمارك عن "جبهته الغربية" حيث أخذت الحرب كلّ شيء، وما عاد هناك سوى ذاكرة مشكوك بها. ما بين العطب، والذاكرة المثقوبة والمشكوك بها، هل يمكن اتّهام المثقف العربي بالفرجة أو بالعطالة؟

سؤالٌ قد يبدو مثيرا وفاجعا وقد يحملُ معه كثيرا من الجروح، إذ تستدعي هذه المُساءلة كشفا لما يحوط هذا المثقف، وتعرية اغترابَاته واستلاباته، ليس لتبريرها بل لكشف أقسى له تعالقاته مع السلطة والتاريخ والأيديولوجيا والجماعة، وكل تلك القوى "النسقية" التي تصرّ على "تشييء" المثقف، وإخضاعه أو حتى توريطه بلعبة الغنائم.

فهذا المثقف سيكون هو الأكثر تضررا في سياسات توزيع الغنائم الثقافية، ليس لأنه من "العامّة" من أصحاب الهامش فقط، بل لأنه الأقل توصيفا لسلطة "الخاصّة" ولأعطياتِها وسردياتها وأوهامها، فهذا المثقف المُستلب والواقف عند الحافات لا يملك أيّ شرعةً لصناعة السلطة الضد أو حتى الذاكرة الضد، وهو يرى أحلامه الثقافية وقد تبددت أو تحوّلت إلى بعض من الأضحيات وسط طقوس توزيع الغنائم الثقافية، تلك الغنائمَ التي يحظى بها الأقوياء من دكتاتوريين وعرّابين وحزبيين وثوار قدامى وجدد، أولئك الذين يتوهمون دائما بأنهم المالكون الوحيدون للحق الشرعي باستئثار حقّ الغنيمة واستخدامها، بوصفها جزءا من "لزوميات" الحق السياسي والأيديولوجي والحق المالي طبعا! وربما فرض شروط ومقاييس للحصص والامتيازات لكي لا يتوهم أحدٌ من الرعية بأنّ حقوقه الشرعية قد انتهكتْ!

المثقفُ العربي -خارج الثورات وحتى داخلها- ظلٌ هو الكائنُ المتروك للعزلة وللعطالة، وكلُ الأحاديث عن تسليحه الرمزي والإجرائي لا تعدو سوى دعوةٍ للانخراط في مطبخ السلطة الذي تملكه الجماعة المسؤولة عن امتلاك وتوزيع الغنائم.. وأحيانا توريطه بغواية اللعبة القديمة، لعبة العصاب بوصفها التطهيري والمتعالي، حيث صورة المثقف الفحل أو بوق القبيلة أو قارئ الصحف لأميّيها أو رمزاً لفقيهها الأعمى أو صاحب الطربوش والأفندي في سياقها المديني.

> مستهلكو ثقافة الغنائم يتسعون بطريقة عجيبة ويتكاثرون مثل الأمبيبيا، يمارسون طقوسهم في المحو والتكفير والتهجير والغلو

ما يجري الآن هو ترسيمٌ آخر لحدود توزيع تلك الغنائم، إذ يُعاد تغييبُ المعنى وإحضار الصوت وتصعيد الظاهر مقابل إخفاء الباطن في أنساقه المضمرة.. وبما يتسعُ لصناعة المزيد من النقائض الضاغطة التي تفرض وجودها على الحضور، وعلى عطالة الاجتهاد والتأويل وعلى تأثيم الخروج على سلطة الغنيمة، وربما الإعلان الفاضح عن طبيعة هذه الغنائم الثقافية لكي تتبدّى بوصفها نصوصا ومؤسسات وحقوقا زاحفة، وبالتالي وضع حدود "شرعية" أو دعوية للعمل، مقابل تحريم أيّ فائض للمعنى، وبما لا يسمح للتجاوز في صناعة الرسالة والفكرة وما هو ظاهر في المعنى، إذ لا مجال لأيّ نفريّ أو حلاج أو صوفي أو هرطوق مارق يمكنه العبور خارج حدود هذا الترسيم القهري ولا حتى لأيّ "صعلوك" يمكنه التفكير أو النطّ خارج السور العصابي للأمة أو الجماعة.

وسط هذا "المايجري" نلوذ بأحلامنا، وربما نلوذ بوعي قديم -تنويري أو إصلاحي- كنّا قد اختزناه لسنوات عجاف بوصفه إرثا لقوة افتراضية تدعو لحماية الوعي المنتهك ولصيانة الأرواح المباحة لخرابات دائمة الوقوع.

هذا "الالتياذ" لا يُشبع من جوع أو يُغني عن فقر، إذ يكتفي -فقط- بأنْ يكون قناعا للبقاء أو لوهم الحماية أو لممارسة بعض طقوس الاحتجاج أو لصناعة ما هو مضاد، أو ربما لمواجهة التاريخ القهري القائم على فتوى تكديس الغنائم ومواجهة ثقافة الأقوياء والمحاربين والفقهاء والحزبيين، أولئك الذين اشتروا المعارك قبل أنْ تقع والقوافل قبل أنْ ترحل، لأنّ الشرط المرجعي والتجاري والتسويقي للغنيمة يفترض تأمين الفرصة والبضاعة والسوق والمستهلك.

مستهلكو ثقافة الغنائم يتسعون بطريقة عجيبة ويتكاثرون مثل الأمبيبيا، يمارسون طقوسهم في المحو والتكفير والتهجير والغلوّ، وربما يضعون هذه الثقافة بوصفها تعبيرا عن فكرة السطو والغلو والانتصار، وإماتة العدو الافتراضي، العدو الكافر والزنديق والمارق والخارج عن الأمة والملة.

إزاء هذه الصورة العدمية، هل يعني أننا سنظل نعيش لعبةَ الخضوع القهري لمهيمنات سلطة توزيع الغنائم؟ وهل يعني أنّ المثقف المعزول والخارج عن معارك السوق والشرف والمقدس سيظلّ يلعق جراحَه دائما؟ وهل سيكتفي باستمنائه الداخلي والتلذذ بوظيفة المتفرج النرسيسي على موته في المرآة أو في البئر؟

درس برلين

ياسين عدنان
كاتب من المغرب

❏ بقدر ما نجحَتْ دينامية التحديث الشعري خلال العقود الأخيرة في فتح القصيدة العربية على أكثر من أفق إبداعي وجمالي، بقدر ما طردَتْ من حظيرة الشعر كل القصائد التي كانت تكثّف الموقف الأيديولوجي وتردّدُ الشعارَ السياسي وتنخرطُ بمباشرَةٍ فجّة أحيانًا في التعبئة لصالح القضايا الوطنيّة والقومية.

وضعٌ استأنس به الشعراء على ما يبدو تمام الاستئناس. فحتى بعد عودة السياسة لتحتلّ واجهة المشهد العربي ظلّ الشعراءُ حريصين على ألّا تطأ الأقدامُ الشفّافةُ لقصائدِهم الهائمة في ملكوت الكشف والمحلّقة في سماوات التخييل أرضَ السياسة وألّا تتورَّط في اضطراباتها واحترباتها. وقد ساهم هذا الموقف الشعري "المُتعالي" في عزل القصيدة العربية الحديثة ومعها قبيلة الشعراء عن المجتمع والناس. هكذا صار من العادي وأنت تتجوّل في مختلف المهرجانات الشعرية العربية أن تجد نفسك أمام شعراء يقرؤون لبعضهم البعض في مجالس خاصة وصالات مغلقة بعدما أضحى جمهورُ الشعر مجرّدَ حكايةٍ تُروى.

التفكير في مأزق الشعر العربي إزاء القارئ والجمهور ألحّ عليَّ بشكل خاص وأنا أشارك في فعاليات الدورة الثامنة عشرة من مهرجان برلين الشعري في يونيو الماضي ضمن كوكبة تضمّ مئة وسبعينَ شاعرًا حجّوا من مختلف أنحاء العالم للمشاركة في هذا المهرجان الذي يُعتبر اليوم أهمّ وأكبر محفلٍ شعريٍّ في أوروبا.

لكن ما الذي يجعل جمهور الشعر الألماني يدفع ستين يورو للبطاقة الواحدة من أجل متابعة فعاليات المهرجان الذي تَواصل لتسعة أيام بلياليها؟ ما الذي يجعل الزوار الذين يُفضّلون انتقاء أمسيات أو ندوات بعينها يدفعون بين 6 و15 يورو لحضور النشاط الواحد؟ ثمّ ما سرُّ اكتظاظ المسارح والقاعات بالجمهور في زمن يتحدّثُ فيه الجميع عن تراجع الشعر وانحسار شعبيته؟

الجواب يكْمُن في أنّ منظّمي مهرجان برلين مؤمنون تمامًا بأنّ الشاعر لا يُقيم طوال الوقت داخل برجه الشعري، لذلك يبادرون عبر برمجة غنيّة متنوّعة إلى استدراجه للقاء جمهور الشعر على أرضية قضايا تؤرق المجتمع وتشغل بال الرأي العام. هكذا مثلًا طرَحت الأمسية الكبرى التي دُعيتُ إلى المشاركة فيها ضمن اثنَيْن وعشرينَ شاعرًا من مختلف البلدان المجاورة للاتحاد الأوروبي سؤال أوروبا ومسألة العلاقة مع القارة العجوز. كان الطلب محدّدًا منذ الدعوة المبكّرة التي توصّلنا بها أشهرًا قبل انعقاد المهرجان. حيث دعت إدارة المهرجان شعراء العالم العربي وبلدان "الاتحاد السوفييتي" سابقا والدول الأسكندنافية إلى كتابة شعر يحاورُ أوروبا، يغنّي لها، يتغنّى بقيمها، يشتبك معها، يُسائلها، يخاصمها، يفضح ازدواجيتها، ينتقدها ويهجوها ولكن بحساسية الشاعر وبمنطق القصيدة. كنّا مطالبين باجتراح أجوبة شعرية على أسئلة حيّرَتْ السياسيين، وكنّا اثنين وعشرين شاعرًا نتناوب على منصة مسرح أكاديمية الفنون ببرلين ذاك المساء. كان المسرح مليئًا عن آخره بجمهور شغوف بقي إلى النهاية منصتا متفاعلا رغم طول الأمسية وتنوّع أصوات شعرائها ولغاتهم.

هكذا اكتشفنا في برلين أنّ الحوار السياسي والحضاري ممكنٌ عبر الشعر أيضًا، حتى في القضايا التي تواطَأْنا وزملاءَنا من شعراء قصيدة النثر العرب على تحييدها بالكامل، بل وطردها خارج مدار القصيدة الخالصة. ثمّ هل يمكن للشاعر العربي في الزمن الغوغائي الذي نعيشه أن يجازف بالإعلان عن موقفه النقدي من الفساد والاستبداد وعودة القبيلة والطائفة وسيادة منطقهما المعطوب المجافي لروح العصر؟ هل يمكنه كشاعر أن يتحرّك في هذه المساحة الإشكالية دونَ أن تنال منه غوغائية الجمهور حتى قبل أن تمتدّ إليه يد السلطة؟ سؤال يبدو سياسيًا في الظاهر. لكنّه شعريٌّ أساسًا. أوَليس الاشتباك مع القضايا الجوهرية من صميم مهمّة الشعراء؟

الكتابة في مواجهة الموت

خمس كاتبات وخمس قصص من العراق

❏ القصة القصيرة فن أدبي محبوب، له كتّابه وعشاقه في الثقافة العربية كما في بقية ثقافات العالم. وقد سبق لمجلة "الجديد" أن نشرت العديد من القصص في إطار ملفاتها المفتوحة للقصة العربية. اخترنا هنا للنشر في "العرب" بالتعاون مع "الجديد" خمس قصص لخمس كاتبات من العراق كجزء من ملف خاص بالقصة العراقية نشرته "الجديد" في عددها الأخير لشهر أغسطس قصصه بمثابة أضمومة أولى من عشرين زهرة من أزهار المخيلة العراقية الحديثة لعشرين كاتبة وكاتباً يشكلون بأعمالهم جزءاً أساسيا من التجارب التي تحتل اليوم المشهد القصصي العراقي وتلقى قبولا على رقعة أوسع تشمل جغرافية الأدب القصصي العربي.

في هذه القصص الخمس نقع على موضوعات وأساليب كتابية وطرائق في التخييل والسرد تكشف عن طبيعة التطور الذي طرأ على القصة العراقية التي تكتبها المرأة، والتنوّع في الميول الأدبية والتصورات الجمالية، وكذا الهموم الاجتماعية التي تشغل الكاتبات العراقيات. تشكل هذه القصص مجتمعة تجارب مشوقة في السرد، وهي يمكن أن تعكس، بالضرورة، جانباً أساسياً من المستوى الذي بلغته القصة العراقية الحديثة.

* قلم التحرير

لماذا لا نذهب إلى البحر كثيرا

بثينة الناصري

❏ أتذكر أن الوقت كان أواخر الشتاء، ولكن الشمس يومها كانت ساطعة، حين توقفت السيارة الصغيرة البيضاء على شاطئ البحر. قالت أمي، وهي تطفئ المحرك:

– احذروا أن تبللوا ملابسكم.

اندفعنا باتجاه البحر، نرتجف شوقاً إليه، شريف ورفيق وياسر وأنا، شمّرتُ أطراف البنطلون، وكذلك فعل الآخرون. خلعنا أحذيتنا، ورضعنا نحو الماء، ونحن نحمل على الحصى الصغير المتناثر على رمل أبيض.

لسعت برودة الماء باطن قدمي، واخترقتْ جلدي، فشعرتُ فرحٍ، فتوغلتُ في الماء، غير آبهٍ بالبلل، والماء يبقّع البنطلون حتى فخذي، فجأة، لطم خدّي نثار ماء.

التفتُ، كان رفيق يعاود الانحناء ليملأ كفيه من ماء البحر، ولكن قبل أن يعتدل صوّبتْ نحوه رشة بقدمي اليسرى، التي اعتدت أن أركل بها الكرة.

> حين انتهيت رفع وجهه، فلمحت دمعتين تجريان على خديه، حدق في وجهي، ملياً، ثم تحامل على قدميه، ومشى مترنحاً، حتى جاوز باب الغرفة

ودون أن ندري، كنا جميعا وسط البحر نتقاذف الماء، حتى سمعتُ صوت أمي يناديني غاضباً. التفتُ مرغما، وجدتها تلوّح من بعيد، وهي تسند ظهرها، على باب السيارة .

خرجتُ إلى الشاطئ، ومشيت نحوها مترددا، والماء يقطر من ملابسي، شاعراً بالأسى لانتهاء المتعة سريعاً، لكنها حين اقتربتُ قالت:

– اخلع ملابسك. ضعها هنا على سقف السيارة لتجف.

– ملابسي كلها؟

– كلها. تستطيع أن تسبح إذا شئت. هل الماء بارد؟

– قليلا.

– إذن هيا، ولبفعل إخوتك مثلك.

بلمح البصر، كنت قد خلعت ملابسي حتى لم يبقَ سوى القطعة الداخلية الأخيرة، ورجعت طليقاً نحو إخوتي، الذين ما إن راوني حتى تراكضوا نحو الشاطئ، وهم يتملصون من ملابسهم شيئاً فشيئاً، وسرعان ما اختفت معالم السيارة تحت الملابس المنشورة عليها.

أحسست بكل ذرة في جسدي تتوتر، وبعضلاتي تتجمد، وأنا أرتمي على الماء، غصت حتى عنقي، ولكن البحر كان دافئاً.

ضربت الماء بذراعيّ قليلا، ثم انقلبت على ظهري، وتركت نفسي مرتخياً، أنظر إلى سماء زرقاء صافية. ثم أغمضت عينيّ، وأنا أحس بجسدي يتهادى على الموج الخفيف، حتى انتابني شعور باني توغلت مسافة كبيرة داخل البحر، عندما فتحت عينيّ فزعا، وجاهدت لأقف على قدميّ، فإذا بهما تلمسان الأرض، وإذا بي قريب من الشاطئ.

كان رفيق وشريف يرشقان أحدهما الآخر بالماء. أما ياسر، أصغرنا، فقد وقف، يجسده الناحل، ينتفض مرتجفاً على حافة البحر.

أشرت إليه أن يأتي.

– هنا الماء دافئ. تعال، لا تخف.

تطلع إليّ متردداً، فهتفت:

– أمسك يدي.

لكنه تراجع إلى الخلف، ضاماً ذراعيه إلى صدره، وعيناه تعانقان البحر شوقاً.

بعد نحو عشرين سنة، حين رأيته مسجّى على طاولة المشرحة، وقد جيء به من جبهة القتال، وجسده العاري ناحلاً شاحباً، وذراعاه مضمومتين إلى صدره، تذكرت صورته ذلك اليوم، وهو واقف على الشاطئ يرتعش خوفاً ولهفة، وشعرت بالأسى، لأن الخوف يومها ابتلع رغبته في مجاراتنا. وها نحن لن نذهب إلى البحر معاً بعد الآن. كان وجهه هادئاً، وعيناه مفتوحتان، على بحار وسدوات غير مرئية. همست باسما:

– لماذا لم تنزل إلى البحر؟ كان الماء دافئاً والشمس ساطعة.

لكنه ظل يتراجع حتى استدار راكضاً. خرجتُ وراءه مهدداً بأن أجرّه الى البحر، فلاذ بأمنا التي كانت تقف إلى جوار السيارة الصغيرة.

حين اقتربنا، فوجئنا بها تمسك بسيجارة، رفعتها حين رأتنا إلى فمها، ونفثت دخانها في وجهينا، وهي ترقب ذهولنا، بعينين باسمتين. كانت المرة الأولى في حياتنا التي نرى فيها أمنا تدخن سيجارة.

هتف ياسر:

– دعيني أجرّب.

فوضعت السيجارة في فمه، ولكنه حين حاول أن يسحب الدخان اختنق بالسعال. تشنجت واقتربت، وعاجلت إلى امتصاص السيجارة، بعمق، ونفثت الدخان بمهارة، كنت قد اتقنتها في الشوارع الخلفية.

ومع تبدد الدخان، في هواء ذلك اليوم الشتائي، بدأتْ أرى أمي بضوء مختلف، متواطئة وصديقة، وفي الوقت نفسه كان يتنامى في داخلي شعور بالقلق، من براعتها في إخفاء هذا الأمر عنا، حتى اننا لم نعثر، يوماً، على أثار سجائر في بيتنا. ولكنها كانت قادرة على إخفاء أمور أخرى، توّجتها بقفزها من شباك غرفتها، بعد خمس سنوات، من يوم الشاطيء ذاك، وارتطامها على سلم العمارة الخارجي، بدوي مكتوم، ظل يرن في أذني سنوات طوال بعد ذلك. أذكر تحلقنا حول جثتها المرمية، بغير عناية على السلم، ونحن نحدق، بذهول اليقظة المفاجئة، من غيبوبة عميقة، نحاول أن نفهم لماذا ترتمي أمنا بلا حراك على سلم العمارة، ووجهها شديد الشحوب غاذبا عمّا حوله؟

– حان وقت الرجوع.

قالت أمي، وانهمكت في مساعدة ياسر على ارتداء ملابسه.

برز رأس رفيق من تحت الماء، وقد احمرّ وجهه، وتندت عيناه. نفض شعره المبلل، وأشار إلى بقعة بعيدة على الشاطئ، حين كان شريف ينحني على الأرض، يجمع القواقع في كيس ورقي.

– هيا يارفيق حان وقت الرجوع.

غمغم بشيء ما، وسوّى وضع نظارته، وسار معي، ويدي ينحنيان بين حين وآخر، لبلتقط قوقعة هنا وأخرى هناك.

ودون أن أدري، وجدتني اتثقل ببصري، بين الرمل، ومخلفات الشاطئ، لألتقط القواقع، وأسقطها في الكيس. وجدت واحدةً مثقلة، وقفنا نحاول فتحها، فلما استعصت طلوحت بها إلى البحر. ثم أخذنا نتبارى، فيمن يرمي الحصى أبعد من الآخر.

كان شريف أقرب إخوتي إلى نفسي، ربما لأنه كان يصغرني بعام واحد فقط. كنا لا نكاد نفترق، وحتى عندما حصل، بعد انتهاء الحرب، على عقد عمل في دولة عربية، ظل يراسلني، عدة سنوات، باتتظام، وفي كل رسالة، يعد بأن هذا هو عامه الأخير في الغربة، وأن عودته صارت وشيكة. ويمر العام، ويمضي آخر، بل إن رسائله، ظلت تتباعد، حتى انقطعت نهائيا، وبدا كأنه غاب عني إلى الأبد.

الخوّافات

إنعام كجه جي

لـ نحن سبع شقيقات كلنا خوافات، أختي عاتكة، كبرانا، ثالثة السرطان الذي التهم ثديها الأيسر فاستعاضت عنه بقطعة من البلاستيك. تدسّها في صدريتها كل صباح فيعتدل قوامها. وفي الليل تطفئ أختي نور غرفتها قبل أن تخلع ثيابها، ثم، وكمن يكشف عقربا سامة، تخلع الرئي الكاذب وتربمه في علبة خزانة الثياب وهي تحاذر أن تنظر إليه تعيش عاتكة خوفا مستمرا من أن يمتد السرطان إلى ثديها الأيسر، وبطنها، وحنجرتها، ورحمها، وبقية أجزاء جسدها. وهي تُعوذ أن تعيش قلق الأشهر التي تفصل بين زياراتها الدورية المنتظمة للمستشفى، دون أن تتعود الخوف نفسه. أراقب هواجس شقيقتي الكبرى، فيحلو لي أن أخذها في حضني وأمسّد على شعرها الجميل واطرد عنها أشباح الخوف. وأتمنى لو أفعل الأمر نفسه مع أختي عفاف.

عفاف تخاف من زوجها. ليس من تجربحه المستمر لها لأنها أحبت قبله زميلا لها في الجامعة، سافر إلى هولندا لإكمال دراسته ولم يعد. وحسام، زوج عفاف، يعرف تفاصيل قصة الحب القديمة، لكنه يرفض أن يقلب الصفحة. وهو ما إن يصبّ في جوفه كأسا من الكحول حتى يبدأ بتعذيب عفاف وتذكيرها بحبها الفاشل وبحبيبها الذي فضّل عليها نساء أوروبا. يقتل، ذلك التذكير اليومي الشامت، تقفز إلى أختي الأمل بحياة زوجية سوية. إنها تخاف من إذعانها المستمر للإهانة، وتخشى أن يقودها التحريض الجارح إلى أن تهدم بيتها بيديها.

أختي عاطفة ليس لها زوج تخاف منه، لكنها تخاف الزمن، وتضع وجهها في وجه المراة ساعات طوالا. تتحسس التجاعيد الصغيرة. تشدّ ترهّل الرقبة. تدمن البقع الجافة وتطارد الشعيرات البيضاء دون أن يطمئنها كل ذلك. إن نظرة الرعب سرعان ما تقفز إلى عينيها كلما فتح أحدهم سيرة العمر، بحيث أننا صرنا نتعمد تجاهل الاحتفال بعيد ميلادها أو تذكيرها به، لأن معنى ذلك أن تتهاوى مريضة لعدة أيام، وأن نمرض، نحن السبع، معها.

كنتُ أفهم أشكال الخوف، إلا ذاك الذي يتملك أختي وصال إزاء مديرها في العمل. إنه شيء يتجاوز الرهبة المعتادة التي يشعر بها الموظف أمام مدرائه. خوف حقيقي يجعلها تصلّي كل يوم وتنذر النذور لكي يتمّ نقل المدير إلى دائرة أخرى، قبل أن يكتب عنها تقريرا يؤدي إلى تقليل راتبها، أو حرمانها من مرتبة مرة أو فصلها من الوظيفة. وقد انتسبت وصال إلى الحزب مع أنها لا تفقه شيئا في السياسة، لمجرد أن تبدو أقوى أمام مديرها، بدون جدوى. إنه يرتصد كل هفوة. ومركزه في الحزب يجعله بمنأى عن صلواتها ونذورها. لن يفصل. لن ينقل. لن يحال على التقاعد. وستبقى تحت رحمته، تطوي صدرها على هواجسها إلى ما شاء الله.

كل واحدة منا لها خوفها الخاص. أختي منال تخاف على خطيبها، الذي هو ابن عمنا. الشاب الذي فتحت عينيها على حبه. حين خطبها، كانت سعيدة إلى درجة جعلتها أجمل وأرشق وأكثر بريقا. وكان نادر، خطيبها، مهذبا حديث التخرج وجديدا في الاحتياط. لكن الحرب قامت. وبدل أن ينهي نادر خدمته العسكرية في ستين، أصبح الأمر مرهونا باستمرار الحرب. وذبلت منال. خبا بريقها وتحجّرت نظراتها، سكن الخوف وجدانها كله. ربّ لا تجعله طعما للنار. "ربّ أبعد عنه القذائف والشظايا واحمه من الأسر. ربّ أعده سالما وخذ مني ما تريد". وكلما دخلت الحرب سنة جديدة، كبر خوف منال ولم تتعود أن تعيش على إيقاع الخطر. كانت تنهار في نوبة من الشعيرية والتقيؤ كلما سمعت باستشهاد الجامعة التي لا تخفى انزعاجها من أنني نشأت فيه.

أنا الخوّافة السابعة، لا أخشى مديري فحسب، بل مدرائي في العمل. رئيس الشعبة الذي يربيدني بدقة الحاسبة الإلكترونية. رئيس القسم الذي ينظر إليّ نظرات وقحة كلما مررت من أمامه، سرعان ما تهبط نحو الساقين. مسؤول شؤون الموظفين الذي لا يكفّ عن الاستفسار عن ميولي السياسية وميول أفراد عائلتي. حتى الجد السابع، وبقدر خشيتي من زوجي، كانت تربعني احتمالات انزلاقي في هاوية عاطفية طارئة، تكون الملاذ الذي أحتمي به من الجفاف المحيط بي. وهكذا فإنني كنتُ أخاف الآخرين وأخاف نفسي أيضا. التجئ إلى أعين شقيقاتي اللواتي تقاسمن معي الغرفة واللقمة والخاف، تبادلن المطامح والأحذية ومشابك الشعر، ولا أجد في أعينهن فنارا يهديني، بل أصداء لذلك الخوف الرهيب الذي يسيطر علينا.. فازداد انكماشاً.

... إلى أن كان يوم!

نزلتُ من البيت أمسك بيد البنت والولدين أوصلهم إلى المدرسة كعادتي كل صباح.كان ذلك اليوم هو الثلاثاء. يوم مثل باقي الأيام في شهر مثل باقي الأشهر. في سنة مثل باقي السنوات. أستيقظ في السابعة والنصف فأجهّز الفطور وأوقظ الصغار. أغسل وجوههم وهم نصف نيام. أمشط شعورهم وألبسهم ثيابهم ثم أدسّ طعامهم في حقيبة الكتب. أسرع بهم إلى مدارسهم قبل أن أجري إلى عملي. أي شيطان جعلني، ذلك اليوم، أغيّر البرنامج؟ قلت لأبنائي إنهم لن يذهبوا إلى المدرسة. وإنني لن أذهب إلى عملي. سأركب الباص وأنزكه باأخذنا إلى المحطة الأخيرة. وخلال ذلك سأتفكر كيف سأنقضي بقية النهار.

تركنا حقائب الأولاد عند بائعة الخبز في أول الشارع. انتظرنا الباص لنتراصف فيه وسط زحام الصباح. كنا مضطربين لمجرد إحساسنا بأن أمامنا فرحاً كثيراً... مختلفاً، سار الباص متثاقلا مثل حبلى. يفرغ ما بجوفه

> انفتح الباب الأوتوماتيكي وصعدت شابة تبدو نسخة طبق الأصل من أختي منال، ماذا تفعل عن بيت العائلة؟

أنا الخوّافة السابعة، لا أخشى مديري فحسب، بل مدرائي في العمل. رئيس الشعبة الذي يربيدني بدقة الحاسبة الإلكترونية. رئيس القسم الذي ينظر إليّ نظرات وقحة كلما مررت من أمامه، سرعان ما تهبط نحو الساقين. مسؤول شؤون الموظفين الذي لا يكفّ عن الاستفسار عن ميولي السياسية وميول أفراد عائلتي. حتى الجد السابع، وبقدر خشيتي من زوجي، كانت تربعني احتمالات انزلاقي في هاوية عاطفية طارئة، تكون الملاذ الذي أحتمي به من الجفاف المحيط بي. وهكذا فإنني كنتُ أخاف الآخرين وأخاف نفسي أيضا. التجئ إلى أعين شقيقاتي اللواتي تقاسمن معي الغرفة واللقمة والخاف، تبادلن المطامح والأحذية ومشابك الشعر، ولا أجد في أعينهن فنارا يهديني، بل أصداء لذلك الخوف الرهيب الذي يسيطر علينا.. فازداد انكماشاً.

... إلى أن كان يوم!

نزلتُ من البيت أمسك بيد البنت والولدين أوصلهم إلى المدرسة كعادتي كل صباح.كان ذلك اليوم هو الثلاثاء. يوم مثل باقي الأيام في شهر مثل باقي الأشهر. في سنة مثل باقي السنوات. أستيقظ في السابعة والنصف فأجهّز الفطور وأوقظ الصغار. أغسل وجوههم وهم نصف نيام. أمشط شعورهم وألبسهم ثيابهم ثم أدسّ طعامهم في حقيبة الكتب. أسرع بهم إلى مدارسهم قبل أن أجري إلى عملي. أي شيطان جعلني، ذلك اليوم، أغيّر البرنامج؟ قلت لأبنائي إنهم لن يذهبوا إلى المدرسة. وإنني لن أذهب إلى عملي. سأركب الباص وأنزكه باأخذنا إلى المحطة الأخيرة. وخلال ذلك سأتفكر كيف سأنقضي بقية النهار.

تركنا حقائب الأولاد عند بائعة الخبز في أول الشارع. انتظرنا الباص لنتراصف فيه وسط زحام الصباح. كنا مضطربين لمجرد إحساسنا بأن أمامنا فرحاً كثيراً... مختلفاً، سار الباص متثاقلا مثل حبلى. يفرغ ما بجوفه محطة بعد محطة، حتى أصبح لكل واحد منا متسع للجلوس ومد الأرجل. لم اتبادل مع أولادي أي كلام. تركتهم لصخبهم ودهشتهم ورحت أتابع الحركة الدائبة على الأرصفة. أتساءل: هل بين هؤلاء إنسان لا يخاف البتة؟ وكيف يعيش إنسان لا يعرف الخوف؟ كيف يسير؟ كيف يتكلم؟ كيف يضحك؟ كيف يحب؟ وعند المحطة الأخيرة التفت إلينا السائق متسائلا. بيدو أنه لمح في أعيننا تلك النظرة التي لا تقاوم، نظرة غريق يلتمس قشة تبقي به على ضفاف العيش.

كانت الشمس قد ارتفعت في السماء وازداد الطقس حرارة. لم ينطق السائق بكلمة. وقف وخلع سترة العمل الزرقاء واكتفى بما تحتها من رداء قطني قصير الكمين. نزل ورفع عن الباص الافتة التي تشير الى الاتجاه. أزال الرقم وعاد إلى مكانه ليطلق نفساً جبارا اختلط فيه الشهيق بالزفير... وانطلق بنا.

قطع الباص شوارع لم أرها من قبل. مرّ بأحياء جميلة نظيفة، وبيوت هادئة، وعمارات تبدو وكأنها مكاتب يعمل فيها مراء مئات من الجمل والأسئلة الغريبة التي تدور في رأسه المتعب، ولم ينجح أيضا في إزاحة الغشاوة الحمراء عن أطراف عينيه. وبدلا من ذلك، قاده حسّه الأمني إلى إغلاق عينه الأخرى كإجراء احترازي. فماذا لو رجع صاحب البساط المعفّر ورصد مظاهر الحياة في ملامحه؟!

هكذا أفضل، فالموت مرة واحدة يكفيه في الوقت الحاضر، (كان سعدون يحدث نفسه من دون أن يحرك شفتيه ويكوّرهما كما اعتاد أن يفعل في الماضي القريب، تحاذا).

***

في الماضي الذي قطع أيامه وليالية مهرجا لا مبالياً.. كان سعدون مجرد عابر سبيل، يمرّ بجانب الأشياء من دون أن يسمح لها باجتياز الحدود التي رسمها حول نفسه. وفي لجّة الأحداث الكبيرة التي كانت تقع إلى مسافة غير بعيدة عن المقهى الذي تعوّد قضاء فترات الظهيرة الطويلة فيه، كان يستمع بضجر إلى القصص الرهيبة وحفلات الإعدام الجماعي التي يموت في نهايتها الناس من دون جريرة. القصص التي حسبها خيالا منمّقا يحسن البعض حياكة تفاصيله بحرفية عالية. القصص التي أدار لها ظهره ولم يسمح لها يوماً بأن تعكّر مجرى أيّامه التي كانت تمضي بوتيرة واحدة. ذلك الماضي الذي لفظه، لا يمكنه أن يعود مجدداً بعدما حدث.

في المدينة الجنوبية وفي شارع السعدون، الذي استعار اسمه نكاية به، كما صرّح أكثر من مرة لرفاقه من رواد المقهى، تسنّى للولد الجميل أن يهذر باصناف متعددة من الحديث الذي يجمعه أحيانا على الرصيف بعمال المسطر الطارئين الذين لم يتسنّ لهم الوقت لفك طلاسم الكتابة والقراءة بسبب الفقر. كان يجمعهم حوله بخفة ظله وسخريته اللاذعة كلما سمح لهم بذلك الوقت الممتد بين فترة عمل وأخرى. وهو يفعل ذلك بسهولة توازي السهولة التي تستطيع فيه قطعة حلوى لزجة أن تجمع أعداداً من الذباب الكسول حولها.

درس سعدون في المدارس الابتدائية والثانوية حتى امتلأ رأسه بالضجيج، فتوقف عند مشارف الجامعة متلكئا واختار أن يعمل ويعيل أسرته الصغيرة المكونة من أمّ سعدون العجوز وولدها سعدون. موظف في دائرة البريد التي تقع في زاوية الشارع الرئيس لمركز المدينة حيث يقضي صباحاته فيها منذ سنوات لم يعد يتذكر عددها، كان يعمل بدخل غير معقول في الصباح وبدخل لا بأس به في ورشة لتصليح السيارات مساءً، وبين هذا وذاك، يقضي وقتا طويلا في الجلوس إلى مقهى الحي الشعبي ليبدد نصف دخله في تذوق أقداح الشاي الحبري وتدخين علب السجائر المهرّبة ومساعدة بعض المحتاجين في الخفاء، وكان يقطع نصف الساعة الأخيرة بتقليب صفحات كتاب قديم مغلف بعناية بمجلد سميك حرص على أن يخفي عنوانه عن نظرات الفضوليين، مدعياً الاستغراق بالقراءة بين دفتيه باهتمام كانت تعززه عقدة حاجبيه الغضبي. أما أحاديث السياسة التي عكف الناس على تبادلها بصوت خافت، فكان يدير لها ظهره ويتظاهر بتدخين ما تبقى من عقب السيجارة الأخيرة، قبل أن يغادر إلى منزله وهو يحمل بفخر كيساً من الخضراوات الذابلة ونصف دجاجة.

تبقى أمه العجوز في انتظاره كل يوم لحين عودته، لتسكب له ما تيسر من طعام باكله على مضض فيمضي صامتا إلى سريره استعداداً لحلم جديد يفصّله على مقاسه ويتركه على حافة السرير بعض الوقت، لحين إتمام طقوس النوم بارتداء (الدشداشة) وأداء بعض التمرينات وطقطقة فقرات ظهره المتعب، وبهذا يقطع الطريق على محاولات الذاكرة المستميتة لسحبه إلى وقائع أحداث اليوم.

يستغرق سعدون في نوم عميق بعد أن يرتدي حلمه بثوان معدودة، حتى يتصدر صوت شخير مثل بالون حلزوني فيصيب بشظاياه غرف المنزل المجاورة ويقضّ مضجع العجوز المسكينة، فتكتفي بالاستغفار من ربها وتدعو بالهداية لهذا الولد (الوحيد) الذي يستمر في تعكير حياتها حتى وهو في نومه.

***

بدأ سعدون ذلك اليوم، كعادته، مازحاً مع الموظفين في دائرة البريد، لكنه في الفاصل الزمني الممتد بين عمله الأول والثاني وهو في طريقه إلى المقهى، تعثر بمسيرة هائجة من جموع المارة الذين كانوا يقطعون الطريق بين بداية الشارع ونهايته بخطوات متعجلة ومرتبكة، وتهادى مجموعة من البزات العسكرية وهي تدك بساطيلها في الأرض كمطارق مجنونة، في محاولة للحاق بهم. لم يرق له المشهد المعفر بالضجيج والتراب، فبدأ بتوزيع السباب بالتساوي على المارة ومطارديهم. وحين توقفت شاحنة نقل الخضراوات الفارغة في رأس الشارع، قطعت الطريق على البعض، ما أتاح الفرصة للعسكر –تحت تهديد السلاح– لغرف مجموعة من الأجساد ودلقها على عجالة في خلفية الشاحنة كما يغرف الدلو الماء من بركة، وسرعان ما امتلأت الشاحنة بالرؤوس والقصقاص والبناطيل والدشاديش والعمائم والعباءات الرجالية وسحبت في طريقها قميص سعدون وبنطاله وشحاطته، وكان ما يزال يتلفظ بكلماته النابية محاولا التخلص من تدافع الأجساد ومشمئزاً من روائحها المعفدة، حتى كتمت صوته ضربة عصا غليظة تلقاها خده الأيمن وشريتها نظراته الزائغة، وهي تحاول اللحاق باليد التي تمسك الطرف الآخر من العصا من دون جدوى.

وجد الولد المهرج نفسه ومن دون مقدمات، وسط جموع من البشر لا تربطه بهم سوى خيوط المفاجأة ومشاعر الخوف من المجهول. داخل شاحنة الخضراوات التي قادتهم بجنون بين شوارع المدينة الجنوبية إلى لا مكان. ووسط الذهول ومطبات الطريق، تسربت إلى مدارات سمعه بعض الحوارات الخافتة التي كانت تدور بين ركاب الشاحنة المرتعبين وكانت أشبه بهذيانات مريض بالسرطان يراقب باستسلام أذرع الموت وهي تسحب روحه ببطء إلى مكان بارد؛ ذكر بعضهم حادثة مقتل بعض من عناصر حراس مركز التوقيف قبل ساعات وهروب سجناء سياسيين في اللحظات التي تلت ذلك، ثم انسلالهم خلسة بين الجموع و.. الفوضى، الفضول الذي حشد بعض السابلة في الوقت والمكان الخطا.

> كيف وصل الولد الكبير إلى هذه الدائرة التي انبثقت فجأة من أعماق الجحيم، الدائرة التي ابتلعت هذا العدد الكبير من الجثث

تذكر سعدون، وسط هذه الجحيمي، الحكايات المرعبة التي كان يتداولها رؤاد المقهى والأسرار المسرّبة من دهاليز السجن المركزي للمدينة، الذي كان سيبتلع الدفعة الهرب، ذلك السجن الذي غذّته خيالات البسطاء من الناس بالدماء حتى كاد يشبه قلاع العصور الوسطى حيث تمارس جرائم قتل شنيعة بحق السجناء، وتصهر الكرامة الإنسانية من دون أسباب معروفة.

وبعد أن تيبّست مفاصله بفعل الخوف والوقوف الطويل، بلغت الشاحنة مفترق طرق يؤدي إلى مشارف المدينة فتنبه البعض منهم إلى ضجيج أبواق السيارات التي تمّ مباغتة أصحابها بمسار الشاحنة المسرع، ثم اجتازت عربة الجنون المفترق الأخير بحركة سريعة وعشوائية في اتجاه الطريق الصحراوي.

***

لم يتذكر سعدون، بعد مرور أيام طويلة على هذا التاريخ، وهو يتأمل الضباب المتصاعد من قدح الشاي الموضوع أمامه في المقهى، التسلسل المنطقي للأحداث التي تلت وصول الشاحنة إلى المنطقة النائية في عمق الصحراء. كانت ذاكرته معبأة بخزين من الرمال التي عفّرت أقدام رفاق الشاحنة وسدّاق ركلات بنادق العسكر التي كانت تدفعهم إلى حافة الموت، ثم لكنة نائب العريف اللزجة وهو يتلو الحكم المتعجل وأصوات أزيز الرصاص التي أعقبتها.. رائحة العرق والدماء.

* لوحات: ضياء العزاوي

لوحة باهتة لسماء بعيدة

خيوط المفاجأة

نهى الصراف

❏ سعدون، الولد الكبير، المهرج، المتصابي، المتحذق، الوسيم، صاحب الصولات والجولات، زير النساء، الموظف الكسول، المثقف الفاشل، الفقير إلى الله. ما الذي يفعله هذا الكائن الجميل في هذه الحفرة الوسخة المغبسة بالدماء؟

كان مقيداً، غائب الذهن، تطوّقه أجساد متقوية بالرصاص ما زالت تطلق دفقات من دماء ساخنة، فلم يتسنّ له تلافي لزوجتها وهي تنثر على وجهه، بين الحين والآخر، من أجساد تلفظها ولا تريد أن تستعيدها. بدا المشهد الأخير مشوشاً، فبعض الدماء على زاوية عينه اليسرى عتمت تفاصيل المسافة التي كانت تفصله عن الأقدام الملتفعة بالبساطيل والتي انجزت مهمتها الرهيبة بنواً وتلكات في طريق العودة. ولأنها ترددت كثيراً في الذهاب والإياب مجدداً إلى الحفرة الجماعية في محاولة لإفراغ ما تبقى من عتاد البنادق في الأجساد الساكتة، تسنّى لسعدون أن يرى واجهة البساطيل وقفاها تتبادلان الأدوار أكثر من مرة.

كيف وصل الولد الكبير إلى هذه الدائرة التي انبثقت فجأة من أعماق الجحيم، الدائرة التي ابتلعت هذا العدد الكبير من الجثث وتركت سعدون لمصير آخر لا يقل جحيما عن الموت بالرصاص؟ أمر الإعدام الجماعي كان موثقاً في الورقة السمراء الباهتة التي انتهى من تلاوتها قبل دقائق أو دهور، أحد العساكر كان أدفأ المدن والطفها وداً. كيف لم نفطن إلى حضنها الوثير الجدير بالأمهات؟

لكن الباص توقف.

ما الذي يجعل السائق يدعس على الكابح، فجأة، فتندفع في مقاعدنا إلى أمام ثم نرتد ضاربين ظهورنا إلى الخلف؟ من هذه الدقائق الحسناء التي أشارت إليه تنوي الركوب؟ انفتح الباب الأوتوماتيكي وصعدت شابة تبدو نسخة طبق الأصل من أختي منال. ماذا تفعل أختي في هذا الحي البعيد عن بيت العائلة؟ صعدت منال مرتدية فستاناً أحمر، هي التي خبأت كل فساتينها الملونة منذ ذهب خطيبها إلى الحرب. كانت تضحك وتضحك وهي تقبلني وتقبل الأولاد وتقول إنها قررت اللحاق بنا في "رحلة العمر".

وقبل أن تستقر منال في مقعدها، توقف الباص من جديد لتصعد أختي عاتكة، كان شعرها الطويل مصففا في جديلة تتسدل بدلال على ظهرها، بعد أن كانت تربطه في مؤخرة الرأس مثل عجائز القرى. نظرت عاتكة إلينا معاتبة وهي تبتسم بحبور:

– أهكذا تتامرن من وراء ظهري وتنطلقن في رحلة العمر من دوني؟

أيتها النجوم، كم تشرفين من علبائك على أحزان البشر! وصل الأمر بمنال، في إحدى نوباتها، إلى الصراخ وهي تشدّ شعرها: "ليته يموت مرة واحدة وأستريح!".

ثم راحت تلطم صدرها نادمة على الكلمات المجنونة التي صدرت عنها. تستغفر ربها وتنتحب وتخشم وجهها، فشلت كل محاولات أختي منى لتقييد يديها ومنعها من إلحاق الأذى بنفسها.

منى؟ أنها الأخت التي لا تخاف إلا من ذاتها. من عواطفها الجامحة ونزواتها العنيفة ومن ذلك الطبع الحاد النزق والرغبات الهائلة المعلنة وغير المعلنة. هي الأجرأ بينا. لا تخاف أحدا على هذه الأرض خارج ذاتها. لكنها تدرك أن جرأتها تقودها لخطوة خطوة نحو الدمار. كنتُ أقول لمنى، عندما نفترد معا ونتبادل الاعترافات الحميمة: "أحسدك على جرأتك". ثم أدق على الخشب ضاحكة. أما هي فكانت ترد بيقين مخيف: "جراة المراة عنوان جميل لحياة قصيرة".

أنا الأخت السابعة، أخاف من كل الأمور التي تفزع شقيقاتي. كلها مرة واحدة. المرض الذي يترصدني في كل شهيق. السنوات التي تتقلب أيامها وأشهرها بأسرع من تقلب أوراق كتاب. الموت الذي يحصد الأقارب والأصدقاء مثل كف شرهة تقطف الأنفاس ولا تشبع. وكنت أخاف زوجي، وأخته أستاذة الجامعة التي لا تخفي انزعاجها من أنني نشأت فيه.

*لوحات: ضياء العزاوي

اغتيال حقيبة

ركلة قدم في باريس

رغد السهيل

يفور المكان بالحضور والغياب، وجوه ملونة من كل صوب وفج، تتقدم، تبتعد، تمر، وتخطف، خفافا حينا وثقالا حينا، تتحرك حقائب بمختلف الأحجام والأشكال، ميم الاتجاهات سيد المشهد، متعاكسة متوازية متضادة متواصلة، متقاطعة، متسارعة متباطئة، وتهتز البوصلة، تتذبذب، لا تثبت، كراقص ديسكو بحلقة سيرك، لا يحدده اتجاه، تنبعث من الزوايا رائحة نتنة، يرتجف الحديد بحرارة الثلج في محطة القطار، كلاب يرافقون أصحابهم، وأصحاب يرافقون كلابهم، وكلاب أخرى تنبح بلا رفيق أو صاحب، استوحش هو دربه، صديقه الذي خالطه بنفسه، وملك عقله وقلبه، استشهد وترك ولدا صغيرا اسمه موقف صادق، مات أبوه صادق، تطشرت، تفحمت، تناثرت، تطايرت أشلاؤه في انفجار عبوة ناسفة، عبوة ناسفة أمام باب بيته، فأصبح الصغير موقف يتيما، يستجدي في الطرقات وليس من يتوقف عنده، تألم هو على مصير الصغير، حاول تبني موقف وانتشاله من اليتم، طاردته شرطة الأخلاق الوطنية، ومنعته من احتضان الصغير، لأن موقف دخل مملكة الأيتام العراقية، أيتام يستجدون في الطرقات، يقدمون ما يجمعون للدولة لحلحلة الوضع الاقتصادي، وأيّ تجاوز على موقف ومهنته الجديدة تجاوز على حقوق الدولة، وإصراره على تبني الصغير موقف يعد مخالفة قانونية!

> الحقيبة التي أخفاها عنده صاحبه صادق فتحها ووجد فيها أوراقا ووثائق تدين الكثيرين، وجد رسائل تهديد لصادق، اكتشف الحقيقة كاملة في الحقيبة، صادق رفض الابتزاز والخضوع، كافأه رؤساؤه في العمل بعبوة كانت ناسفة!

فتح الحقيبة التي أخفاها عنده صاحبه صادق، وجد فيها أوراقا ووثائق تدين الكثيرين، وجد رسائل تهديد لصادق، اكتشف الحقيقة كاملة في الحقيبة، صادق رفض الابتزاز والخضوع، كافأه رؤساؤه في العمل بعبوة كانت ناسفة!

قرر ألاّ يصمت على حكاية صاحبه، لا بد من كشف الحقيقة كاملة، ما إن بدأ الكلام حتى طاردوه هو هذه المرة، فبعد اغتيال صادق بدأت مطاردة صاحب صادق، حتى فر من بغداد مصطحبا معه الحقيبة، حقيبة الأوراق والوثائق، وتنقّل بين الأنهار والبحار، حتى وصل إلى محطة القطار في باريس.

عبرت أمامه خمس قطط تتدلى في أعناقها قلائد، قلادة في عنق كل قطة، ترتبط جميع القلائد بسلسلة فضية في نهايتها ميدالية، تمسك بالميدالية سيدة بنفسجية الشعر، بنفسجية الثياب والحذاء والخاتم والأساور والقرطين، وطلاء الأظافر أيضا، لعلها سيدة ليل البنفسج، فردد في نفسه أغنية ياس خضر: آه يا ليل البنفسج.. وتذكر فجأة قول جاره أبي الطيب له قبل الرحيل "شر البلاد لا صديق فيه" لكنه هنا في باريس، باريس الجمال والأعاجيب، باريس ماري انطوانيت، ما زالت أنفاسها تتصاعد في كل مكان، أنفاسها عالقة في الهواء، باريس سيدة تتجمل بالكثير من المساحيق، بألوان قديمة ومستحدثة لم تخطر على قلب فنان، ترتدي ليل نهار أفخم الثياب، وتضع على جسدها أفخم الإكسسوارات وأغلاها، لا تعرف سوى الإفراط بالأشياء، باريس الحسناء المتغطرسة تجيد كل اللغات وترفض الحديث إلا بالفرنسية، يفكر كيف يبدأ من هنا؟ فهي أيضا باريس روبسبير!

يحدث نفسه وهو القادم الغريب: ها أنا أقبلت، افتحوا لي الأبواب، وأغلقوها بعدي، ضحك على نفسه، ضج بالضحك الهستيري، امتلأ بالضحك، فاض منه، استرسل فيه، واصل الضحك، ضحكة غريب يرغب بسماع الصدى، صمت بعدها، حرك جسده في مكانه وترنح، ترنح دونما إيقاع، ترنح دونما خمر، والمحطة تهتز بارتجاف سكك الحديد... يحتار أيدخل أم يبتعد؟ كل القطارات لها اتجاه، وهو من دون اتجاه، ما زال ينفخ سيجارة تلو أخرى، تتداخل، تتعانق، تختلط، تتكاثر الدوائر، وبمنتهى الحرية ثم تتلاشى في الهواء، كأنه لم يكن، أرعبته الفكرة!

أتعبه الهروب، أنهكه الطريق، والحقيبة الصغيرة متهرئة، خفيفة وثقيلة، فليس فيها إلا صورة واحدة، وحزمة أوراق ووثائق، تنام الأوراق في الحقيبة، وتنام فيها حكاية صاحبه صادق، حيث الإصرار والترصد على تحويل موقف ليتيم، أقسم أن يصون الحقيبة، صرخ، انتفض، ثار، هذه الوثائق خطيرة، ستتزلزل الأرض لو كشفتها، دلائل وإثباتات ستقلب الطاولة، لاحقوه قتلوا عائلته فردا فردا، حتى هرب في ليلة قمرها مهاجر، تنقل بين البحار، أفلس فهو في القافلة أمين، لم يبق له في الحقيبة سوى ورق، ستشرق شمس العدالة، سيحرقهم شعاعها، سيتحدث في الإعلام الدولي، سيفضحهم، سيثأر لصادق ويعود يتبنى موقفا، قرّب الحقيبة من صدره، احتضنها، دفع ثمنا باهظا حتى يصل هنا، إلى سيدة الدلال باريس، ما زال يشعر بالخوف، لازمه الخوف طويلا، كمرض مزمن اعتاد عليه، أين يتوجه؟ وكيف سيتحرك؟ لا أحد هنا وكلهم هنا. العالم مخيف، تطارده رائحة المؤامرة، المؤامرة أكبر منه، وهو وحيد، لكنه لن يصمت، غامر وقطع المنافي البعيدة، يحيطه رمادُ سيجارةٍ، برد قارص في العظام ولا مدفأة للروحِ، والعالم يضيقِ، يتكور، يتقلص، يخنقه، أين يذهبُ؟ محض تراب في المجرات، وهو نقطة في مجرة التبان، صدى صوته الداخلي: أيها المغرور المعتوه، من ذا الذي تقاومه، وأنت محض رأس دبوس!

حقيبته رحيل يتوالد، وطن يتجول، يتنقّل، يتمزق بين المحطات. كم من محطة وقف ببابها ولم يدخل، فالوطن كابوس، كابوس في حلم، وهَم عند الاستيقاظ، شعر بالنعاس، لم ينم منذ ليال، يحلم اللحظة في النوم، قليلا من النوم، هنا باريس عالم حر، أمان من الاغتيال، سينام ساعة واحدة، ثم يفكر كيف يبدأ بالانتقام، أشرقت عيناه بومضة الأمل، دخل المحطة، جمع جسده في الزاوية، مدد جسده فوق الأرض، ثم تكوّر، كجنين في رحم أمه، وتوسد الحقيبة، أغمض عينيه، شعر ثقل دمائه في العروق، استرخى، لا أحد هنا، لن يصل له أحد، كرر هذا لنفسه وهو يبتسم، والملاحقة تدور كالدخان، سيرتاح ضميره ويعود لموقف المسكين، سيكشف القذارة الخسيسة، سيقول الإعلام كثيرا عنه وعن الأوراق، سيكون سيد الإعلام، بطلاً في الإعلام، من هنا، سيبدأ الحرب ضد الفساد، وتهدأ روح صادق!

أسرار الحقائب المتهرئة سر وجع الرجال، تحرك شبح بحرية، عبر خلفه القارات، طارده من محطة لمحطة أقبل اقترب، دنا، تهيأ، رفع ذراعه اليمين، في كفه كاتم للأمل، كاتم للسر، كاتم للإعلام، كاتم للحقيقة، سدد، رمى، وانطلقت الكاتمة، أصابت الهدف، الهدف قلب طفلة تغفو في الحقيبة، احترقت صورة الطفلة الصغيرة، تناثرت الأوراق، وقالوا في أخبار منتصف النهار: اغتيال لاجئ عراقي في محطة قطار باريس، ولم يذكر أحد شيئا عن الحقيبة أو الأوراق أو الطفلة النائمة، فالحكاية أشبه بركلة قدم لكنها قاتلة!

جنات في نعيم

هضبة تطل على مخيم

ميسلون هادي

– يله تعالي تأخرنا.

– هسه أجي. يواش.

ظلت جنات تقلب الأكياس في عالمها اليومي الجميل بحثاً عن الفردة الأخرى للنعال. كانت له زهرة بيضاء بتويجات صفراء اللون، وقد عثرت على الزهرة الثانية بمفردها دون أن تعثر على الفردة الأخرى للنعال. الوردة متقنة إلى درجة أن الخيط مع المتك مع الميسم تم تجسيمها بلون أصفر داخل زهرة نرجس مفتوحة فوق كأس من النايلون مقطوع عن مكانه الأصلي في مقدمة النعال.

بدأت الشمس بالتواري خلف غيمة كبيرة داكنة اللون. قالت جنات لنفسها "ما أكبر هذه الغيمة، لقد جعلت رائحة الهواء تتغير، والظلام ينتشر". نادى أخوها الذي كان يرتدي كاسكيتة حمراء:

– ماذا تفعلين هناك، لقد تأخرنا.

– يواش، هسة أجي.

– الدنيا صارت ظلمة.

– شي يهمك، صار عندك كاسكيتة ومناظر.

لم يتبق لها سوى كيس واحد صغير تبحث فيه عن فردة النعال الثانية، أما باقي الأكياس فكانت تستطيع أن تميزها جيداً من أشكالها وألوانها، وبحاسة شمّها القوية تستطيع معرفة أصحابها الذين أعطت لهم أسماء وهمية في خيالها: هذولة بيت العصفور، وهذولة بيت البزون، وهذولة بيت الجاهل الذي يملأ الأكياس بالحفاظات. وكلهم يأكلون السمك والدجاج، ويرمون الرؤوس والذيول إلى الزبالة.

– ها.. فضيها عاد. هل لقيت الفردة الثانية؟

– لا لم أعثر عليها بعد. عثرت على الوردة فقط.

– الدنيا راح تمطر.

– لن أترك هذا المكان حتى أعثر على ذلك النعال.

– بنت النعال مو الدنيا راح تمطر، والأكياس راح تصير تشريب.

– أنت روح، وساتي بعدك.

– هل تريدين أن تضربني أمك؟ المعسكر قريب من هنا، وإذا اكتشفوا وجودنا سيقتلوننا.

بدأت قطرات المطر تتزايد، والطيور المتجمعة على الأكياس تبتعد وتختفي، ولم يتبق سوى الخروف والبقرة والحمار.

– إذا لم نرجع الآن ستحصل مصيبة.

– وهل النصف دينار مصيبة. عثرت على نصف دينار ممزق ويمكننا لصقه بالبيت. أبي سيفرح به.

– هه.. وسيفتح به مطعماً للكباب.

– وعثرت أيضاً على موبايل؟

– موبايل؟

– نعم موبايل.

جاء أخوها وهددها بأن يضربها بالحجارة إذا لم تترك الموبايل من يدها، ولما تركته اتضح أنه ليس إلا غطاء يستعمل لتغليف الموبايل. أخذ يلعنها، ويقول إن الظلام قد حلّ، وأمهما الآن تدور حول نفسها كالمجنونة مخافة أن يكون الجن قد خطفهما. ما إن سمعت جنات باسم الجن حتى نهضت بسرعة، وحملت في عبها غنيمة ذلك اليوم الغائم: نصف دينار، وفردة نعال، مع الوردة المقطوعة للفردة الأخرى، وغطاء موبايل، ومملحة على شكل "زار" انمسحت وجوهه الخمسة، ولم يتبق منها سوى خانة إليك. تجنبت مع أخيها الاقتراب من المعسكر الذي يمران به كل يوم، وتحاشيا الصعود إلى الهضبة الترابية للجنود، وهي الهضبة التي تطل على مخيم مترامي الأطراف يضم الكثير من أولاد الجيران والأقرباء ممّن تركوا بيوتهم المهدمة بقذائف الهاون، وجاؤوا إلى هذه الخيم المصنوعة من القماش الأبيض.

كانت الطيور قد اختفت، ومعها البقرة والخروف. أما الحمار فظلّ في مكانه، وقد انتفخ بوقت سريع نسبياً نظراً لأنه هناك منذ ثلاثة أيام فقط، ويمكن لجنات أن تخمّن بأن محتوياته الدسمة قد اجتذبت عدداً مهولاً من الديدان، وصغارها المولودين حديثاً. ما عدا دودة واحدة صلبة الجسم قوية الأرجل استدلت بحاسة شمها القوية على قطعة حلوى ملتصقة بكعب قنينة مياه معدنية بعيدة عن ذيل الحمار. ولم يكن سهلاً حتى لهذا الخبر أن يبقى طي الكتمان، وانتشر بسرعة البرق بين باقي الدود والنمل والذباب، فتولت مهامّ شاقة توزعت بين القنينة والحمار، الذي لم تكن جنات تستطيع النظر سوى إلى ذيله.

ينشر الملف بالتعاون مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والقصص كاملة على الموقع الإلكتروني

الطمأنينة الزائفة تصرف الشاعر عن الشعر

أديب كمال الدين: الكتابة بأسلوب «النجارة» تنتج قصائد مهلهلة وفقيرة

أثّرت قصيدة النثر المدونة الشعرية العربية بأعمال مهمة، إلا أنها في السياق ذاته سمحت بظهور كتابات تفتقد الكثير من سمات الشعر الحقيقي وتعاني من الترهل والسطحية أو حتى محاولات ادّعاء العمق دون وجود بناء شعري أصيل. "العرب" حاورت الشاعر العراقي أديب كمال الدين عن قصيدة النثر الراهنة ورحلته الشعرية على مدار أربعة عقود.

حنان عقيل
كاتبة من مصر

❏ الشاعر العراقي أديب كمال الدين صاحب تجربة شعرية ثرية قائمة على ما عُرف بـ"الحروفية" التي أسست لأسلوب ومَنهاج خاص به يفصله عن تجارب شعراء جيله السبعيني، عبر عدد من القصائد والمجموعات المتتالية بدءًا من "نون" و"جيم"، مرورًا بـ"أخبار المعنى"، "أربعون قصيدة عن الحرف"، "شجرة الحروف"، و"حرف من ماء"، وغيرها.

يوضح كمال الدين في حديثه مع "العرب" أن اعتماد أسلوبه الشعري على الحرف في أصله قرآني؛ فالحرف حمل معجزة القرآن المجيد ولا بد لحامل المعجزة من سرّ أو معجزة له خاصة به. فمن القرآن الكريم نهل معارفه في مختلف الأصعدة. فالقرآن الكريم فيه علم الأسئلة الكبرى التي واجهت البشرية منذ خلق آدم إلى يومنا هذا عبر أخبار الأنبياء والمرسلين، وهو لكل كاتب وشاعر وأديب كنز لا يفنى من المعارف اللغوية والروحية والفكرية والأسرار الإلهية والقصص المعتبرة والمواقف الأخلاقية ذات المضامين العميقة والحوارات الفلسفية واليومية ما بين الخالق ورسله وما بين رسله وأناسه.

> يجب أن نعترف بأن هناك أزمة في الحصول على الشعر المتفوق المبدع لأن الكثير من الشعراء والشاعرات في أقطارنا العربية يفتقدون إلى الفهم الدقيق لمسألة بنية القصيدة ولمسألة النمو العضوي في القصيدة ومسألة الاقتصاد في اللغة ومسألة القاموس الشخصي للشاعر، كما يعانون من الخواء الروحي والإنساني أحياناً

يستطرد كمال الدين "حين تأملت في الحرف العربي خلال رحلة شعرية امتدت أكثر من أربعة عقود، وجدت أن للحرف العربي ما يمكن تسميته بالمستويات؛ فهناك المستوى التشكيلي، القناعي، الدلالي، الترميزي، التراثي، الأسطوري، الروحي، الخارقي، السحري، الطلسمي، الإيقاعي، الطفولي. هكذا وعبر كتابة المئات من القصائد الحروفية التي اتخذت الحرف قناعاً وكاشفاً للقناع، وأداة وكاشفةً للأداة، ولغةً خاصةً ذات رموز ودلالات وإشارات تبزغ بنفسها وتبزغ باللغة ذاتها، عبر هذا كله أخلصتُ للحرف عبر عقود من السنين حتى أصبح قَدَري الذي لازمني وسيلازمني للنهاية".

رسالة جمالية

قصائد كمال الدين تنهل من التراث الديني والصوفي بشكل خاص، وهنا يلفت إلى أنه ينبغي استحضار التراث في الشعر لأسباب جمالية خالصة. ومن خلف ستار الجمال الشفيف والرائق والمدهش تظهر رسالة الشعر الروحية التي هي إعانة الإنسان على تقبّل الجانب المنير من الحياة بشكل عميق وحقيقي ومساعدته في محاربة الظلام بكل أشكاله وأنواعه.

يرى كمال الدين أن الموت هو الحرف الأعظم. إنّه الحرف الذي لا يسبقه حرف ولا يدانيه حرف. وكشاعر اتخذ الحرف وسيلةً فنيةً وروحيةً يقول "إنّ الحرف والحروفية، بل الشعر والشعرية، إنما هي احتجاج على الموت وتنديد به، ومحاولة للالتفاف عليه وتحجيمه وتخفيف سطوته وعنجهيته وعبثيته".

ويشير إلى أن اهتمامه بالموت ليس عائداً إلى أسباب فلسفية وروحية وفنية فقط بل لأنه مرّ بلقاءات مباشرة وغير مباشرة مع الموت، وقد تركت في روحه أثرا لا يمّحي؛ منها ما حدث في طفولته من مشاهدة آلاف القبور المتناثرة على صحراء النجف الشاسعة، ومشهد الجنائز التي لا تتوقف عن الوصول إلى المدينة، ومشهد النساء المتّشحات بالسواد والنائحات على أمواتهن، هذه المشاهد العجيبة والمخيفة تركت فيه أسئلةً كثيرةً ومفزعةً عن الموت. ومنها ما حدث في صباه حين توفي والده، والتجربة الأكثر مرارة مع الموت كانت في الحرب وهي تجربة تعجز اللغة عن وصف تفاصيلها حيث الموت العبثي يحصد الرؤوس دون هوادة.

دعامات الشعر

تنهل نصوص الشاعر من جماليات النص القرآني وهنا يوضح الشاعر العراقي أنه كثير الاستعانة بالقرآن الكريم: لغة ورموزاً وإحالات. وفيه يجد اطمئنانه الروحي ومتعته الفكرية؛ لذا فإن إحالات قصائده إلى قصص الأنبياء وبخاصة نوح ويوسف والمصطفى موجودة في كل مجموعة من مجاميعه الشعرية، وأكثر من ذلك تحضر تفاصيل رحلة نوح مثلا (الطوفان، الغراب، الحمامة) في الغالبية العظمى من مجاميعه. وقد يبلغ الحضور هذا مبلغاً قوياً لتكون دعامات قصائده مبنية على قصص الأنبياء بشكل تفصيلي كما في مجموعته الصوفية الحروفية "مواقف الألف".

يتسم شعر كمال الدين بالسرد القصصي الحاضر في العديد من النصوص. ينوه بأن القصيدة الحديثة، سواء أكانت "قصيدة تفعيلية" أو "قصيدة نثر" استعانت بالكثير من تقنيات المسرح أو السينما أو الفن التشكيلي أو القصة. وفي كل هذه الاستعانة هناك إثراء، لشعرية القصيدة وتجددها وتطورها الجمالي، موضحًا "في شعري يبرز ذلك بشكل جليّ إذ تظهر الكثير من قصائدي بهيئة حوار مع الذات أو مع الآخر أو بهيئة لقطات سينمائية متنامية أو لوحات تشكيلية أو سرد قصصي لكني أحرص دائماً وبقوة أن يتم هذا النوع من الإفادة المسرحية أو السينمائية أو التشكيلية أو القصصية بشكل فني جمالي خالص، دون تقحّم خارجي أو فرض لا مبرر له، وأن يتم ذلك أولاً وأخيراً من خلال تقنية القصيدة: تقنية النمو العضوي للقصيدة وتقنية الاقتصاد في اللغة فلا زوائد ولا ترهّل في المفردات وضمن قاموسي الشعري الحروفي الخاص".

المشاكل الكبرى

يؤمن كمال الدين بأنه مهما حاول الشاعر أن يركن إلى ذاته باعتبارها البئر الوحيدة التي يسقي من مائها حروف قصيدته فلن ينجح على الإطلاق. لن يستطيع في زمن العولمة أن يدير ظهره للمشاكل الكبرى التي تواجه الإنسان على هذا الكوكب المحاصر بالحروب العبثية والعنصرية والتطرف. لن يستطيع ذلك ولو أصرّ على أن يدير ظهره لكل هذه المعاناة الكبرى التي تعاني منها البشرية لتحوّل شعره، شاء أم أبى، إلى هذيان لا يحترم النبضة الإنسانية ولا يقيم لها وزناً.

يحتاج الشعر، بشكل لا يقبل النقاش، إلى إيمان حقيقي وعميق وراسخ به وبدوره الإنساني الكبير في التنبيه إلى المعاناة الكبرى التي تعاني منها البشرية. فإذا كان قد كُتبَ ليكون أداةً غير أداة التنبيه الروحي والجمالي، أي كُتبَ لمآرب أخرى مثل المال والجاه والنفوذ والمنصب فإن مصيره الزوال الأكيد والنسيان السريع. وبداهة فإن

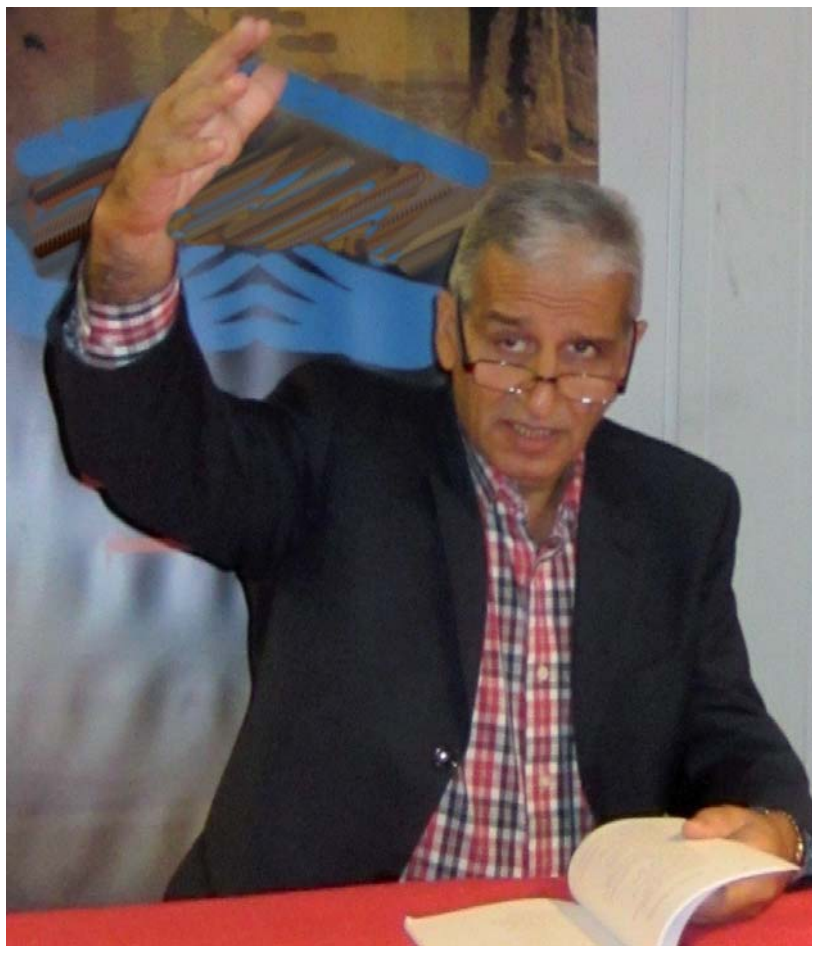

أديب كمال الدين: أنا قارئ نفسي الأول

تناول المشكلات الكبرى للبشرية في الشعر ينبغي أن يتمّ من خلال التمسك المطلق بجمالياته فلا عذر أبداً ولا قبول البتة للقصيدة الرديئة جماليا ذات المضمون النبيل فكريا.

القارئ الأول

يقول كمال الدين "أكتب الشعر لنفسي فأنا القارئ الأول. ومرادي من كتابة الشعر أن يعينني على فهم الحياة وتحمّل تعبها. وفي مجموعتي الأولى 'تفاصيل' الصادرة عام 1976، وفي قصيدة عنوانها 'قصائد صغيرة'، طلبتُ من الشِّعْر أن يعين الجسد المحروم والروح الملتاعة على السير في مواجهة تيّار الزمن المتناثر أياماً تتكرّر ساعاتها وتتكسّر شموسها، أردتُ منه -ولا أدري هل كنتُ على صواب أم لا- أن يأخذ بيدي "ما نفعُ الأشعار/إنْ لم تأخذ بيدي؟. لقد تساءلت إن كنتُ على صواب حين طلبتُ من الشعر أن يأخذ بيدي، إذ ما من جواب حاسم حتى بعد مرور أكثر من أربعين عاماً على هذا السؤال الغريب كغرابة الحياة نفسها والمدهش كدهشة الشعر نفسه!".

دائرة القصيدة

يرى ضيفنا أن دائرة القصيدة تشبه إلى حد كبير الدائرة الكهربائية، فنحن إزاء شاعر ثم قصيدة ثم قارئ. ومن دون الأخير لا يكتمل الشعر ولا تصل القصيدة إلى اكتمالها الإبداعي المنشود. من ثم ينبغي أن يحضر القارئ في ذهن الشاعر بشكل من الأشكال، فلا يجوز، تحت أيّ ذريعة كانت، إهمال القارئ أو نبذه أو التعالي عليه مثلما لا يجوز تملقه أو استجداء عواطفه. ففي الحالتين إسراف فني وفكري. والتوسّط هو الحل الأمثل. لكن كيف يكون التوسّط هذا؟ وكيف يمكن تحقيقه؟ الجواب متروك لكل شاعر أن يحققه اعتمادا على ذخيرته الفنية والروحية والإبداعية.

القلق هو المحرك الأول لقلم كمال الدين، يقول "الشاعر كائن قَلِق! خلقه الله قَلِقاً لكي يتأمّل في الرحلة التي تبدأ بالصرخة وتنتهي بها، أعني صرخة الولادة ثم صرخة الموت. هكذا توجّب عليه لكي يكون شاهداً حقيقياً أن يفسّر لنفسه وللكون كيف أن الصرخة الأولى كانت مبهجة والثانية مرعبة أو العكس بالعكس. كما أُنيطَتْ به مهمة البوح بأسرار الحياة وأسرار الموت. وإزاء مهمات كبرى وخطيرة من هذا النوع صار على قلب الشاعر أن يستوطن القلق ويتخذ منه رفيقاً وخليلاً حتى لا تفسده الطمأنينة الزائفة عن مهمته الجليلة".

قصائد مهلهلة

ينوّه كمال الدين بأن الكتابة بأسلوب "النجارة" لا تتيح للشاعر سوى كتابة قصائد مهلهلة تشكو فقرها الشديد وهزالها الأكيد رغم تماسكها الظاهري الكاذب. و"إذا كانت قصيدة النثر قد فتحت أبواباً عظيمة للإبداع كما هو معروف، فإنها في الوقت ذاته فتحت الباب على مصراعيه -وبخاصة في زمن الإنترنت- لنشر مئات الخواطر الفجّة التي يسمّيها أصحابها "قصيدة نثر" يومياً على المواقع الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي لكن المسألة ليست إنترنتية خالصة ولا خاصة بقصيدة النثر لوحدها بالطبع. إذ يجب أن نعترف بأن هناك أزمة في الحصول على الشعر المتفوق المبدع لأنّ الكثير من الشعراء والشاعرات في أقطارنا العربية -باختلاف أساليبهم الشعرية عمودية أو تفعيلية أو قصيدة نثر- يفتقدون إلى الفهم الدقيق لمسألة بنية القصيدة ولمسألة النمو العضوي في القصيدة ومسألة الاقتصاد في اللغة ومسألة القاموس الشخصي للشاعر، كما يعانون من الخواء الروحي والإنساني أحياناً. الكثير منهم لا يملكون تجارب روحية أو إنسانية ذات شأن أو عمق. وتظهر جملهم الشعرية وصورهم الفنية مليئة بالتغميض والترهّل والتقعير والهذيان اللامجدي حتى تحوّلتْ قصائدهم إلى ما يشبه ركّاب عربة القطار الذين لا يعرف بعضهم بعضاً، ولا يجمعهم أيّ جامع سوى العربة!".

يتابع قائلا "الشعر، كما أراه، هو اكتشاف الحياة في ومضة نادرة وبأقل عدد من الكلمات. ولذا سيكون الشعر الحقيقي والعميق نادراً على الدوام. والغلبة في الظهور، على الأكثر، للنماذج غير الأصيلة، للنماذج التي تعوزها الومضة النادرة في اكتشاف الحياة أو تعوزها قدرة الشاعر على تجسيد هذه الومضة بشكل عميق ومبتكر دونما تعقيد أو تغميض. وبالتغميض أعني الغموض المفتعل وليس الأصيل. إنّ معادلة الإبداع في الشعر صعبة حقاً، وتتطلب من الشاعر خبرة حياتية وثقافية ولغوية وشعرية، مع مران مستمر وإيمان حقيقي بالشعر ودوره الإنساني الخلاق، مع الحرص الصادق على عدم ابتذال الشعر بأيّ شكل من الأشكال".

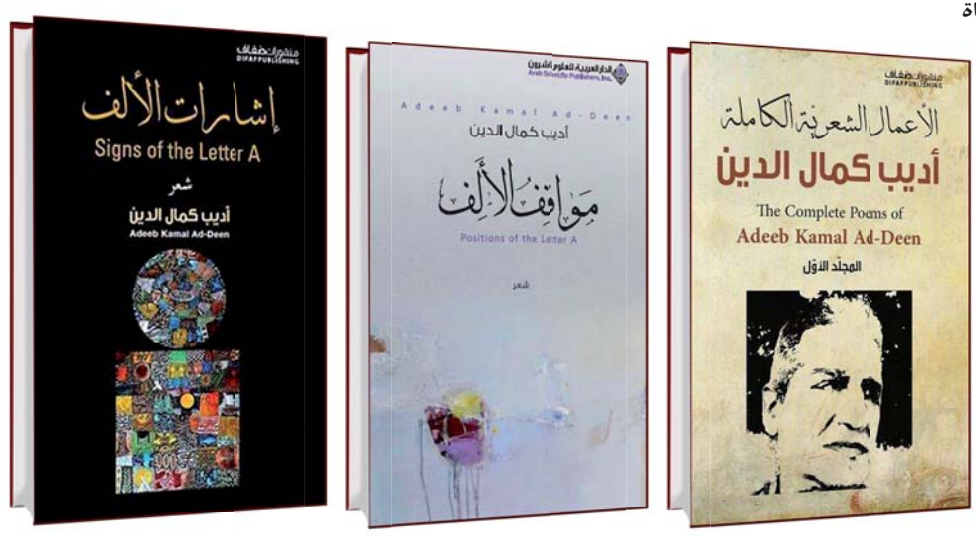

سيرة الإهداءات

نورالدين محقق
كاتب من المغرب

❏ وأنا أعيد ترتيب مكتبتي شدتني كثيرا بعض كلمات الإهداءات التي خطها لي كتاب وشعراء من العالم أجمع على نسخ من بعض مؤلفاتهم . شدني إهداء بهي من الشاعر أدونيس كما شدني إهداء آخر من الشاعر محمد بنطلحة. وهما معا من بين أحب الشعراء إليّ. الأول يعتبرني أخا في الشعر والثاني يثق في موهبتي الشعرية كما في باقي مواهبي العديدة الأخرى على حد قوله. هكذا بقيتُ أتأمل سحر هذه الكلمات المكتوبة على ديوان كل واحد منهما، وأنا أسعى إلى ترتيب مكتبتي. وبدل أن أكمل ما بدأتُ فيه جلست على كرسي كان بالقرب مني وشرعت في إعادة قراءة هذين الديوانين. فقد جعلني هذا الإهداء المبثوث على صفحتيهما أندفع في إعادة القراءة لهما كأنني أكتشفهما لأول مرة. كان الديوان الأول للشاعر أدونيس وهو ديوان "أبجدية ثانية" وكان الديوان الثاني للشاعر محمد بنطلحة وهو ديوان" غيمة أو حجر". ومن جميل الصدف أن أدونيس معجب بشعر محمد بنطلحة ضمن مجموعة من الشعراء العرب الذين يتابع إنتاجاتهم الشعرية كما أشار إلى ذلك في كتابه "موسيقى الحوت الأزرق" كما أن محمد بنطلحة معجب بشعر أدونيس ومتابع له.

هكذا وجدت فيما كتبته لي الشاعر أدونيس في إهدائه الذي خطه لي هذه الكلمات الجميلة التي تعلن ما يلي "إلى نورالدين محقق شاعرا، صديقا في الشعر، مع عميق تقديري ومودتي". كما وجدت فيما كتبه الشاعر محمد بنطلحة وهو يهدي لي ديوانه هذه الكلمات البهية "أخي وصديقي الشاعر الرائع: نورالدين محقق.. إنني أثق كثيرا في شاعريتك وفي مواهبك العديدة.. مع محبتي وتقديري".

إن عملية الإهداءات تشكل نصوصا صغيرة موازية قبل الولوج إلى قراءة الكتاب. فهي تعتبر عتبة نصية خاصة للذي أُهديت إليه. إنها تجعله يغوص في عالم الكتاب الموجودة فيه، وبالتالي فهو يعتبره هدية خاصة له وحده. هكذا يقرأ الكتابَ من منظوره الذاتي ويتواصل معه بمحبة كبرى. وقد خصصت دراسات نقدية أساسية لتفكيك كثير من هذه الإهداءات وتوضيح أهميتها بالنسبة إلى عملية التلقي الذاتي والموضوعي معا. وهو ما يجعل منها نصوصا صعبة الكتابة ولا يستطيع ممارستها بفنية متميزة إلا كبار المبدعين. وذلك لكونهم يعرفون قيمتها التداولية وامتداداتها في التاريخ الأدبي الموازي لا سيما حين تكتب لكتاب مثلهم يتقاسمون معهم فضاء المجال الثقافي العام.

هكذا نجد الكثير من الكتاب سواء في الغرب أو في الشرق يتفننون في كتابة الإهداءات الخاصة بأصدقائهم من الكتاب أو القراء العاديين وينوّعون في عملية كتاباتها حتى وهم يعلمون بأنها لم تعد في ملكيتهم وإنما امتدت إلى ملكية الذين كُتبت لهم. وطبعا فحرصهم الثقافي هذا يأتي من كونهم يشعرون بالقيمة الرمزية لمثل هذه الإهداءات وللحظات الجميلة التي تؤرخ لها.

ذات مرة وجدت كتابا لي يُباع في معرض للكتاب القديم والمستعمل، فقمتُ بعملية شرائه لأنني لم أعد أتوفر على أيّ نسخة منه. وقد فوجئت بأن الكتاب يحتوي على كلمات إهداء لي لأحد القراء. ساءني الأمر في البداية. لكن ما خفّف هذا الأمر عليّ هو كوني قد وجدت بعض الكتب الأخرى تحمل إهداءات من كتاب آخرين لبعض القراء، وهي تباع في هذا المعرض أيضا.

إن الكتاب حين يكون مزينا بتوقيع مؤلفه تتضاعف أهميته في نظر عشاق الكتب والمولعين باقتنائها، لأن هذا التوقيع الشخصي للمؤلف يمنح للكتاب حياة متجددة باستمرار. وتزدادُ أهمية هذا التوقيع مع مرور الزمن، لا سيما حين يكون الكتاب قد حقق نجاحا ملحوظا أو يكون صاحبه ضمن الكتّاب اللامعين في ميدان الكتابة.

الآن، ومع هذا التطور الهائل للمجال الإلكتروني بدأ العديد من القراء يقومون بتصوير هذه الإهداءات الموجهة إليهم من لدن الكتاب الذين اقتنوا مؤلفاتهم ونشرها في مواقع التواصل الاجتماعية وهو أمر يشجّع على عملية التلقي.

«ساحر الأكاذيب» الذي خدع العالم

السقوط المدوي في «وول ستريت»

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❏ خلال السنوات الأخيرة تصدت لإنتاج الأفلام شركات الإنتاج التلفزيوني الأميركي الكبرى مثل نيتفليكس وأمازون و"إتش بي أوه"، ونجحت هذه الشركات التي تبث أفلامها عبر القنوات الفضائية وأجهزة الأيباد وشبكة الإنترنت عموما، في التعاقد مع عدد من كبار المخرجين ونجوم السينما. أحدث هذه الأفلام فيلم "ساحر الأكاذيب" The Wizard of Lies للمخرج باري ليفنسون، بطولة روبرت دي نيرو وميشال فايفر.

"ساحر الأكاذيب" من إنتاج شركة "إتش بي أوه" التي أنتجت الفيلم البديع "وراء الشمعدانات" (2013) للمخرج الكبير ستيفن سودربرغ، وعددا من أفضل الأفلام التسجيلية. والحروف الأولى HBO تشير إلى الاسم الأصلي للشركة وهو "شباك التذاكر المنزلي"، وهي تبث من خلال الكابلات والفضائيات.

ومع التقدم التقني الكبير في مجال التصوير الرقمي ضاقت المسافات بين أفلام السينما والتلفزيون، بعد أن أصبح معظم المخرجين يستخدمون الكاميرات الرقمية المتقدمة في تصوير أفلامهم.

> «ساحر الأكاذيب» فيلم ممتع رغم معرفتنا المسبقة بالأحداث، وذلك بفضل أداء دي نيرو الذي يتمتع بكل هذا السحر والرونق. إننا أمام عملاق يتماهى ويتقمص ويتسلل داخل جلد الشخصية، وربما كان مادوف الحقيقي، سيجد فيه ما يسري عنه في وحدته التي ستمتد حتى نهاية العمر!

يعتمد "ساحر الأكاذيب" على القصة الحقيقية لواحد من أكبر "ملوك البورصة" في تاريخها وهو برنارد مادوف، الملياردير اليهودي الأميركي مؤسس وصاحب إحدى أكبر الشركات المالية في "وول ستريت"، والذي ظل يمارس الاحتيال على الكثير من المودعين والمستثمرين طوال 16 عاما، وبلغ حجم الأموال التي حصل عليها منهم 65 مليار دولار، وانكشف الستار عن ممارساته في ديسمبر 2008 بعد الأزمة المالية التي ضربت البورصات العالمية.

عن السقوط

قصة برنارد مادوف سجلتها الصحافية الأميركية "ديانا هنريك" في كتاب بالعنوان نفسه "ساحر الأكاذيب"، وهي تظهر بشخصيتها في الفيلم، تجري حوارا طويلا مع "بيرني" داخل السجن، أي بعد أن تم الحكم عليه بالسجن لمدة 150 عاما. ومن هذا المدخل يعود الفيلم إلى عام 2008 ليصور فترة "السقوط" وتأثيره على أسرة مادوف، أي على ولديه مارك وأندرو وزوجته روث. ويعتمد بناء الفيلم على الانتقال بين الحاضر والماضي مع العودة كثيرا إلى الحوار بين ماوف والصحفية، كما يعود في مشاهد عديدة لكي يجسد "طعم المال". ولو استعرنا اسم فيلم "سكورسيزي" الشهير، في ترجمة بصرية لمعنى أن تكون ملياردير، من خلال الحفلات الباذخة التي كان يقيمها مادوف ويدعى إليها العاملون في شركاته وما كان يقدم فيها من مأكولات نادرة ومشروبات غزيرة، وكانت تمتلئ بالصخب والعبث والجنون.

أسند برنارد إلى فرانك مسؤولية إدارة الشركة المالية الرئيسية، وكان فرانك الوحيد المطلع على ما كان يجري داخلها من غش واحتيال. أما الزوجة والابنان فقد بقوا في الظل، حسب رؤية الفيلم بالطبع، فنحن نراهم كضحايا لأب – زوج، ارتكب أبشع جريمة يمكن أن يرتكبها رب عائلة ضد أبنائه، مما أدى إلى توريطهم في فضيحة شخصية نتج عنها دمارهم النفسي جميعا، وتحت وطأة الفضيحة يقطع الابنان أي صلة لهما مع أمهما بسبب إصرارها على المحافظة على صلتها بزوجها خلال فترة وجوده تحت الإقامة الجبرية في منزله قبل محاكمته، ثم الاستمرار في زيارته بعد ذلك في السجن، إلى أن تقطع كل صلة لها معه بعد أن يقدم أحد الولدين على الانتحار شنقا!

كان برنارد مادوف يتمتع بذكاء بالغ، وقدرة مدهشة على الإقناع وجذب العملاء والإيقاع بهم في حبائله، أو في حبائل النظام الاستثماري الوهمي الذي يعرف بـ"ponzi scheme" وهو يشبه ممارسات "شركات توظيف الأموال" في بلادنا. فكان يحصل على عشرات الملايين من المستثمرين الذين يرغبون في الحصول على فوائد مرتفعة، ثم يدفع للمستثمرين القدامى أرباحا مغرية ليضمن رواج سمعة جيدة لشركته، مع جذب مستثمرين جدد باستمرار. وفي حالة قيام بعض المستثمرين بسحب أموالهم يصبح النظام كله مهددا بالسقوط.

براعة المخادع

في أحد المشاهد الجيدة أثناء حضور مادوف إحدى الحفلات الصاخبة، يتصل به فرانك مدير أعماله، ليخبره بأن الأمور لا تسير على ما يرام بعد أن بدأ المودعون يسحبون أموالهم، إلا أن بيرني ينجح في الإيقاع بمستثمر كان يرغب في استثمار 100 مليون دولار، يتدلل عليه أولا، ويتمنع، ويوهمه بأنه لا يستطيع ضمه إلى قائمة المستثمرين القدامى الذين يحصلون على أرباح أعلى، وبعد مناوشات ومناورات طويلة، ينجح في دفع الرجل إلى رفع المبلغ إلى 400 مليون دولار.

وفي أكثر من مشهد من مشاهد "الفلاش باك" تقع مشادات بين مادوف وولديه اللذين يدير كل منهما شركة خاصة به ولكن تحت عباءة الشركة الأم، فالشابان يرغبان في معرفة ماذا سيحدث لو وقع أي مكروه لوالدهما، فهما غير راضيين عن الإبقاء على أسرار الشركة كلها بين يدي فرانك، ويتطلعان إلى لعب دور مباشر في إدارة الشركة الأم. أما مادوف فيحتد ويصر على أن فرانك "سيتصرف" مقللا من قدرة الشابين على تصريف الأمور، وهو ما يؤدي إلى احتقان الموقف أكثر.

وفي مشهد يدور بعد انفجار الأزمة المالية في 2008، وعلى طاولة العشاء يجلس أفراد الأسرة. توجه حفيدة مادوف سؤالا مباشرا عما يحدث في "وول ستريت"، فيرد عليه مادوف، ينهرها ويوبخها بقسوة إلى أن تجهش بالبكاء وسط دهشة الجميع. هذان المشهدان يمهدان لما يكشف الفيلم النقاب عنه بعد بدايته الغامضة، عندما ندرك أنه كان يخشى أن ولديه ربما يطلعان على الحقيقة.

بعد انهيار الأسواق المالية، يبدأ المودعون بسحب أموالهم، ويصبح نظام الاستثمار الوهمي مهددا بالانكشاف، فيجمع مادوف مع زوجته وولديه، ويخبرهم بأنه سيقوم بتسليم نفسه للشرطة، بعد أن يقول لهم إن "العملية" كلها كانت مجرد غش وخداع وضحك على الذقون. هذه الصدمة تترك تأثيرا مدمّرا على الزوجة والولدين. وهم الذين سيبلغون الشرطة عنه ليتم اعتقاله وتفتيشه بطريقة مهينة قبل أن تتاح له فرصة الأسبوع الذي كان يطلبه لتسوية بعض الأمور وتوزيع بعض المال على أفراد عائلته الذين كان من بينهم عدد من المودعين.

لغز الشخصية

باري ليفنسون (75 سنة) مخرج مخضرم، بارع، من كبار مخرجي السينما الأميركية، وقد ذاع صيته في الثمانينات من القرن الماضي مع عرض فيلمه "صباح الخير يا فيتنام" (1987) ثم "رجل المطر" (1988) الذي حصل على 5 من جوائز الأوسكار الرئيسية منها جائزة أفضل فيلم وأفضل إخراج، لكنه ظل ينتقل بين السينما والتلفزيون، كما أخرج عددا من الأفلام التسجيلية. وهو يعتمد في "ساحر الأكاذيب" على سيناريو اشترك في كتابته ثلاثة من الكتاب، تقوم فكرته الأساسية على أن الشر ليس بالضرورة كتابا مفتوحا، أي أننا ربما لا نعرف قط دافع مادوك للاستمرار فيما كان يفعله طيلة كل تلك السنين.

إن بناء الشخصية الرئيسية وطريقة دفع الأحداث مع أداء روبرت دي نيرو العبقري في الدور الرئيسي، يجعلان دوافع مادوف لابتكار تلك الطريقة في الغش والاستمرار في الخداع ونهب الكثير من أموال المودعين، رغم المخاطرة وتأثير السقوط المحتمل على أقرب الناس إليه، يشوبها الكثير من الغموض. إنه السؤال الكبير الذي تحاول الصحافية ديانا هنريك، دون جدوى، دفعه للإجابة عنه، كما تعجز الزوجة عن الحصول على إجابة منه، ويصبح كل همّ روث أن تفهم لماذا أصبح الرأي العام حانقا عليها لهذه الدرجة (في مشهد بديع يرفض الكوافير الخاص بها الذي ظلت تتردد عليه سنوات طويلة أن يقبل التعامل معها ويقودها إلى خارج المكان أمام نظرات النساء التي تشي بالاستنكار والنفور). ولا شك أن أداء ميشال فايفر لدور الزوجة يضفي على الشخصية الكثير من الجمال والرونق، ويجعلنا كمشاهدين نقف في مسافة ما منها، بين التعاطف والتساؤل. إنها تعيش في الإنكار، ترفض تصديق ما حدث، إلى أن تقع فاجعة الانتحار.

مادوف نفسه لا يبدو أنه يفهم تماما طبيعة دوافعه واستمراره كل تلك السنين في ممارسة التضليل والخداع. إنه لا يفتأ يجيب الصحافية إجابات غريبة تعكس حيرته على شاكلة "الذين وضعوا أموالهم عندي شركاء في الجريمة.. لقد كانوا مدفوعين بالجشع نفسه.. مشكلتي في الحياة أو بالأحرى خطئي أنني أردت دائما إسعاد الآخرين (ألم يكن يفعل مع كل المحيطين به!).. كنت آمل بأن يصل العالم إلى نهايته وأن ينتهي كل شيء. وعندما وقعت أحداث 11 سبتمبر تصورت أنها النهاية.. وكان يمكنني أن أواصل لكني اخترت التوقف بإرادتي..".

وفي بناء الشخصية ملامح قد تدفعنا إلى بعض التعاطف معه، فهو ليس شريرا تقليديا، مغرقا في النذالة: فهو يسعى في البداية إلى تأمين مستقبل أسرته قبل تسليم نفسه للشرطة، ثم يخبر الأسرة بحقيقة الأمر، ثم لا يبدي أي مقاومة أو احتجاج عندما تعامله الشرطة بطريقة مهينة فظة (في مشهد القبض عليه يجبرونه أمام زوجته على تسليم كل ما في جيوبه ثم نزع رابط حذائه أيضا). وأمام القاضي يقر في هدوء بأنه مذنب في الإحدى عشرة تهمة الموجهة إليه، ثم يتجه بنظره صوب الحاضرين وأكثرهم من المودعين ويعتذر لهم، ثم يقبل الحكم الصادر عليه بنفس راضية. ويظل يسعى لمواصلة علاقته بزوجته من داخل السجن. فهو يحبها ويشفق عليها من وطأة الصدمة.

عن الأداء

هناك سحر خاص يحيط بشخصية مادوف ينبع من أداء روبرت دي نيرو الذي يخفي أكثر مما يظهر، فهو يعتمد على أداء هادئ، يحسب انفعالاته بدقة، يتمتع بقدر كبير من التلقائية والبساطة في التعامل مع الجميع. وعندما يتكلم من بين شفتيه وهو يضع السيجار في فمه، نشعر كأنه أحد زعماء المافيا، وذكرنا أداؤه عندما يقوم بتوبيخ الساقي في الحفل أكثر من مرة، بأدائه في "رفاق طيبون".. إنه شخصية آثمة ولكن تتمتع بالهدوء والثقة خاصة وهو يتصرف كرب عائلة مسؤول حريص على أسرته.

في أحد المشاهد يتمدد مادوف على أرضية الحجرة بينما يقف ولده يحادثه في غضب، يتطلع إليه الرجل من موقعه، أي من زاوية منخفضة، لكنه يبدو رغم ذلك، المتحكم في الموقف.

لا يعاني مادوف من رثاء الذات، وهو يقول لزوجته "لقد عشنا حياة جيدة.. أليس كذلك؟"، لكنها تجيبه "إلى أن دمرتها أنت". لكنها ليست حانقة عليه، وهي تعترف له بأنها –رغم كل ما حدث– لا تشعر بالغضب. وفي خضم أزمته الداخلية يتناول كلاهما، كمية من الحبوب المهدئة قصد الانتحار، ثم يتمددان على الفراش في استرخاء أخير، على شاشة التلفزيون الموجود بالحجرة، تغني جودي غارلاند في أحد أفلامها القديمة "احتفل بعيد كريسماس سعيد.. في العام القادم ستختفي كل مشاكلنا". وفي هلوسة بصرية بتأثير العقاقير، يرى مادوف ولديه وهما يعاتبانه عما فعله بهما، ثم فرانك يطمئنه بأن الأمور ستكون على ما يرام، وعلى خلفية من الشموع التي تحولت إلى حرائق برتقالية اللون في الخلفية، ينصح إحدى قريباته مع شقيقته بوضع كل أموال زوجها المتوفى في حساب واحد عنده، ثم يصبح عرضة لهجوم دائنيه – في لقطات سريعة بالأبيض والأسود– فهم يطاردونه ويسبونه ويتهمونه بتدمير حياتهم، ثم يعتدون عليه. المشهد مبتكر ولكنه يعاني من بعض الإطالة والاستطرادات، كما يبدو خارجا عن الأسلوب العام للفيلم.

مادوف لا يفهم بالضبط ما حدث له؟ هنا تبدو استعادة شريط الحياة، وما يرويه للصحافية التي تلح على معرفة لماذا حدث ما حدث، غير ذي معنى، فهو ينتهي بأن يوجه لها بنبرة مليئة بالإنكار، سؤالا يظل معلقا دون إجابة، هو: هل تعتقدين أنني مضطرب اجتماعيا sociopath؟

> بناء الشخصية الرئيسية وطريقة دفع الأحداث مع أداء روبرت دي نيرو العبقري في الدور الرئيسي، يجعلان دوافع مادوف لابتكار تلك الطريقة في الغش والاستمرار في الخداع ونهب الكثير من أموال المودعين، رغم المخاطرة وتأثير السقوط المحتمل على أقرب الناس إليه، يشوبها الكثير من الغموض

"ساحر الأكاذيب" فيلم ممتع رغم معرفتنا المسبقة بالأحداث، وذلك بفضل أداء دي نيرو الذي يتمتع بكل هذا السحر والرونق. إننا أمام عملاق يتماهى ويتقمص ويتسلل داخل جلد الشخصية، وربما كان مادوف الحقيقي، سيجد فيه ما يسري عنه في وحدته التي ستمتد حتى نهاية العمر!

روبرت دي نيرو مع مخرج الفيلم

في الطريق إلى السجن

المفاجآت تجذب السياح إلى دبي

جوائز ذهبية وسيارات فارهة وليال فندقية فاخرة

العطلة موسم النشاط الترفيهي والتسوق خاصة بالنسبة إلى العائلة، فهناك من يفضل أن يخصّص عطلته للاهتمام بالعائلة، خاصة وأنه طيلة السنة يكون منشغلا بالعمل فلا تترك له ضغوط الحياة اليومية وقتا لأطفاله، لذلك اختارت دبي أن تكثف النشاطات الترفيهية من ألعاب ومسابقات وسحوبات مقابل الجوائز الثمينة لتحول وجهة السائح الخليجي الذي كان يختار أوروبا أو آسيا للاصطياف إلى الإمارة حيث أجواء المتعة والفرح.

سهر ومرح وتسوق

❏ **دبي** – في أشهر الصيف يهجر الخليجيون مدنهم قاصدين الدول الأوروبية والآسيوية هربا من درجة الحرارة التي تصل في بعض الأيام إلى 50 درجة مئوية، لكن مدينة دبي كسرت هذه القاعدة ونجحت في إبقاء كثير من سكانها خلال الصيف، بل وحوّلت نفسها إلى مقصد جاذب للسياحة الخليجية والآسيوية في موسم الحر.

فعلى مدار أشهر الصيف تنطلق المهرجانات وعروض التخفيضات، وتنطلق المسابقات التي تستقطب عشرات الآلاف من السائحين يوميا.

ولعل الحدث الأبرز في الإمارة خلال أشهر الصيف هو مهرجان "مفاجآت صيف دبي" الذي يقدم مجموعة واسعة من العروض وتجارب التسوق والفعاليات الترفيهية لإسعاد سكان الإمارة والسائحين القادمين إليها من مختلف الجنسيات.

وتتعدد مظاهر المهرجان في مراكز التسوق الكبرى والتي تحوّلها إلى ما يشبه مسرحا للفنون والمنوعات.

فمن يتجول بالمركز يجد حوله فرقا أفريقية وآسيوية، وأخرى عربية تقدم عروضا موسيقية ورقصات شعبية وتراثية أمام المتاجر جاذبة أنظار الصغار والكبار، وتنثر بينهم الفرحة والمتعة.

وتقدم مراكز أخرى عروضا للسيرك وعروضا للمهرجين وحفلات غنائية لنجوم في عالم الغناء.

> دبي تنجح من خلال مهرجان «مفاجآت صيف دبي» في قهر الحر، وتمديد الموسم السياحي ليستمر طوال العام

وإلى جانب هذه العروض يجد الزائر نفسه محاطا بعالم من الجوائز الكبرى التي تصل إلى كيلوغرامات من الذهب والمجوهرات، إلى جانب سيارات فارهة ومبالغ نقدية كبيرة وسحوبات على ليال فندقية فاخرة، وبطاقات لرحلات سياحية مجانية لأشهر المدن والمنتجعات السياحية حول العالم.

ويقدم المهرجان تخفيضات كبرى على السلع والملابس تصل إلى 75 بالمئة وهي العروض التي تجذب محبّي التسوق خصوصا النساء. وتمتدّ الخصومات لتشمل فنادق من فئة خمسة نجوم تتيح للزائرين الإقامة بأسعار مخفّضة، وأخرى تتيح للزوار دخول المدن المائية والترفيهية مجانا، وتشمل أيضا خصومات على مراكز التجميل والمطاعم والمقاهي التابعة للسلاسل العالمية.

وأمام هذه العروض والجوائز الكبرى يتزاحم الزوار والسائحون على مراكز التسوق في دبي خلال الصيف، خصوصا القادمون منهم من دول الجوار ليقضوا أوقاتهم بين الترفيه والسحوبات.

وتقول منى العامري، وهي عمانية، أنها قدمت خصيصا إلى دبي وقت المهرجان، وأنها تحرص كل عام على زيارة دبي في أشهر الصيف، للاستمتاع بعروضه وفعالياته المتنوعة، التي تتيح لكل زائر تجربة سياحية متميزة. وتضيف "خلال المهرجان تخفض الفنادق أسعارها بشكل كبير جدا، بما فيها الفنادق الفاخرة المطلة على الخليج، فيحصل السائح على فرصة إقامة فندقية مميزة شاملة وجبات الطعام والاستمتاع بالبحر والمدن الترفيهية المائية".

وتكمل "في المساء نتجول بين مراكز التسوق التي تقدم عروضا فنية مجانية وهي عروض تقدمها فرق من دول مختلفة تتيح للزائر التعرف على الرقصات التراثية للشعوب".

وتقول علياء المرزوقي، وهي إماراتية من الشارقة، "اعتدت وأسرتي في كل عام أن نقضي أشهر الصيف في جولة بين الدول الأوروبية أو الآسيوية، وهي جولة مكلفة جدا تستمر لعدة أسابيع هربا من الحر الشديد". وتضيف "منذ أعوام تغيرت خططنا في الصيف، وأصبحت وجهتنا هي مدينة دبي التي تقدم لنا خصومات كبرى في مراكز التسوق، على ماركات عالمية، وبأسعار أقلّ بكثير عن أسعار المنتجات نفسها في متاجر شارع أكسفورد بلندن، أو الشانزليزيه في باريس".

وتكمل "يقدم لنا مهرجان دبي تجربة التسوق المفيدة، مصحوبة بعروض فنية تنثر السعادة، وتتيح لنا تخفيضات المطاعم والمقاهي فرصة ممتعة للتنزه، لذلك فكثير من الأسر الإماراتية اختارت أن تقضي أيام إجازاتها السنوية في دبي بدلا من السياحة بالخارج".

في سوق "التنين" الصيني يدخل المتسوقون في سحوبات للفوز بواحدة من ثلاث سيارات دفع رباعي تقترب قيمتها من نصف مليون درهم إماراتي (الدولار يعادل 3.67 درهم)، بالإضافة إلى آلاف الجوائز من خلال بطاقات الفوز الفوري وبطاقات الهدايا.

ويقدم مركز "سيتي سنتر مردف" فرصة للفوز بسيارة رياضية فارهة، بينما يقدم مركز "ميركاتو" للمتسوقين فرصة ربح واحدة من ثلاث جوائز كبرى، هي سيارة فارهة، أو رحلة عائلية لأربعة أشخاص لمدة أربع ليال إلى جزيرة موريشيوس، أو مجوهرات بقيمة 25 ألف درهم. كما يقدم مركز التسوق "سيتي سنتر ديرة" للمتسوقين بطاقات طيران، والفرصة للمشاركة في سحب خاص لربح 1 كيلوغرام من الذهب، بينما يقدم "مول الإمارات" جوائز مالية قيمتها 10 آلاف درهم إماراتي لكل متسوق فائز في السحب اليومي.

وتقول نسرين بستاني مديرة العلاقات العامة لمركز ميركاتو في دبي إن العروض الفنية وعروض التخفيضات والسحوبات لا تتوقف في المركز طوال أيام مهرجان "مفاجآت صيف دبي".

وتضيف "يتحوّل المركز إلى مسرح للعروض الترفيهية والفنون المختلفة، ومنها عروض السيرك والدراجات الهوائية والمناورات البهلوانية ومهارات الموازنة على الحبل التي تضفي أجواء من البهجة".

وذكرت بستاني أن العروض تجذب الكبار ومعهم الأطفال للاستمتاع بما يقدمه الفنانون والمهرّجون، وعروض التوازن التي تثير الدهشة، وتجذب الآلاف لتصويرها عبر كاميرات هواتفهم المحمولة.

وإلى جانب عروض التخفيضات والسحوبات، يقدم المهرجان لزوار دبي حفلات موسيقية وغنائية مجانية تقام في ساحات مراكز التسوق، ومن بينها حفلات للمطربة الإماراتية بلقيس، وأخرى للمطرب العراقي ماجد المهندس، وغيرها من حفلات الفنانين الخليجيين والعرب التي تجذب الجمهور بالآلاف للاستمتاع بالفقرات الغنائية.

ويقول فريدي فريد، مدير عام فنادق غلوريا، إن مهرجان مفاجآت صيف دبي حقق المعادلة الصعبة حين جذب سكان الإمارات لقضاء إجازة الصيف بين معالم دبي بدلا من السفر للخارج، وفي الوقت نفسه نجح في جذب سائحين بأعداد كبيرة لقضاء الإجازة الصيفية في الإمارة.

واعتبر فريد أن دبي نجحت من خلال هذا المهرجان في قهر الحرّ، واستطاعت أن تمد الموسم السياحي ليستمر طوال العام.

مدن سياحية تضيق ذرعا بضيوفها

❏ **برشلونة/روما/سرايفو** – يبدو أن الزحام الشديد المزمن في بعض المناطق السياحية الشهيرة في أوروبا أطلق غضبا واستياء من جانب السكان المحليين واتخذ عدم رضاهم أشكالا مختلفة من الاحتجاج المهذب إلى كتابة "ارجعوا إلى بلادكم" على الجدران، بل لجأ بعضهم إلى ترويع السياح.

وعبر جنوب أوروبا، من شوارع برشلونة المزدحمة إلى الأعداد الكبيرة من سفن الرحلات السياحية المكتظة بالركاب في دوبروفنيك بكرواتيا، يشتكي السكان المحليون من أن زيادة كبيرة في حركة السياحة جعلت الحياة لا تطاق بالنسبة إليهم.

وأذكى هذا الاستياء مخاوف بشأن السياحة أحد أكبر المحركات الاقتصادية في المنطقة ودفع السلطات للتحرك.

وتدرس روما تقليص أعداد الزائرين لبعض الأماكن مثل نافورة تريفي. وتخطط دوبروفنيك لتقييد سفن الرحلات السياحية، بينما تخطط برشلونة إلى فرض ضريبة جديدة على السياحة. وفي البندقية سار بعض سكان المدينة الشهر الماضي وسط مجموعة من الزائرين للاحتجاج على السياحة دون ضوابط وهم يرفعون لافتة كتب عليها "مستقبلي هو البندقية".

ويخطط النشطاء من الشباب لاحتجاج مماثل في سان سباستيان بشمال إسبانيا في وقت لاحق هذا الشهر. وفي برشلونة حيث يتنامى الغضب منذ فترة تحولت الكتابة على الجدران إلى تهديدات. وكتب على أحد الملصقات "لماذا نطلق عليه موسم السياح ونحن لا نستطيع إطلاق النار عليهم؟".

وظهر فيديو يتضمن نشطاء ملثمين يوقدون مشاعل خارج مطعم مليء بالسياح في جزيرة بالما دي مايوركا ثم اقتحموا المطعم ونثروا أوراقا ملونة على الرواد المذعورين.

ووصف راخوي النشطاء بأنهم "متطرفون يرتكبون أفعالا تجافي المنطق". وتشكل السياحة 12 بالمئة من اقتصاد إسبانيا.

وعرضت فيديوهات مماثلة خلال المدة الأخيرة تحت شعار "السياحة تقتل الأحياء"، وظهر في إحداها مواطنون يغطون رؤوسهم وقد أوقفوا حافلة سياحية في برشلونة وأفرغوا إطاراتها من الهواء ورشوا طلاء على الزجاج الأمامي.

وقال سائح هولندي يبلغ من العمر عشرين عاما "لم نر شيئا مثل هذا من قبل، لكننا سمعنا أن السكان المحليين لا يرحبون بالسياح."

وتزايدت حركة السياحة في جنوب أوروبا بشكل كبير على مدى العامين الماضيين لأسباب من بينها أن السياح يفضلون تلك المنطقة على المقاصد السياحية الأخرى في منطقة البحر المتوسط حيث تشكل المخاوف الأمنية مبعث قلق مثل تونس ومصر وتركيا.

هل انتهى عصر السياحة

وقفز عدد الزائرين لإسبانيا بنسبة 12 في المئة في النصف الأول من 2017 ليصل عدد الزائرين إلى 36.4 مليون.

وتجتذب برشلونة 11 مليون زائر على الأقل سنويا وتخطط لفرض ضريبة جديدة ستضر بسفن الرحلات السياحية. وستكون الضريبة بواقع 65 سنتا أوروبيا على كل زائر يقضي في المدينة أقل من 12 ساعة.

وارتفع عدد الزائرين الأجانب إلى الأماكن الأثرية في روما وفلورنسا والبندقية بنسبة 31.5 بالمئة فيما بين 2009 و2015.

ودفع استياء السكان المحليين السلطات الإيطالية إلى مراقبة السياح بمزيد من الاهتمام، وتسيير دوريات خاصة في وسط روما التاريخي وفرض غرامة على من ينزلون في النافورات. وقلصت سلطات البندقية الدخول إلى مناطق معينة خلال احتفال في يوليو للمرة الأولى، بعد وقت قصير من الاحتجاج الذي شهدته شوارع المدينة.

واقترح بعض المسؤولين الدخول فقط بتذكرة إلى ساحة القديس مارك التي تكتظ بالناس في فصل الصيف، لكن السكان المحليين والسلطات الوطنية يعارضون ذلك.

وقال أليساندرو بريسانللو وهو ممثل من البندقية "لقد فقدت المدينة طابعها تماما..من المفترض أن يتمكّن الجميع من المجيء إلى هنا، لكن هذا الغزو يخلق مشكلات حقيقية لسكان البندقية وللمدينة".

أخبار سياحية

هيلتون تخطط للتوسع في مصر

❏ قال مهاب غالي نائب رئيس العمليات في مصر وشمال أفريقيا بمجموعة هيلتون إن مجموعته تخطط للتوسع بقوة في مصر من خلال مضاعفة عدد الفنادق التي تديرها إلى 30 فندقا في غضون ما بين سبع وعشر سنوات.

وذكر غالي أن مصر تمثل لهيلتون ثقلا في المنطقة وتحظى باهتمام خاص ولذا لم تغلق المجموعة فندقا واحدا في أصعب الظروف.

تونس تشجع السياحة الثقافية

❏ قال مدير مهرجان موسيقى العالم بمدينة الجم التونسية بديع شعبان إنّ "الدّورة الثانية من المهرجان تهدف إلى التّشجيع على السياحة الثقافية بالأساس". وأضاف أن هذا التوجّه يدعمه "ما تزخر به الجم من مخزون ثقافي كبير ومعالم تاريخية، علاوة على مسرحها الروماني" الشهير.

وتنطلق، الثلاثاء المقبل، الدورة الثانية من المهرجان، وتتواصل فعالياته حتى الـ26 من الشهر نفسه.

طائرات ركاب دون طيار في المستقبل

❏ تقول أبحاث الطيران الحديثة بأن تطوير طائرات ركاب بدون طيار قد يخفض تكاليف الرحلات الجوية بمقدار 35 مليار دولار، ويخفض من أسعار تذاكر الطيران بشكل كبير.

وذكر تقرير أصدره بنك "يو بي إس" للاستثمار بأن إدخال تقنية طائرات الركاب دون طيار عبر التحكم بها عن بعد سوف يدخل حيز الخدمة بحلول عام 2025.

وبحسب التقرير فإن نظام الطيران الآلي سيضمن سلامة الركاب والبضائع، وأن الركاب سيحصلون على تخفيض في أسعار الرحلات الجوية بنسب تصل إلى 11 بالمئة.

ارتفاع حجم الإنفاق على السياحة الحلال

❏ توقع تقرير اقتصادي حديث أن يصل حجم الإنفاق في قطاع السياحة الحلال إلى 300 مليار دولار في 2026. وذكر التقرير أن إنفاق 121 مليون سائح مسلم على السياحة الحلال في العالم ناهز 156 مليار دولار في العام الماضي وتشمل السياحة الوافدة والداخلية.

ويقدر التقرير استمرار نمو قطاع السياحة الحلال خلال السنوات القادمة، ليصل عدد السياح خلال 2020 إلى 156 مليون سائح.

«جي 5» ثورة تقنية واجتماعية في آن واحد

سرعات قياسية تبلغ تيرابايت في الثانية

يشهد العالم في هذه الأيام سباقا متسارعا نحو تطوير شبكات "جي 5"، الجيل الخامس من شبكات الاتصال الخلوي فائق السرعة، والتي ستأتي خلفاً لشبكات الجيل الثالث والرابع الحالية، ويبدي العلماء حماسا منقطع النظير إذ يقولون إن شبكات الجيل الخامس ستأتي بصورة مختلفة كليا وستغير من وجه العالم بأكمله، لكن ماذا لو اكتشف العلماء سرعة تفوق سرعة "جي 5" قبل موعد انطلاقها.

❏ **ستانفورد** – أظهرت دراسة استطلاعية عالمية أجرتها حديثًا مؤسسة الدراسات والأبحاث العالمية غارتنر إلى أن 75 بالمئة من المؤسسات على استعداد لدفع مبالغ أكبر للتمتع بقدرات شبكات اتصالات الجيل الخامس اللاسلكية "جي 5"، في حين أشار 24 بالمئة فقط من المستطلعين إلى تمسكهم بخدمات اتصالات الجيل الرابع "جي 4".

وأعلن باحثون في وقت سابق أن الاختبارات على السرعة للاتصال عبر تقنية الجيل الخامس "جي5" حققت سرعات قياسية، بلغت تيرابايت في الثانية، علما أن هذه السرعة تفوق بـ200 مرة نظيرتها الحالية.

ووفق الاختبارات التي أجراها فريق بحثي من مركز تطوير شبكات الجيل الخامس بجامعة سري في بريطانيا يمكن تحميل ملف يبلغ حجمه 100 ضعف ملفات الأفلام الطويلة في حوالي 3 ثوان. كما أن السرعة الجديدة تفوق متوسط سرعة التحميل في شبكات الجيل الرابع بحوالي 65 ألف مرة.

> المعيار القائم على الزمان والمكان سيصبح شيئا من الماضي ولن يشكل أي عقبة أمام شبكات الجيل الخامس للاتصالات

زيادة السرعات التي تقدمها شبكات الجيل الخامس تتراوح بين 10 و50 غيغابايت مقارنة بمتوسط سرعة شبكات الجيل الرابع التي تصل إلى 15 ميغابايت في الثانية، وهذا ما يشجع إقبال شركات الاتصالات عليها.

وقال سيلفان فابري، مدير الأبحاث لدى غارتنر، "إن الشركات العاملة في قطاع الاتصالات على استعداد على الأرجح لدفع مبالغ أكبر مقارنةً بالشركات العاملة في قطاعات وصناعات أخرى. فعلى سبيل المثال، نجد أن مؤسسات المستخدم النهائي في قطاعات التصنيع والخدمات والهيئات الحكومية أقل استعدادًا لدفع مبالغ إضافية

سرعة لمواكبة العصر

للتمتع بمزايا شبكات الجيل الخامس مقارنةً بشركات الاتصالات الراغبة بالدفع للاستفادة من مزايا شبكات الجيل الخامس على صعيد استخداماتها الداخلية".

في عام 2013 اختبرت شركة سامسونغ الكورية الجنوبية شبكات "جي 5" عند السرعة 1 غيغابايت في الثانية وهو ما يعني إمكانية تنزيل فيلم عالي الوضوح بأقل من دقيقة واحدة، أما شبكات "جي 5" التي ستصل سرعتها إلى 800 غيغابايت في الثانية فسوف تتيح قدرات قد لا يستوعبها العقل البشري حاليا، إذ يتحدث العلماء عن إمكانية تنزيل 33 من الأفلام عالية الوضوح في ثانية واحدة عند ذلك المعدل من السرعة.

وعلى الرغم من هذا الحماس في تطوير واختبار شبكات الجيل الخامس إلا أنه من المستبعد توفرها للمستخدمين قبل عام 2020، فبحلول ذلك العام من المتوقع أن يتراوح عدد الأجهزة المتصلة بالإنترنت ما بين 50 إلى 100 مليار جهاز، لذا فلا بد من توفر شبكات بنطاقات ترددية جديدة ومختلفة لسدّ هذا الطلب الواسع على الاتصال بشبكة الإنترنت.

وعن كيفية عمل "جي 5" من الناحية التقنية فإن هناك تقنية تعرف اختصارا بـ"ميمو" أي "مداخل متعددة ومخارج متعددة" ستلعب دورا رئيسيا في تشغيل شبكات الجيل الخامس ومعايير كفاءتها، وتستخدم تقنية "ميمو" هوائيات عديدة صغيرة لتخديم تدفق البيانات بشكل منفرد، وقد اعتمدت سامسونغ على هذه التقنية لتوفير سرعات مذهلة لتنزيل البيانات، ومن المرجح أن تستخدم شبكات الجيل الخامس عددا أكبر من محطات البث، بما في ذلك المواقع الكبيرة المخصصة للبث ومحطات أصغر تعتمد طيفا من تقنيات الراديو لتضمن تغطية أفضل.

وستحقق شبكات الجيل الخامس ما يعرف بالوصل الفائق، أي سنصبح مجتمعا يتصل فيه الأشخاص والتجهيزات مع بعضهم البعض ويكون تدفق المعلومات سلسا ومستمرا مع تحقيق أعلى درجات التغطية والسرعة غير المحدودة بفضل هذا الجيل من الشبكات.

كما ستتيح شبكات الجيل الخامس المجال للأجهزة الموجودة لكي تتعرف على احتياجات كل مستخدم بأفضل شكل ممكن وهو ما يطلق عليه شعار "فكّر بطريقة أفضل" وصولاً إلى خدمات ترقى إلى مستوى التحسس للأفكار، فمثلا، إذا كنت تريد أن تتصل بصديقتك ففكر بها وستقوم الشبكة بالاتصال بها تلقائيا.

ويعتقد أن شبكات الجيل الخامس ستشكل ثورة تقنية واجتماعية في آن واحد، حيث أن المعيار القائم على الزمان والمكان سيصبح شيئًا من الماضي ولن يشكل أيّ عقبة، وهذا ما أكده خبراء يعملون في مختبرات تطوير شبكات الجيل الخامس، فعندما نصل إلى مرحلة من تدفق المعلومات تتخطى حاجة الشخص الواحد أو قدرة جهاز على معالجة هذه المعلومات خلال ثانية واحدة، فإن ذلك يعني بصيغة أخرى أننا وصلنا إلى نظام يحقق استجابة فورية لطلب المستخدم.

وستمكّن تقنيات الجيل الخامس المستخدمين بحسب الخبراء من تجاوز ما يسمى بـ"الواقع المعزز" بل والذهاب إلى أبعد من ذلك، وهو الابتعاد عن الاعتماد على الأجهزة الخارجية (هاتف ذكي، كمبيوتر لوحي) أو الحاجة لمعضلة الاتصال وقطع الاتصال. لكن هل من المؤكد أن تصل تقنيات الجيل الخامس إلى المستخدمين في موعدها؟ ثم ماذا لو اكتشف العلماء سرعة تفوق سرعة الجيل الخامس قبل انطلاقه في 2020؟

ويقول سيلفان فابري "تشير الخطط الموضوعة من قبل شركات توريد خدمات الاتصالات إلى أن توافر خدمات الجيل الخامس على نطاق واسع لن يتحقق قبل العام 2022".

العصابات الإلكترونية تعود ببرمجيات خبيثة فائقة التطور

❏ **موسكو** – شهد الربع الثاني من عام 2017 قيام عصابات إلكترونية باستخدام عدد كبير من البرمجيات الخبيثة الجديدة فائقة التطور والتعقيد، من ضمنها هجمات "يوم الصفر" واثنتين من الهجمات الأخرى غير المسبوقة وهي "وانا كراي" و"أكس بتر".

واكتشف باحثو شركة كاسبرسكي لاب اتجاها جديدا مثيرا للقلق يتمثل في أن المزيد من مجرمي الإنترنت يحولون انتباههم من شن الهجمات ضد المستخدمين الأفراد إلى شن هجمات الفدية الخبيثة الموجهة ضد الشركات.

وأفادت الشركة المتخصصة في مكافحة الهجمات الإلكترونية أنه تم رصد ما لا يقل عن ثماني عصابات إلكترونية مشاركة في تطوير ونشر شيفرة برمجية الفدية الخبيثة، مشيرة إلى أن الهجمات ضربت بدايةً المؤسسات المالية في جميع أنحاء العالم.

كما صادف خبراء الشركة حالات بلغت قيمة المبالغ المطالب دفعها كفدية من قبل مجرمي الإنترنت إلى أكثر من نصف مليون دولار. وتشير تحليلات الشركة لآخر الهجمات باحتمال تسرّب الرمز التشفيري إلى أيدي القراصنة قبل استكماله كليا، وهو وضع غير عادي بالنسبة إلى مهاجمين يمتلكون مصادر غنية لشن الهجمات. وقد اشتمل تقرير كاسبرسكي لاب ربع السنوي الأخير بشأن استخبارات التهديدات على تغطية وافية حول هذين الهجومين وغيرهما من الاتجاهات الأخرى.

وشهدت المدة من شهر أبريل وحتى يونيو 2017 تطورات لافتة في حجم الهجمات الموجهة من قبل عصابات إلكترونية تتحدث اللغات الروسية والإنكليزية والكورية والصينية.

وقد كان لتلك التطورات تأثيرات بعيدة المدى طالت أمن تكنولوجيا المعلومات في الشركات، حيث اشتملت على هجمات لبرمجيات خبيثة متطورة تحدث باستمرار في كل مكان تقريبًا حول العالم، مما أدّى إلى تفاقم المخاطر المترتبة على الشركات والمؤسسات غير التجارية من خلال تعرضها لأضرار تبعية ناشئة عن هذه الحرب الإلكترونية.

كما أصبحت هجمات "وانا كراي" و"أكس بتر" التي يزعم أنها تحظى بدعم من جهات حكومية وتركت آثارا تدميرية على ضحاياها من الشركات والمؤسسات حول العالم المثال الأول ولكن على ما يبدو ليس الأخير لهذا الاتجاه الجديد الأكثر خطورة. وتشمل أبرز نتائج الربع الثاني للعام 2017 أن ثلاثة أنواع من هجمات "يوم الصفر" استخدمت على الأجهزة العاملة بنظام ويندوز في الفضاء الإلكتروني من قبل عصابتي "سوفاسي" و"تورلا" التي يتحدث أفرادها اللغة الروسية.

وقامت عصابة "سوفاسي" باستخدام هجمات "يوم الصفر" ضد مجموعة من الأهداف المتمركزة في أوروبا، بما فيها مؤسسات حكومية وسياسية. وقد تم رصد أفراد العصابة أيضًا وهم يحاولون استخدام البعض من الأدوات التجريبية، والتي كان من أكثرها وضوحًا تلك الموجهة ضد أحد أعضاء حزب سياسي فرنسي قبيل الانتخابات الفرنسية المحلية.

وقامت كاسبرسكي لاب بتحليل أكثر الوسائل الهجومية تطورا حتى وقتنا الراهن والمستخدمة من قبل عصابة "لومبارتس" الإلكترونية فائقة التطور والتعقيد والتي ينتمي أفرادها إلى عائلة تجسس إلكتروني ويتحدثون اللغة الإنكليزية. وتم التعرف على سلالتين جديدتين من البرمجيات الخبيثة ذات الصلة بها.

وشملت نتائج الربع الثاني كذلك هجوم "وانا كراي" بتاريخ 12 مايو وهجوم "أكس بتر" بتاريخ 27 يونيو، في حين أنهما مختلفتان جدًا من حيث الطبيعة والأهداف، ولكن الأمر المثير للدهشة، أن كليهما لم يكن لهما تأثير فاعل كفدية خبيثة. على سبيل المثال في حالة هجوم "وانا كراي" فإن انتشارها السريع على النطاق العالمي وإمكاناتها العالية تضع علامات استفهام حول حساب الفدية "بيتكوين" الخاص بالمهاجمين، الأمر الذي جعل من الصعب عليهم سحب الأموال نقدًا. وهذا بدوره يشير إلى أن الهدف الحقيقي من هجوم "وانا كراي" كان في إتلاف وتدمير البيانات. واكتشف خبراء كاسبرسكي لاب المزيد من الروابط ذات الصلة بحملة "لازاروس" وهجوم "وانا كراي". وقد ظهر نمط هذه البرمجية الخبيثة المدمرة التي كانت متخفية على شكل فدية مجددًا في هجوم "أكس بتر".

وفي الأشهر الثلاثة من أبريل إلى نهاية يونيو 2017 ظهرت حملة "أكس بتر" التي تستهدف المؤسسات، على أنها هجمة فدية خبيثة، ولكن سرعان ما بدت على أنها ذات تأثير مدمر، في حين لا يزال الدافع وراء هجمات "أكس بتر" غير معروف.

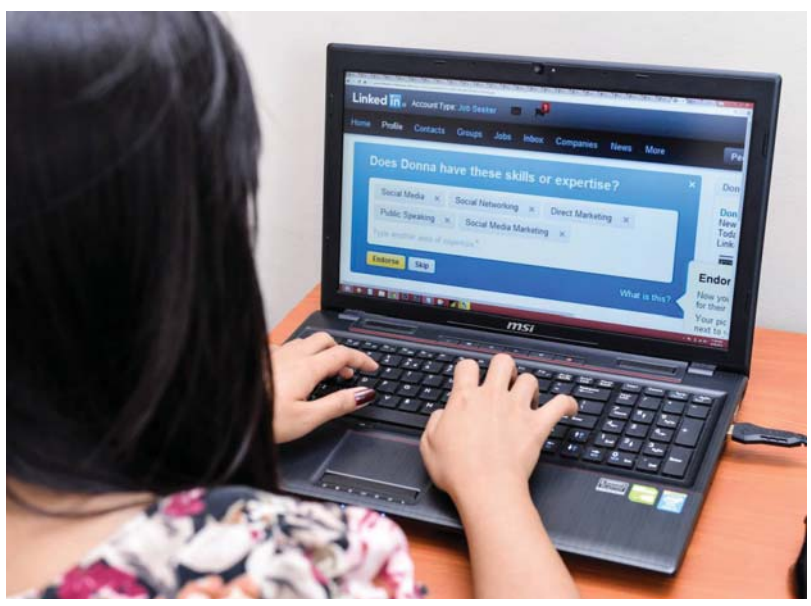

مجرمو الإنترنت يحولون اهتمامهم إلى الشركات

أخبار التكنولوجيا

فيسبوك توسع نطاق عروضها المصورة

❏ اتخذت شركة فيسبوك أكبر خطوة حتى الآن للمنافسة في سوق مشاهدة تسجيلات الفيديو بتوسيع نطاق عروضها المصورة لتشمل مباريات كرة السلة النسائية وعرضا لرحلات السفاري وبرنامجا لرعاية الأبناء.

وقالت الشركة إن المنصة التي سيطلق عليها اسم "ووتش" ستكون متوفرة في بادئ الأمر لمجموعة محدودة في الولايات المتحدة عبر تطبيق فيسبوك على الهاتف المحمول وعلى موقع الشركة الإلكتروني وتطبيقات التلفزيون.

أبل تتجه إلى إطلاق آيفون 8

❏ تتجه شركة أبل إلى إطلاق هاتفها الرائد القادم المسمى آيفون 8 في شهر سبتمبر القادم، ويجري ذلك في نفس الوقت مع إطلاقها لهواتف آيفون 7 إس وآيفون 7 إس بلس، وفقاً لما أشار إليه المحلل مينج-تشي كو العامل لدى شركة "كي جي آي" للأوراق المالية.

وتنوي الشركة طرح الهاتف بكميات وطرق محدودة، مما قد يدفع الراغبين بالحصول على هاتف آيفون 8 إلى شرائه على الأرجح بعد طرح الدفعة الثانية من الهاتف في الأسواق، ويعرف عن المحلل تسريباته الدقيقة فيما يتعلق بشركة أبل.

خدمة إنستغرام أثناء البث المباشر

❏ أعلنت شركة خدمة مشاركة الصور والفيديو القصير إنستغرام عن بدء اختبار ميزة جديدة تتيح للمستخدمين دعوة الأصدقاء أثناء البث المباشر، وذلك على غرار ميزة أخرى توفرها شركتها الأم، فيسبوك، عبر تطبيق التراسل مسنجر.

وقالت الشركة "انحن بصدد اختبار طريقة ممتعة للخروج في بث مباشر مع أحد الأصدقاء. بإمكانكما الآن تمضية الوقت معًا والخروج في بث مباشر، أينما كنتم" .

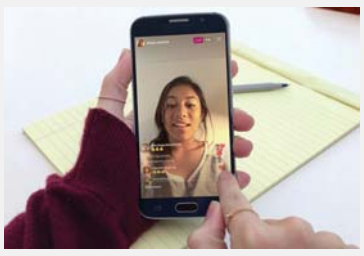

ديزني لاند تسحب أفلامها من نيتفليكس

❏ شركة ديزني لاند للإعلام والترفيه تعلن عن خططها لإنهاء اتفاق التوزيع مع نيتفليكس وسحب جميع أفلامها، على أن تبقى هذه الأفلام متاحة حتى نهاية عام 2018، واختارت بدلاً من ذلك إطلاق خدمتها الخاصة للبث المباشر للمستهلك في وقت ما خلال عام 2019 على أن تبدأ من الولايات المتحدة لتتوسع عالميا لاحقا.

وصرح بوب إيجر الرئيس التنفيذي للشركة أن ديزني سوف تستثمر بشكل كبير في الأفلام والمسلسلات التلفزيونية الحصرية للمنصة الجديدة.

ممارسو الرياضة على البحر يتحصلون على فوائد مضاعفة

دراسات حديثة تجمع على ضرورة ممارسة الرياضة وترك الكسل أثناء المصائف

يعد فصل الصيف فرصة مثالية للراغبين في الاستمتاع بعطلهم وممارسة جميع أنواع الرياضات خصوصا البحرية والشاطئية. وينصح خبراء الصحة واللياقة البدنية بعدم الاستسلام إلى الكسل أثناء العطل وباستغلال فصل الصيف وشواطئ البحر لممارسة العديد من التمارين الرياضية التي من شأنها أن تساعد الإنسان على التمتع بصحة جيدة ولياقة بدنية عالية خاصة وأنها تجمع بين فوائد النشاط البدني وفوائد مياه البحر والرمال والهواء الطلق.

❑ **لندن** – أكدت أحدث البحوث العلمية أن الراحة والإجازات الطويلة على شاطئ البحر قد تنقلب من مصدر للمتعة ولتحسين مستوى الصحة واللياقة البدنية إلى سبب في الضرر بالصحة. وكشف عدد من علماء الصحة أن الإجازات الطويلة أو الامتناع عن القيام بأيّ نشاطات بدنية أو ذهنية لديها آثار سلبية على الحالة الصحية والعقلية للإنسان.

ووفقا للعلماء البريطانيين فإن "قضاء الإجازات الطويلة أو الاستجمام على الشواطئ دون القيام بأيّ نشاطات بدنية أو ذهنية تذكر من الممكن أن يزيد من احتمال الإصابة بأمراض خطيرة قد تتسبب في الوفاة المبكرة، فأثناء الإجازات يفقد الجسم قسما من كتلته العضلية وتزداد نسب الدهون المتراكمة فيه".

وفي المقابل أكد علماء من جامعة إرلنغن الألمانية أن "النشاط الدماغي يقل أثناء الراحة بمعدل ملحوظ، وقضاء فترات طويلة دون القيام بأيّ عمليات ذهنية من الممكن أن يؤدي إلى تدهور القدرات الإدراكية مع الوقت، كما أن النوم لساعات طويلة (أكثر من 9 ساعات) أثناء الإجازات له تأثيراته السلبية على الصحة".

> الأشخاص الذين لا يغيرون عاداتهم الغذائية أثناء الإجازات ويقل نشاطهم الحركي بمعدل 80 بالمئة يعرضون أنفسهم إلى الإصابة بضمور العضلات وتراكم الدهون

يذكر أن العديد من الدراسات كان قد تحدث عن مخاطر انخفاض النشاط البدني والذهني على الصحة العقلية والبدنية للإنسان وكذلك تأثيراته السلبية على الصحة النفسية. وكان علماء من جامعة ليفربول البريطانية قد كشفوا أن الاستجمام أو الاستلقاء على الشواطئ لفترات طويلة قد يتسبب في الوفاة المبكرة أحيانا، حيث أظهرت بحوثهم أن الأشخاص الذين لا يغيرون عاداتهم الغذائية أثناء الإجازات وفي الوقت نفسه يقل نشاطهم الحركي بمعدل 80 بالمئة تقريبا فإنهم يعرضون أنفسهم إلى الإصابة بضمور العضلات وتراكم الدهون الضارة في الجسم. وخلصت جلّ هذه البحوث إلى ضرورة المواظبة على ممارسة التمارين الرياضية، ولمَ لا زيادة الإقبال عليها وإعطاؤها وقتا أطول في فترات الإجازات.

وكشفت العديد من الدراسات الفوائد الكثيرة لمياه البحر، بينما أكدت أخرى أهمية ممارسة التمارين الرياضية في الهواء الطلق وعلى شاطئ البحر خصوصاً. وقالت غيرها من الدراسات إن للرمال الكثير من الفوائد الحرارية وبالتالي تفيد في خفض الوزن الزائد.

ولحصول الاستفادة الكاملة من هذه الرياضات يوصي المدربون وخبراء الصحة واللياقة البدنية بعدم نسيان الكريمات الواقية من أشعة الشمس وباستخدام المظلات والقبعات لحماية الرأس وكذلك نظارات الشمس. ويشدد هؤلاء على أهمية شرب كميات هامة من المياه لتجنب جفاف الجسم جراء التعرق وبذل الجهد مع الحرص على تبليل الجسم وفروة الرأس باستمرار بالماء. إلى جانب القيام بالحركات الإحمائية قبل البدء بممارسة الألعاب الشاطئية الجماعية توقّيا من ضربات الشمس.

وهناك تمارين رياضية لا تعتمد على الكثير من الحركات البدنية وهي أيضا من الرياضات التي تمكن ممارستها على البحر للحصول على فائدة مضاعفة ومن بينها اليوغا التي تتيح للإنسان الشعور بالاسترخاء بجانب الاستفادة من الجلوس أمام البحر الذي يعزز الشعور بالهدوء والراحة.

ويوصي خبراء اللياقة البدنية بممارسة تمارين البلانك التي تعمل على شدّ جل عضلات الجسم عبر الاستلقاء على البطن فوق الرمال ثم رفع الجسم مع الاستناد على الذارعين وأصابع القدم فقط. والحرص في الوقت ذاته على دفع كعب القدمين إلى الخلف أثناء عمل التمرين والاستقرار في هذا الوضع لدقيقة أو أكثر ثم الاستئناف مرة أخرى.

وتمكن كذلك ممارسة العديد من التمارين أثناء الاستلقاء على الشاطئ ومن بينها تمارين البطن وتمارين تقوية الأرداف والقدمين. وكانت دراسة أميركية قد أوضحت أن للمكوث على شاطئ البحر فوائد صحية كبيرة، بالإضافة إلى المتعة والتأثير المساعد على الاسترخاء، وذلك لاجتماع ثلاث مكوّنات وهي الشمس والرمل وماء البحر. ولكلّ منها فوائده الكبيرة والمميزة، ومن المعروف أن لأشعة الشمس فوائد في مساعدة الجسم على تصنيع فيتامين "د" حيث أن التعرض لها لمدة 10 دقائق كاف لتزويد الجسم بالحاجة اليومية منه، بالإضافة لتأثير الأشعة فوق البنفسجية في خفض ضغط الدم.

ويشير الأطباء إلى أنه من المهم جدا المواظبة على ممارسة رياضة المشي على رمال البحر إذ ثبت أن لها فوائد متنوعة وخاصة عندما تكون القدمان حافيتين، حيث تنشط الغدد العرقية والنهايات الحسية الموجودة في أخمص القدمين، كما تساعد على تقوية عضلات القدمين والساقين لما تتطلبه من مجهود عضلي.

كما تناولت الدراسة، التي نشرت في دورية علم النفس البيئي، فوائد الاستجمام على شاطئ البحر وتأثيراته على تجديد الحيوية والنشاط، وأهمها تحسين المزاج وتجديد النشاط بفضل الأماكن الطبيعة والمفتوحة وخاصة بالقرب من الماء مثل الشاطئ أو البحيرات.

بالإضافة إلى ذلك يساعد المشي بقدمين حافيتين على الرمل على الاتصال المباشر بالأرض وهناك الكثير من الدراسات التي تؤكد فوائد هذا الاتصال أو ما يدعى بـ"التأريض" على الجهاز القلبي الوعائي والمناعة والدم وتخليص الجسم من الجذور الحرة. كما للتأريض فوائد متعدّدة على جهاز القلب والأوعية.

ولا ننسى فوائد مياه البحر التي تقول الدراسة إنها لا تعدّ ولا تحصى، لما تحتويه من أملاح كالبوتاسيوم والمغنزيوم واليود وكل ذلك يفيد في علاج الالتهابات ويساعد الجسم على التخلص من السموم عند الغطس فيه. كما تعتبر السباحة واللعب بالماء من الفعاليات المؤدية للاسترخاء والتخفيف من التوتر. وذكّرت الدراسة بأن السباحة من أكثر الرياضات التي تساعد على تقوية الجسم ونقص الوزن.

وبيّن مركز مكافحة الأمراض والوقاية منها في أميركا أن السباحة لمدة ساعتين ونصف الساعة في الأسبوع يمكن أن تفيد في التخفيف من الأمراض المزمنة وتحسن صحة القلب بجانب كونها رياضة لا تسبب الضغط أو زيادة الحمل على المفاصل، ولذلك تعتبر مفيدة لمن يشكو من أمراض مفصلية أو زيادة وزن في الحصول على تمارين من دون التسبب بالألم.

واهتمت العديد من البحوث بكشف فوائد المشي على رمال الشاطئ وأبرزها أنه يساعد على حرق الكثير من السعرات الحرارية كونه يتطلب مجهودا أكبر، مقارنة بالمشي على الأسطح الصلبة المسطحة، ما يساعد على تقوية عضلات الساقين.

كما ذكرت الأبحاث أن المشي على رمال الشاطئ يمنع إصابات معينة تتعلق بالمفصل والضغط على الكاحلين والركبتين. في الوقت الذي يؤكد فيه الأطباء على أن المشي بقدمين عاريتين على الشاطئ يساعد على الحدّ من التوتر والاكتئاب حيث يشعر الشخص بعده بالحيوية والراحة وبراحة نفسية كبيرة.

وتقوم رمال الشاطئ بعمل تدليك طبيعي للقدمين كما تعتبر مقشرا طبيعيا للجلد، بالإضافة إلى أن ماء البحر يعقم القدمين والجلد ويعالج بعض المشكلات التي تسببها البكتيريا الموجودة في الأحذية.

ويشجع الأطباء على عدم التخلي عن الأنشطة البدنية والرياضية بأنواعها في فترات العطل مؤكدين أن للجلوس أضرارا جسيمة على الدماغ والجسم. وقد أثبت علماء أميركيون مؤخرا أن الجلوس لمدة طويلة يضرّ بخلايا المخ ويمحو أيّ فوائد إيجابية قد تعود على من يمارس الرياضة باستمرار في ذات الوقت، وفقا لما نشرته مجلة "بلوس وان".

وقد قام الباحثون في جامعة إلينوي الأميركية باختبار ضم 88 شخصا تتراوح أعمارهم بين 60 و78 سنة، صنفوا على أنهم أصحاء بدنيا ولكنهم لا يمارسون الرياضة بشكل معتاد وقاموا بمراقبة واختبار المخ وتوزيع الماء فيه واختلفت النتائج تبعا لطبيعة تحرك الأشخاص في اليوم الواحد.

وأثبتت نتائج مسح المخ أن الأشخاص الذين يقومون بنشاطات بدنية معتدلة أو قوية قلّت نسبة إصابة المادة البيضاء في المخ لديهم. والمادة البيضاء في المخ هي جزء من الجهاز العصبي المركزي التي تتأثر بمرور الزمن والتقدم في العمر. وكشفت نتائج الدراسة أن الأشخاص الذين يجلسون لساعات طويلة كانوا أكثر من تضررت المادة البيضاء لديهم.

وانتشر الوعي لدى فئات واسعة من الناس بأهمية ممارسة الرياضات بأنواعها خصوصا في العطل وفي المصائف. ونشر الموقع الإلكتروني "هوتيلز دوت كوم" نتائج دراسة أظهرت توجهات جديدة لدى المسافرين الشباب من مرتادي الشواطئ، حيث أشارت إلى أنهم أصبحوا يُقبلون أكثر على الأنشطة المفعمة بالحركة والحيوية وأصبحوا يختارون الوجهات التي يرتادها المشاهير في مجال اللياقة البدنية.

وقد كشفت نتائج استبيان "العطلات المفعمة بالأنشطة الرياضية" أن أكثر من 80 بالمئة من الأفراد في الفئة العمرية التي تتراوح ما بين 18 و35 عاما يميلون إلى الحفاظ على اللياقة البدنية خلال الرحلة.

الحفاظ على نوم جيد ومنتظم ضمان لسلامة المخ وسعادة الإنسان

❑ **باريس** – كشفت أبحاث علمية حديثة أن النوم يلعب دوراً مهما في إزالة السموم من المخ، حيث أن بعض خلايا المخ تتقلص أثناء النوم وهذا يفتح ثغرات بين الأنسجة ويسمح للسوائل بغسل "النفايات العصبية".

النوم سلاح لحل المشكلات

ووفقاً للأبحاث التي نشرت في مجلة ساينس يسمى نظام إزالة النفايات من المخ بالنظام الغليمفاتي الذي وجدت الأبحاث أنه يكون في الواقع أكثر نشاطاً 10 مرات أثناء النوم.

ويعرف السائل الذي يدور في المخ باسم السائل النخاعي، وهو سائل يفرزه من أجل جلب المواد المغذية وإزالة النفايات من خلال حاجز الدم في المخ. هذا الحاجز عبارة عن جدار طبيعي موجود حول المخ لمنعه من لمس الدم مباشرة ويعمل على وقايته من مسببات الأمراض المنقولة عن طريق الدم.

وأشارت الأبحاث إلى أن الزيادة في تدفق السائل النخاعي تجلب المزيد من العناصر المغذية وتزيل من المخ الكثير من المواد غير المرغوب فيها.

ونتيجة لتراكم البروتينات التالفة في المخ فإنها تتسبب جزئياً في أمراض مثل الزهايمر أو باركنسون، وكل ما على الشخص القيام به للحصول على هذه الفوائد هو أخذ قسط مناسب من النوم فقط.

ووجدت دراسة فرنسية جديدة أُجريت في جامعة باريس ديكارت تحت إشراف البروفيسور توماس أندريون ونشرت في دورية "نيتشر كومينيكيشن" أن الدماغ يستطيع توصيل بعض النقاط العصبية أثناء النوم، خاصة أن الوصلات العصبية تستعيد مرونتها خلال ساعات الراحة، ما يمكّنها من القيام بنشاطها على نحو أفضل.

وخلال الدراسة تمت مراقبة أنشطة الدماغ لـ28 شخصاً أثناء النوم، وتم رصد أنشطة الوصلات العصبية التي كشفت عن قيام الدماغ بمحو بعض المعلومات وتثبيت البعض الآخر، وإعادة توصيل بعض الأمور من جديد، ما يساعد على إيجاد حلول للمشاكل العالقة.

وقامت الدراسة على اقتراح فرضية أن الدماغ يقوم بعملية تعلّم تتضمن تثبيت بعض الذكريات ومحو البعض الآخر أثناء مراحل النوم المختلفة. ويفسر ذلك بتوصل الدماغ إلى حلول لبعض الأمور والمشاكل التي يواجهها الإنسان ولا يستطيع التوصل إلى قرار بشأنها خلال اليقظة، حيث تساعد عملية المحو والتثبيت على إعادة بناء الوصلات العصبية، ومن ثمّة تقييم الأمور أثناء الراحة.

ويشغل نشاط الدماغ أثناء النوم الكثير من الباحثين في مجالات علم الأعصاب ووظائف الدماغ خلال العقدين الأخيرين. وقد كشفت الأبحاث العلمية الحديثة أن النوم يلعب دوراً في إزالة السموم من المخ، وبالتالي يلعب دور المطهر والمنشط لتنظيم عمل الدماغ.

وأجرى علماء في ولاية أريزونا الأميركية مسحًا على الدماغ أظهر أن سرّ السعادة هو الحصول على 7 ساعات و6 دقائق من النوم ليلًا، وهي المدة التي وجد أن الأشخاص السعداء يحصلون عليها بشكل منتظم.

> الدماغ يقوم بعملية تعلم تتضمن تثبيت بعض الذكريات ومحو البعض الآخر أثناء مراحل النوم المختلفة. ويفسر ذلك بتوصل الدماغ إلى حلول لبعض الأمور والمشاكل

وكشفت الدراسة التي نشرتها مجلة "إيلي" الأميركية، وأجريت على 2000 شخص، أنّ من حصلوا على قسط من النوم ليلًا بانتظام لمدة أقل من 6 ساعات و48 دقيقة، كانوا الأقل سعادة عمومًا في علاقاتهم.

كما بينت نتائجها أن قليلي النوم يعانون من القلق المستمر، وعدم القدرة على الشعور بالتقدير لذواتهم، أو لما يتمتعون به على كافة المستويات في الحياة.

ووجدت الدراسة أن الأشخاص قليلي النوم يتصفّحون في الغالب هواتفهم بشكل جنوني ومرتبطون بالأجهزة الإلكترونية أكثر من الأشخاص في الواقع، بجانب ارتباطهم الزائد بالعمل حتى في أوقات الراحة والإجازات.

ملكة الجمال: وجه واحد لامرأة متعددة الوجوه

مكانة صاحبة التاج الذهبي تحددها خِلقتها أم أخلاقها

الجمال يحاط بهالة كبيرة، والمرأة التي تمتلك هذه النعمة، ينظر إليها على أنها تحوز على ثروة يمكن أن تحدد مكانتها ومنزلتها في المجتمع، غير أن هذه النعمة قد تتحول إلى نقمة على صاحبتها إذا كانت رأس مالها الوحيد.

يمينة حمدي
صحافية تونسية

❑ يسحر عرش الجمال حسناوات العالم وتجذبهن هالة الإعجاب والتقدير والشهرة والأموال التي تحاط بحاملات التاج الذهبي، غير أن صخب التربّع على هذا العرش يتخلله جدل يقلّل من شأن صاحبة التاج، نظرا لأن مسابقات الجمال تسلط الأضواء على وجه المرأة وقوامها الممشوق، وتتجاهل في أحيان كثيرة الصفات والمهارات المتعددة التي تمتلكها بعيدا عن قشرة المظهر الخارجي.

وتتعرض مسابقات ملكات الجمال منذ السبعينات من القرن الماضي إلى انتقادات كثيرة من قبل الحركات النسوية، التي تنظر لهذه المسابقات على أنها تمتهن المرأة وتحط من كرامتها، بسبب عدم تشجيعها التنوع في صورة الجسم، وفرضها لائحة صارمة تحوّل أجساد المتباريات إلى نسخة طبق الأصل من قالب الجمال الذي تروّج له دون مراعاة لشخصياتهن الحقيقية وأدوارهن المتعددة في المجتمع.

ورغم اتجاه المشرفين على مسابقات ملكات الجمال في السنوات الأخيرة إلى التركيز على شخصيات المتسابقات وثقافتهن ومستواهن العلمي، ودورهن في نشر الوعي الاجتماعي وجمع التبرعات للقضايا الإنسانية، وتحدثهن بعدد من اللغات، إلا أن الجمال الصارخ يظل الجانب الأقوى المسيطر والمسيّر لهذه المسابقات، فهو يؤثر تلقائيا على العقل الباطن للجمهور، ويجعله يختار ملكة جمال حسناء الوجه ومتواضعة العلم والثقافة، ولا يختار ملكة جمال واسعة العلم والثقافة ومتواضعة الجمال.

ويطلق علماء النفس على هذا الأمر وصفا استدلاليا مفاده أن "ما هو جميل هو جيّد بالضرورة"، فالناس يفترضون دائما أن الشخص الذي وُهِبَ نعمة الجمال يمتلك نعمة التفكير العميق والثقافة العالية في جوانب أخرى من شخصيته.

وفسّرت الباحثة الأميركية في مجال علم النفس الاجتماعي ليزا سلاتري ووكر ذلك بقولها إن صفة الجمال "واحدة من صفات عديدة تحدد مكانة ومنزلة من نتعامل معهن، ويمكن لنا أن نميّزها ونتعرف عليها في وقت مبكر للغاية من تعاملاتنا" مع من حولنا.

غير أن ما يثير القلق هو معايير المؤسسات العالمية الخاصة بمسابقات الجمال التي دفعت البعض من الفتيات إلى اتباع حميات غذائية قاسية للوصول إلى ما تسوّق له على أنه "الجسم المثالي" عبر عملية تنحيف قاسية من أجل بلوغ ما يطلق عليه "القياس صفر"، مما حدا ببعض الجمعيات بالمناداة بالتوقف عن هذه المسابقات التي تشجّع على الهوس بالجمال الجسدي، وتحفز عددا من الأمراض كالشره العصبي وفقدان الشهية.

حمية قاسية

دعت ماري إيفنز يونغ، وهي كاتبة بريطانية عانت من اضطراب "فقدان الشهية العصبي" في عام 1992، إلى تخصيص يوم 6 مايو من كل عام كيوم عالمي لعدم التقيّد بالحمية الغذائية، وتسليط الضوء على الاختلاف في الأوزان ومفهوم الجسم المثالي، والتذكير بضحايا اضطرابات الطعام وعمليات التجميل، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على الحقائق المتعلقة بالحميات الغذائية والمفاهيم الخاطئة المرتبطة بها.

واتخذت بلدة تشيفيلكوي الأرجنتينية في عام 2014 قرارا بمنع إقامة مسابقات ملكات الجمال، وبرّر مجلس البلدة بمنطقة بوينس آيرس، بأن هذه المسابقات تنطوي على تمييز بحق المرأة وتشجع على العنف ضدها.

وشهد العالم العربي عدة مبادرات لكسر الصور النمطية عن معايير الجمال كانت آخرها "مسابقة ملكة جمال البدينات" التي أقيمت في تونس للعام الثاني، وفي عدة دول عربية أخرى، وهدفها نقل رسالة مختلفة عن الصورة النمطيّة لمعايير الجمال والتنديد بالعنف النفسي الذي تتعرض له المرأة البدينة، وللدعوة إلى التصالح مع الجسد وتقبل الآخر على شاكلته.

وتحدثت الكاتبة الأميركية والمستشارة السياسية للرئيس الأميركي الأسبق بيل كلينتون نعومي وولف في كتابها "أسطورة الجمال: كيف تستخدم صُوَرُ الجمال ضدّ النساء" وليس لصالحهن.

ووفقا لوولف، فإن "أسطورة الجمال" هدفها تقويض الحريات والحقوق التي نالتْها المرأة في العقود الأخيرة، فالقيود الاجتماعية التي كانت تحاصر حياة المرأة صارت اليوم تحاصرُ وجهها وجسدها. وبناء على ذلك تطرح الكاتبة إشكاليتها الأبرز "اليوم، تبحث المرأة عن مكانتها بين أجساد النساء الأخريات. أما الجيل الذي سبقنا من النساء، فكنَّ يبحثنَ عن مكانة المرأة في المجتمع".

جميلة الجميلات

غير أن كل الأصوات التي انتقدت مسابقة "ملكة الجمال" منذ نسختها الأولى مع مؤسسها المليونير البريطاني الراحل إريك مورلي وحتى اليوم، لم تستطع إطفاء لحظة التتويج البراقة أو تبدّد رغبة النساء القوية في التربع على عرش جميلة الجميلات.

وكشفت خولة البقلوطي (19 عاما)، ملكة جمال محافظة المنستير لسنة 2017، عن طموحها الكبير في نيل لقب ملكة جمال تونس، مؤكدة أن لديها من الإمكانيات ما يؤهلها لتتربع على هذا العرش.

وقالت البقلوطي لـ"العرب"، "أنا متحصلة على شهادة الباكالوريا في الاقتصاد والتصرف وأمارس رياضة المبارزة بالسيف وتحصلت على العديد من الميداليات من بينها ذهبية في بطولة تونس 2015، ولم أشارك في هذه المسابقة لاستعراض جمالي الجسدي، بل لأنني أمتلك العديد من المهارات وأؤمن أولا وقبل كل شيء بالأدوار الإنسانية والاجتماعية والثقافية التي يمكن أن تؤديها ملكة الجمال في مجتمعها".

وأوضحت "ملكة الجمال ليست مجرد جسد جميل، وحتى وإن كانت في نظر البعض كذلك، فإنني أقول لهؤلاء إن المرأة الجميلة ليست رخيصة بل عفيفة وشريفة وجمالها ليس للترويج ولا للبيع ولا للشراء".

وعبّرت البقلوطي عن رغبتها في إيصال رسالة لكل النساء العربيات مفادها "كن حرات، كن سيدات أنفسكن، فأجسادكن وإن خلقت جميلة فهذه نعمة من الله فحافظن عليها، فالله جميل ويحب الجمال".

فيما ترى الممثلة كيرا الصباح وملكة جمال مصر سابقا، أن ملكة الجمال ليست مجرد وجه جميل وحسن الإطلالة والمظهر، بل حصولها على هذا اللقب يحمّلها مسؤولية كبيرة، ويجعلها في وضع حساس، يستدعي منها أن تحسب كل خطواتها مراعاة للجمهور الذي وثق فيها وتوجها بذلك العرش، ويعلق عليها الكثير من الآمال والانتظارات.

وأوضحت الصباح أن مبادئ صاحبة التاج تتحكم بالدرجة الأولى فيما ستكون عليه مكانتها مستقبلا، فإما أن تحول جسدها إلى سلعة سهلة البيع والشراء، وإما أن تحوله إلى رمز يرفع من شأنها ومن شأن بنات جنسها من خلال ما ستقدمه من أعمال إنسانية وخيرية.

ليست الجميلة دائما من تتربع على عرش الحسناوات

وعن تجربتها الشخصية قالت "كان هدفي الأول العمل الخيري من خلال سعيي للحصول على لقب ملكة جمال العرب، ورغم حبي الشديد للتمثيل، إلا أنني لم أخطط للدخول إلى ذلك من خلال بوابة مسابقة الجمال".

وأضافت الصباح "أثناء ذهابي للظهور في أحد البرامج التلفزيونية اقترح عليّ صديق تجربة تمثيل، وعند محاولتي تجسيد ذلك أعجب المنتج ريمون مقار بأدائي ورشحني للدكتور بيتر ميمي المخرج الذي ضمني إلى فريق مسلسل (الأب الروحي)، ولكن تبقى الموهبة وحسن الأداء هما الأساس لخوض غمار عالم التمثيل الساحر، وليس مجرد كوني ملكة جمال".

ولا يبدو أن بإمكان الفتيات اللاتي يمتلكن مظهرا غير سار للناظرين ومؤهلات علمية وثقافية كبيرة المشاركة في مسابقات الجمال، إلا أن البعض من المشرفين على هذه التظاهرات يرفضون الاعتراف بحقيقة أن الجاذبية الشكلية تمثل الصفة الأهم التي تحدد صاحبة التاج الذهبي.

الهوس المرضي

قالت فوزية العبيدي، رئيسة الجمعية الفنية والثقافية "تاج" لمحافظات المنستير وسوسة والقيروان، والمشرفة على تنظيم مسابقة ملكة جمال تونس في تصريحها لـ"العرب"، "لم يكن اختياري لرئاسة هذه الجمعية، وخاصة بعد 38 عاما قضيتها في العمل التربوي وتدريس اللغة الفرنسية اعتباطيا، بقدر ما كان قرارا مدروسا وموجّها، وغرضه أولا وقبل كل شيء إعداد وتكوين ملكات جمال قادرات على تقديم وجه ناصع عن المرأة التونسية الحسناء والأنيقة والمهذّبة والمثقفة والقادرة على تمثيل تونس في المحافل المحلية والدولية على أحسن وجه".

وأضافت العبيدي "مقاييس لجنة التحكيم في هذه المسابقة لا تعتمد بالأساس على جمال الجسم مهما كان فاتنا، بل تضع في عين الاعتبار عدة معايير أخرى، كالمستوى الثقافي ومدى قدرة المتسابقات على المساهمة في الأعمال الخيرية والمشاريع الإنسانية، وبهذا فإن ملكة الجمال لن تكون مجرد صورة (جميلة) نمطية، بل فاعلة ومؤثرة في مجتمعها بما تمتلكه من مؤهلات جمال خِلقية وخُلقية".

ولا يكمن الجمال الحقيقي فقط فيما يراه الناظر من خلال الشكل الخارجي، بل وأيضا في شخصية الإنسان وسلوكاته، إلا أن العديد من النساء أصبحن يسعين إلى تغيير أشكالهن لتتماشى مع معايير الجمال المتماثلة عالميا.

وأرجع طارق بالحاج محمد، الباحث التونسي في علم الاجتماع، مثل هذا الأمر إلى ما سمّاه بـ"الهوس المرضي" بالجاذبية الشكلية، مشددا على أن الجمال مهما بلغ لا يمكن أن يعوّض عن المبادئ والأخلاق.

وقال بالحاج محمد لـ"العرب"، "إننا نعيش في عصر صناعة الصورة بامتياز، بما في ذلك عصر صناعة الصورة النمطية للإنسان (المثالي)، إنه عصر تغيرت فيه العديد من القيم الاجتماعية والثقافية والذوقية وغلب عليه التنميط وقد شملت هذه التغيّرات مسألة مقاييس ومعايير الجمال عند المرأة إلى الحد الذي غلبت عليه مقاييس التشابه والمحاكاة والتسليع على قيم الفرادة والبساطة والتميّز والخصوصية وحتى الذوق السليم".

وأضاف "منذ بدأت (صناعة الجمال) في الظهور استحوذت النساء على نسبة 80 بالمئة من إجمالي عمليات التجميل مقارنة بالرجال، لذا فهن يعطين وزنا أكبر للمظهر الخارجي، إلى جانب رغبتهن في إرضاء الذكور ونيل إعجابهم بمظهرهن الجذاب، مما جعل ذلك مجالا خصبا للاستثمار الاقتصادي والإعلامي وحتى السياسي".

وأوضح بالحاج محمد أن "الظاهرة تعدت اللهفة على مساحيق التجميل وتقليعات الموضة وعروض الأزياء، وأصبحت هوسا بكل أنواع التدخل الجراحي التجميلي، مثل زرع الشعر وشفط الدهون وإزالة الندوب والبقع السوداء من الوجه وتكبير أو تصغير وشد الصدر..".

وأشار إلى أن "الظاهرة لم تعد تقتصر على نخبة معيّنة من النساء، بل تستحوذ على اهتمامات الجمهور النسائي العريض، مستغلة في ذلك الرغبة الأنثوية الجارفة في التشبّه بالمشاهير".

ويرى الباحث التونسي أن "أغلب النساء انحصرت اهتماماتهن في دائرة ضيّقة تبدأ من المظهر الخارجي وتنتهي إليه، إلى درجة ألغيت معها عقولهن وتفكيرهن وخصوصيتهن وفرادتهن، ودفعتهن إلى التشبه بنماذج وصور لا تشبههن أو لا تناسبهن، وأصبحت البعض منهن نسخا وصورا متطابقة، فأحيانا لا يمكن التفريق بين المغنية المشهورة والمدرسة والطبيبة وربة البيت".

وختم بالحاج محمد بقولة "ليس التجميل سوى عملية تطبيق لمفهوم الجمال، ومن خلال هذه العملية يرسم الإنسان قناعاته ويعكس ثقافته وأفكاره ويعبّر عن قضاياه، وليس مجرد تشبّه بصورة المشاهير التي تسوقها السينما ووسائل الإعلام وعروض الأزياء ومسابقات الجمال".

الحرام والحلال

يلتبس أمر مسابقات ملكات الجمال عند المدارس الفقهية الدينية، وتجمع غالبيتها على رفضها، فيما يحرّم المتشددون من رجال الدين مسابقة ملكة الجمال، معتبرين الأمر جزءا من التعري والمتاجرة بجسد المرأة، إلا أن هناك بعض الأصوات المعتدلة التي تقبل باختيار ملكة الجمال ولكن ضمن شروط معيّنة، الأمر الذي فتح المجال لظهور مسابقة لملكة جمال المحجبات.

ورفض الداعية الإسلامي المصري أشرف سعد محمود قبول هذه المسابقات قائلا "لا شك ولا جدال في أن مسابقات ملكات الجمال تعد فتنة ومحرمة شرعا لما يرتكب فيها وباسمها من موبقات وذنوب وكل ما نهى عنه ديننا الحنيف، كما تعد تقليدا أعمى للغرب الذي ابتدع مثل هذه المسابقات وسوّقها لنا".

وأضاف محمود "مثل هذه المسابقات لا يمكن أن تندرج، وبأي شكل من الأشكال، ضمن فكر حقوق الإنسان والحرية الشخصية، لأنها تمتهن جسد المرأة وتحولها إلى سلعة رخيصة تنتظر من يتفحصها بالعيون، وهذا الأمر يحط من مكانة المرأة المصونة ويجعلها مجرد جسد بلا كرامة".

واعتبر أن "مسابقات الجمال أشبه بما يحصل في سوق النخاسة وتجارة العبيد، إذ يتم تحويل المرأة إلى رق، فتتزيّن وتتعطر وتُظهر مفاتن جسدها بصورة صارخة.

وأوضح أن "المسؤولية تقع على ولي الأمر الذي يفترض أن يحافظ على عفّة ابنته ولا يعرضها على المشاهدين ليستمتعوا بجمالها ومفاتنها.. هذه المسابقات ضد عفّة المرأة وهي محرمة شرعا، لما تنطوي عليه من إظهار عورات النساء التي أمر الله بسترها".

كيرا الصباح:
كان هدفي العمل الخيري من خلال سعيي للحصول على لقب ملكة الجمال

خولة البقلوطي:
المرأة الجميلة ليست رخيصة بل عفيفة وشريفة وجمالها ليس للبيع

أشرف سعد محمود:
لا شك ولا جدال في أن مسابقات ملكات الجمال محرمة شرعا

فوزية العبيدي:
مقاييس لجنة التحكيم لا تعتمد بالأساس على جمال الجسم مهما كان فاتنا

طارق بالحاج محمد:
إننا نعيش في عصر صناعة الصورة النمطية للإنسان المثالي

إهمال الزوجة لنفسها سلوك شخصي أم صفة مكتسبة

الأزواج ينفرون من زوجاتهم بسبب عدم تجديدهن لمظهرهن

تميل المرأة بطبيعتها إلى الاهتمام بجمالها وبمظهرها الخارجي، إلا أن ذلك لا يمكن اعتباره قاعدة ثابتة نظرا إلى أن نسبة من السيدات لا يجدن فن الاهتمام بالذات، وتتراجع لديهن هذه الأولوية الأنثوية ويرينها غير ضرورية، ومنهن من تفتقد تلك الميزة الأنثوية في ظل ضغوط المعيشة وكثرة المسؤوليات بعد الزواج والإنجاب، ما تكون له تأثيرات سلبية على علاقتها بشريك حياتها وعلاقاتها الاجتماعية، بصرف النظر إذا ما كان إهمال المرأة لنفسها سلوكا شخصيا أو صفة اكتسبتها.

اهتمام المرأة بمظهرها يكسر رتابة العلاقة الزوجية

❏ **القاهرة** – أكدت دراسة لمكاتب التسوية بمحاكم الأسرة المصرية ارتفاع الخلافات الزوجية بنسبة 56 بالمئة بسبب إهمال الزوجات لأنفسهن ومظهرهن وشكل أجسادهن بعد الزواج، حيث رصدت لجوء الرجال لمحاكم الأسرة في دعاوى النشوز والطاعة بسبب الملل وعدم تجديد الزوجات لأنفسهن.

وأشارت الزوجات إلى أن الضغوط الاجتماعية على المرأة من عمل وتربية الأولاد، وعنف الأزواج، والمشاكل الاقتصادية تؤثر على الإقبال على الحياة الخاصة وتسبب إهمال المظهر الخارجي.

وذكرت أن السبب الرئيسي في هذه الخلافات تمثل في عدم اهتمام الزوجات بنظافتهن الشخصية وعدم حفاظهن على شكل أجسامهن بعد الزواج، مشيرة إلى أن 40 بالمئة من الزوجات اشتكين من نفور أزواجهن منهن بحجة عدم اهتمامهن بالتزين لهم واضطررن لإقامة دعاوى خلع وطلاق، وقالت إن 32 بالمئة من السيدات طلبن الانفصال عن أزواجهن بسبب مقارنتهن الدائمة بينهن وبين نجمات السينما وفتيات الإعلانات والسخرية منهن.

> الضغوط الاجتماعية على المرأة من عمل وتربية الأولاد، وعنف الأزواج، والمشاكل الاقتصادية تؤثر على الإقبال على الحياة الخاصة وتسبب إهمال المظهر الخارجي

وأرجع 45 بالمئة من الأزواج سبب نفورهم من العلاقة الحميمية وانصرافهم عن زوجاتهم إلى رفضهم أشكالهن بسبب عدم تجديدهن في مظهرهن.

وفي هذا السياق تقول منى رضا أستاذ الطب النفسي بجامعة عين شمس في مصر "هناك العديد من الأسباب التي تدفع بالمرأة لإهمال مظهرها الخارجي وجمالها على عكس طبيعتها، وغالبها يندرج تحت تأثير العوامل المحيطة التي تحبطها نفسيًا وتقلل من اهتمامها بنفسها وليست طبيعة في شخصيتها لأن الفتاة منذ صغرها تحلم بشعر طويل مصفف ودائمًا ما تقف أمام المرآة وترتدي ملابس والدتها وتضع أحمر الشفاه الخاص بها لكي تبقى في أحسن صورها.

وأكدت أن جمال المرأة الخارجي واهتمامها بنفسها وبمظهرها ما هو إلا انطباع لشعورها الداخلي وقناعتها بذلك في قرارة نفسها وثقتها في جمالها، لذلك في المقابل نجد أن هناك نسبة كبيرة من النساء مهما كانت الصعاب والتحديات التي تواجههن يبقين مصرات على الاحتفاظ بجمالهن سواء قبل الزواج أو بعده لأنهن يلمسن شعورهن الداخلي بجمالهن والإحساس بكيانهن ووجودهن من خلال اهتمامهن بأنفسهن، لذلك لا يمكن تعميم ظاهرة أن المرأة تهمل نفسها بعد الزواج.

وتلفت رضا إلى أن إهمال المرأة لنفسها بعد الزواج قد يكون أمر واردا وبقوة، وذلك بسبب حجم المسؤوليات التي تُلقى على كاهلها فيكون الاهتمام بالمظهر الخارجي من الأمور الثانوية بالنسبة إليها خاصة أن الخروج من المنزل يصبح بعد ذلك من الأمور التي نادرًا ما تحدث.

وأكدت أن أولويات المرأة تتغير بعد الزواج لأنها قبل الزواج لا تكون عليها أيّ مسؤولية لذلك تقضي الكثير من الوقت في الاهتمام بملابسها ومظهرها الخارجي، لكن بعد الزواج تجد نفسها مقسمة بين دائرة المسؤوليات ولا تجد وقتًا للاهتمام بمظهرها.

ونبهت رضا إلى أن العامل النفسي يؤثر بشكل كبير في اهتمام المرأة بمظهرها وبجمالها، فالزوجة التي تعاني من الاكتئاب وكثرة الضغوطات والتوتر بشكلٍ مستمر تتعمد إهمال جمالها وهذا يدل على عدم شعورها بالراحة في حياتها ومعاناتها بشكل مستمر.

وعن تأثير إهمال المرأة لنفسها على علاقاتها الاجتماعية والزوجية توضح سامية خضر أستاذة علم الاجتماع بجامعة عين شمس أن هناك بعض الأزواج الذين يرون أن اهتمام المرأة بنفسها داخل المنزل من الأشياء الأساسية لاستمرار الحياة الزوجية هادئة وسعيدة، لأن تغيير المرأة لشكلها واهتمامها بمظهرها يكسر حاجز الملل والرتابة الذي تمر به أيّ علاقة زوجية والذي من شأنه أن يؤثر على استمرارها. وهناك جزء ثان من الرجال لا يهتمون بمظهر المرأة ويعتبرونه من الأشياء الثانوية وأنه من الأفضل لها الاهتمام ببيتها وتربية أبنائها على الاهتمام بمظهرها، مشيرة إلى أن الزوج بعيد تمامًا عن تهمة أنه السبب وراء إهمال المرأة لنفسها لكن تقاليد المجتمع التي يفرضها على المرأة هي التي تحول دون ذلك.

ولا شك أن إهمال الزوجة لنفسها يؤثر بشكل طبيعي على الحياة الزوجية ويجعلها مملّة وغير متجددة بل ويجعل الزوج نافرًا من إقامة علاقة جنسية مع زوجته.

وذكرت خضر أن الزوج يلعب دورا كبيرا في بقاء المرأة مهتمة بمظهرها وجمالها من خلال تقسيم المسؤولية بينهما وهو ما يشعرها بالارتياح النفسي وعدم الإحساس بالضغط والتوتر.

وقالت إنه كلما اهتم الرجل بزوجته كلما اهتمت بنفسها لإرضائه، على عكس المرأة التي يهملها زوجها ويلقي بالمسؤولية كاملة عليها فتجد نفسها في دوامة كبيرة من المشاغل، وهو ما يؤثر على نفسيتها بشكل سلبي ويجعلها تتعمد إهمال نفسها.

الأسرة المعاصرة على درب الاستقلالية المادية والمعنوية

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ تكوين أسرة جديدة في مجتمعاتنا الحديثة من الأمور العصية على التنفيذ في ظل العراقيل والصعوبات التي تعترض الشبان والشابات المقبلين على الزواج، وذلك لأمرين على الأقل؛ أولهما صعوبة توفير الاعتمادات المالية لإتمام مشروع الزواج في ظلّ التحولات العميقة التي شهدتها تركيبة المجتمعات والأسر الحديثة. وثانيا اضمحلال مفهوم الأسرة التقليدية بمقاييسها الشاملة والجامعة.

الأسرة كغيرها من المكونات الاجتماعية والحضارية لم تسلم من رياح التغيير العاصفة التي هبّت على البشرية في النصف الثاني من القرن العشرين ومستهل القرن الحادي والعشرين. المنتجات العلمية والتقنية سرّعت الحياة وقوّضت ثوابتها المعرفية والمادية، مما انعكس على بنية الأسرة التي فقدت مقوّماتها التقليدية التي كانت راسخة لقرون من الزمن.

كانت الأسرة في ما مضى سقفا يجمع ثلاثة أجيال؛ الأجداد والآباء والأحفاد، حيث كانت تخضع في تركيبتها لنظام هرمي قائم على الترابط والتماهي، نفسيا وماديا وفكريا وقيميا، بين جميع أفرادها. فالأسرة التقليدية توسم بأنها متماسكة، موحدة الأهداف والغايات والموارد المالية. الكل يعمل من أجل المجموعة، لا أنانية ولا انتهازية ولا استئثار، تنتفي الذاتية بكل مظاهرها، وكأني بهذا النمط من التركيبة الأسرية يختزل "المقومات القبلية" التي لا تعترف إلا بالجماعة ككتلة موحدة ومستقرة وفق نظام هرمي لا يعترف بالفرد إلا في إطار ما يقدمه للمجموعة.

التحولات الحضارية الناتجة عن تطور نسق الحياة وتعدد الاهتمامات والمشاغل وتنوع المتطلبات النفسية والمادية، كلها عوامل ساهمت في تقويض النظام الأسري التقليدي الشامل والمنغلق، وأرست نظاما أسريا جديدا ينزع نحو الاستقلالية والذاتية. ولكن هذا الشكل على قدر ما ساهم في إكساب الأسرة استقلاليتها المالية والنفسية والعاطفية على قدر ما ساهم في إثقال كاهلها لكثرة ما يتطلبه العيش في أسرة قليلة العدد، وفي ظروف مادية صعبة.

المعيقات عديدة ولعل أبرزها توفير ما يلزم من مال لتكوين أسرة، فالشاب يخوض معركة فعلية شبيهة جدا بما كان يجري في ساحات الوغى من كرّ وفرّ. كل الشبان والشابات المنتمين إلى الطبقات الاجتماعية المتوسطة والفقيرة يلاقون الويلات من أجل توفير المال الكافي لإقامة حفل زفاف ومن ثمة تكوين أسرة.

تبدأ الرحلة من البحث عن مصادر التمويل وطابور الانتظار والبيروقراطية الفجة، إذا كان الممول أحد البنوك التي تشترط بقوانينها ونظمها ارتهان الشاب لسنوات ليسدّد أصل الدين والفوائض التي تجعل المبلغ المتحصل عليه يتضاعف. أما إذا كان الشاب يمتهن الأعمال الحرة أو لدى الخواص ولا يمكنه التمتع بالقروض، فإن المسكين يشقى لأجل توفير المبلغ المطلوب ويحرم نفسه لسنوات من كل الكماليات ويعيش على الكفاف.

رحلة الشقاء والعناء تتواصل من أجل تأجير البيت الذي سيكون عش الزوجية، ويصعب الأمر ويتشعب خاصة في المدن الكبيرة المكتظة والمزدحمة ولا بد من الاستعانة بـ"سمسار"، وإذا وُجد المحل بعد بحث مضن، فيجب توفير مبلغ التسويغ الذي شهد ارتفاعا مهولا في ظل ندرة المحلات المعدة للكراء واضطرار المسوّغين. ثمّ يقع تأمين ضعفي مبلغ التسويغ كضمان لإصلاح ما أتلف من المنزل عند الخروج أو المغادرة.

أما العقبة التالية فتتمثل في شراء حليّ الزوجة باهظ الثمن وفي تأثيث البيت بعد كرائه، وللزوجة رأي يجب أن يحترم في الموضوع، وعليه يضطر أغلب المقبلين على الزواج إلى اللجوء للشراء بـ"التقسيط" ويتضاعف بذلك الثمن الأصلي للشراء.

في ما يخص مصاريف إقامة حفل الزفاف فلا يمكن لأيّ أحد تحديد المقدار المالي الضروري لذلك ولا يمكن لأيّ دراسة ما قبلية أن تحدد جميع المصاريف بدقة لأن المفاجآت كثيرة وغير منتظرة، ولا يسلم الأمر أحيانا من المشادات الكلامية والمشاحنات بين عائلتي المتزوجين لأتفه الأسباب.

وبقراءة نقدية لتركيبة الأسرة التقليدية أو الحديثة نستنتج أنه رغم الفوارق والاختلافات إلا أن كلا النموذجين لا يخلوان من إيجابيات وسلبيات، فالنمط التقليدي من ميزاته الحفاظ على تماسك الأسرة وتوطيد العلاقات بين أفرادها والتضحية في سبيل المجموعة والتعاون والتآزر للقيام بالأعمال الجماعية وتقاسم الأفراح والأتراح. أما ما يعاب على هذا النموذج أنه يطمس ذاتية الفرد ويجعله مرتهنا لقرارات المجموعة ما يؤثر سلبا على الخصوصية ويحدّ من المبادرة الشخصية. أما النمط المعاصر للأسرة فكان نتاجا منطقيا لطبيعة الحياة اليومية. فالنمط الحديث للأسرة أكسب أفرادها الاستقلالية والتعويل على الذات وتحمّل المسؤولية، ولكن الأمر لا يستقيم إلا إذا تشارك الزوجان في توفير المصادر المالية لتغطية المتطلبات المادية للعيش اليومي، ولا يتمّ ذلك إلا إذا ضحى الأبوان واجتهدا كثيرا من أجل إسعاد أبنائهما الذين لا يتجاوز عددهم في أغلب الأحيان طفلين أو ثلاثة. ومن المساوئ أيضا أن حديثي الزواج لا يجدان من يؤطر حياتهما في بدايتها فيرتكبان الحماقات والأخطاء، لنقص الخبرة وعدم القدرة على التعايش السلمي المشترك، فيواجهان صعوبات في التواصل ما قد يقودهما إلى الطلاق أحيانا.

عموما ليس غريبا أن تتغير تركيبة الأسرة والأكيد أيضا أن هناك صعوبات جمّة تعترض طريقها ولكن الحلول لتجاوزها متوفرة طالما اهتدى الزوجان الجديدان إلى ضرورة التعاون دون اعتبار للفوارق الجنسية المزعومة بين الرجل والمرأة.

طبق اليوم

لحم الخروف مع الجزر والفطر

* **المقادير:**

- 500 غرام لحم الخروف أو لحم عجل، بدون دهن، مقطع مكعبات.
- حبة بصل مفروم.
- 3 فصوص ثوم مهروس.
- كوب مرق اللحم أو مرق الخضار.
- ملعقة كبيرة الزيت النباتي.
- ملعقة صغيرة ملح ونصف ملعقة فلفل أسود.
- 4 حبات جزر مقشرة ومقطعة حلقات أو مكعبات.
- كوبان فطر مقطع.
- ملعقة كبيرة من السمن.
- ملعقة صغيرة أعشاب مجففة.

* **طريقة الإعداد:**

- يسخن الفرن على حرارة 250 درجة. وتتبل مكعبات اللحم بالملح والفلفل.ويسخن الزيت في مقلاة واسعة على حرارة متوسطة إلى عالية. ثم تضاف مكعبات اللحم للزيت وتقلب حتى تحمر. ويضاف البصل المفروم والثوم المهروس للحم ويقلب لمدة دقيقتين. ثم يضاف المرق ويغطى القدر ويترك على نار هادئة لمدة 3 ساعات.
- يخلط الجزر والفطر والملح والفلفل ويضع في طبق الفرن ثم يضاف السمن، ويضاف اللحم المسلوق مع القليل من المرق للخضار ويغطى الطبق بورق القصدير ويدخل للفرن لمدة 30 دقيقة. بعد ذلك يزال ورق القصدير ويحمّر وجه الطبق ويقدم ساخنا إلى جانب الأرز أو السلطة.

موضة

أزياء تؤمّن للمرأة الحرية والأناقة والسعادة

❏ سيطر اللون الرمادي على مجموعة المصمم اللبناني زهير مراد للحياكة الراقية خريف 2018 التي قدّمها مؤخرا ضمن فعاليات أسبوع باريس للموضة.

استوحى المصمم اللبناني إطلالات مجموعته الـ53 من شخصيّة "فتاة جيبسون" الأميركية للرسام تشارلز دانا جيبسون، التي كانت رمزاً للمرأة الجميلة والمستقلّة في بداية القرن الماضي. فجمعت أزياء السهرات والمناسبات بين التصاميم الجريئة والترصيعات الأثيرية. كما سيطر الطابع الرومانسي على جميع الإطلالات، وحولت لعبة الشفافية أجسام العارضات إلى لوحات فنيّة رسمت عليها الزخارف والخطوط والقصّات وحوّلت الخامات إلى تصاميم أسطورية فاخرة.

وخيم الرمادي على حوالي نصف تصاميم المجموعة، كما أنها تضمّنت ألواناً كلاسيكية وحياديّة أخرى منها الأبيض والأسود والذهبي والزهري والبنفسجي.

وركز مراد بشكل أساسي على الجمع بين الخامات الثقيلة والخفيفة في التصميم نفسه واستعان بالريش لإضفاء المزيد من الحيوية على الفساتين. رافق "الكاب" العديد من التصاميم مضيفاً المزيد من الفخامة على أثواب السهرات.

مانشستر يونايتد يتسلح بـ«خلطة» مورينيو الساحرة

الأضواء مسلطة بشكل كبير على لوكاكو

يضع نادي مانشستر يونايتد الإنكليزي لكرة القدم ثقته في مدربه البرتغالي جوزيه مورينيو الذي عزز تشكيلته هذا الصيف بعد موسم أول نجح فيه أوروبيا، آملا في أن يحقق نجاحه "التقليدي" في الموسم الثاني.

❑ **لندن** – قاد جوزيه مورينيو، المدرب السابق لتشيلسي الإنكليزي وريال مدريد الإسباني، نادي "الشياطين الحمر" إلى لقب كأس الرابطة المحلية والدوري الأوروبي "يوروبا ليغ" للمرة الأولى، ما أتاح له المشاركة في دوري الأبطال الموسم المقبل، بغض النظر عن ترتيبه في الدوري الممتاز حيث حل سادسا. ويعول يونايتد على أن يتمكن مورينيو من تكرار تجاربه السابقة، إذ أحرز الدوري المحلي مع خمسة فرق في الأعوام الأخيرة، وذلك في الموسم الثاني له على رأس جهازها الفني: بورتو البرتغالي، تشيلسي الإنكليزي (مرتين)، إنتر ميلان الإيطالي، وريال مدريد الإسباني.

وقال المدرب البرتغالي في تصريحات مؤخرا "هل يمكننا القيام بذلك؟ نعم يمكننا ذلك، لكن ربما لن نفعل"، في إشارة إلى محاولة إحراز لقب الدوري للمرة الأولى منذ 2013.

وأضاف "كل شيء جيد وقوي، إلا أن بعضها (الأندية الأخرى) قوية جدا (...) لذا سيكون الأمر صعبا"، متابعا "عادة ما يكون الموسم الثاني أفضل من الموسم الأول لأنك تعرف النادي واللاعبين. اللاعبون يعرفونك (...) النادي يعرف أنك قادر على التأثير إيجابا". إلا أن مورينيو ترك هامشا للمناورة باعتباره أن "هذه هي كرة القدم الحديثة. الأمور تصبح أصعب بالنسبة إلى الجميع، لذلك لا نعرف".

ويبدأ مورينيو موسمه الثاني مع يونايتد بفريق مدعم بشكل جيد وإيمان حقيقي بقدرته على المنافسة بقوة على لقب البطولة. وتتمثل الأنباء السيئة لمنافسي مورينيو في أن المدرب المثير دائما للجدل، توج بلقب الدوري في موسمه الثاني مع الأندية الخمسة الأخيرة التي تولّى تدريبها، وهي بورتو البرتغالي وتشيلسي الإنكليزي وريال مدريد الإسباني وإنتر الإيطالي، ثم تشيلسي مرة أخرى.

وعانى مورينيو كثيرا خلال موسمه الأول مع مانشستر يونايتد الذي حصل على المركز السادس في ترتيب الدوري الإنكليزي، لكنه قاد الفريق في النهاية للتتويج بلقب الدوري الأوروبي (يوروبا ليغ)، ليحصل على مقعد مباشر في مرحلة المجموعات ببطولة دوري أبطال أوروبا في الموسم الجديد. وأنفقت إدارة يونايتد 145 مليون جنيه إسترليني (189 مليون دولار) للتعاقد مع ثلاثة لاعبين. وللمرة الأولى يستهل مورينيو الموسم والابتسامة تعلو وجهه. وقال المدرب البرتغالي "إنني سعيد للغاية أن أكون مدربا لهؤلاء الفتية". وأوضح "قلت لهم قبل بضعة أيام، أثناء مسيرتي الطويلة لم تكن لديّ مطلقا مجموعة من اللاعبين أحببتها بنفس درجة الحب التي أكنها لهم الآن".

وتابع مورينيو "أشعر بالسعادة حقا بالتواجد معهم. إنني ذاهب للقتال برفقتهم طوال الطريق، لذلك دعونا نمضي... إن أولد ترافورد (معقل الفريق) ينتظرنا. أعتقد أن لديه سببا ليقف بجوارنا". المثير للدهشة، أن يونايتد كان يعاني من المشاكل في أولد ترافورد خلال مشواره ببطولة الدوري الموسم الماضي، فرغم أنه لم يخسر سوى مباراة وحيدة، لكنه تعادل في عشرة لقاءات خلال 19 مواجهة خاضها في معقله، فيما سجل لاعبوه 26 هدفا فقط، ليصبح أضعف الفرق الستة الأولى في ترتيب المسابقة هجوميا على ملعبه. وبعد سماح مورينيو لـ"الفتى الذهبي" واين روني بالرحيل إلى إيفرتون، فإن المدرب البرتغالي يعتقد أن لوكاكو بإمكانه جعل الفريق أكثر تهديدا للمرمى. وأشار مورينيو "إنني سعيد بتجانس لوكاكو السريع مع هذه المجموعة الرائعة".

ورغم ذلك فإن التأثير الأكبر على الفريق ربما يتمثل في التعاقد مع ماتيتش الذي

> على عكس المعتاد دائما، يشعر البرتغالي جوزيه مورينيو مدرب فريق مانشستر يونايتد بالسعادة حاليا وهو ما قد يثير المشاكل بالنسبة إلى بقية الأندية المنافسة في الدوري الإنكليزي

أرقام جديد تعزز كتيبة «الشياطين الحمر»

لعب دورا هاما في قيادة تشيلسي للفوز بلقب البطولة قبل ثلاثة أعوام تحت قيادة مورينيو، قبل أن يحصل اللاعب على اللقب مرة أخرى الموسم الماضي مع مدرب الفريق اللندني الحالي الإيطالي أنطونيو كونتي. وبالتعاقد مع ماتيتش مقابل 40 مليون جنيه إسترليني، فإن اللاعب الصربي في طريقه ليكون صفقة رابحة للغاية، إذا كانت لديه القدرة على إحداث الفارق في منتصف الملعب مثلما كان يؤدي هذا الدور مع تشيلسي.

وقال مورينيو "أعتقد أنه لعب بشكل جيد حقا أمام الريال. كان أداؤه جيدا عندما كانوا يستحوذون على الكرة، وفي فترات سيطرتنا على المباراة كان ينقل الكرة ببساطة مثلما كنا نطلب منه، ونجح في خلق التوازن المطلوب وبدء الهجمات من الخلف". وتابع المدرب البرتغالي " لديه خبرة على أعلى مستوى ويتحلى بالهدوء والثبات". وألمح مورينيو إلى أنه من المرجّح أن تتّسم خططه الدفاعية بالمرونة، بالإضافة إلى إمكانية التحول من طريقة 4–4–2 المعتادة، إلى 3–5–2 إذا اقتضى الأمر. وكشف مورينيو "تلعب الكثير من الفرق بثلاثة لاعبين في القلب بالإضافة إلى ظهيري جنب، ولعبنا بتلك الطريقة خلال استعداداتنا للموسم الجديد أمام سامبدوريا الإيطالي ولوس أنجلس جالاكسي الأميركي، ربما نلجأ لهذه الطريقة في بعض اللقاءات خلال الموسم".

وشدد مورينيو على شعوره بالسعادة رغم الخسارة أمام الريال، حيث قال "إنني سعيد بالفعل، رغم أننا خسرنا مباراة وفقدنا لقبا، لكننا لم نخسر الموسم". وأكد مورينيو "إن الموسم حان الآن، ولكن البريميرليغ سيبدأ عندما نواجه ويستهام يونايتد. نحن أفضل الآن ممّا كنا عليه في الموسم الماضي عندما حصدنا لقب الدوري الأوروبي".

أطول تشكيلة

نشط يونايتد في سوق الانتقالات الصيفية الحالية متبعا الخطط البراغماتية لمورينيو التي دفعت إلى ضم المهاجم البلجيكي روميلو لوكاكو من إيفرتون الإنكليزي في صفقة قياسية بين الأندية الإنكليزية، والمدافع السويدي فيكتور ليندلوف من بنفيكا البرتغالي، ولاعب خط الوسط الصربي نيمانيا ماتيتش من تشيلسي.

وبانضمام الثلاثة الذين يفوق طول كل واحد منهم الـ183 سنتمترا، بات يونايتد يتمتع بثاني "أطول" تشكيلة في الدوري بعد وست بروميتش ألبيون. وستكون الأضواء مسلطة بشكل كبير على لوكاكو القادم بموجب صفقة قياسية لملء فراغ السويدي زلاتان إبراهيموفيتش الذي لم يجدّد يونايتد عقده بعد تعرضه لإصابة حادة في الركبة.

وسجل لوكاكو (24 عاما) 87 هدفا لإيفرتون في أربعة مواسم، ويبدو الحمل ثقيلا على كتفيه لتعزيز خط هجوم يونايتد الذي اكتفى بتسجيل 54 هدفا في الدوري الإنكليزي الموسم الماضي، منها 17 للسويدي إبراهيموفيتش. وقال لوكاكو "أنا هنا

> مارسيال (21 عاما) سيكون أمام منافسة حادة على مركزه من قبل أكثر من لاعب يمكن أن يؤدوا دورا مماثلا، لا سيما لوكاكو والأرمني هنريك مخيتاريان والإسباني خوان ماتا وجيسي لينغارد

لتسجيل الأهداف وأكون محور الفريق (...) في مانشستر يونايتد نلعب من أجل الفوز، وهذه هي الذهنية عندما أدخل الملعب. انتظرت طويلا هذه الفرصة. أنا هنا الآن وحان وقت العمل الجاد، وآمل في أن أحقق المطلوب".

وإضافة إلى غياب إبراهيموفيتش، يخوض يونايتد الدوري هذا الموسم في غياب هدافه التاريخي واين روني العائد إلى ناديه إيفرتون، بينما سيكون الفرنسي بول بوغبا العائد إلى النادي في صيف العام 2016 قادما من يوفنتوس الإيطالي مقابل 105 ملايين يورو (رقم قياسي عالمي في حينه) تحت الضغط بعد أداء متفاوت في موسمه الأول. إلى ذلك يبدو مواطنه المهاجم أنطوني مارسيال أمام امتحان الفرصة الأخيرة بعد تراجع موقعه الرئيسي في التشكيلة الموسم الماضي وعدم منحه دورا أساسيا ضمن خطط مورينيو.

وسيكون مارسيال (21 عاما) أمام منافسة حادة على مركزه من قبل أكثر من لاعب يمكن أن يؤدّوا دورا مماثلا، لا سيما لوكاكو والأرمني هنريك مخيتاريان والإسباني خوان ماتا وجيسي لينغارد. ويتوقع أن يكون ماتيتش الذي لعب بإشراف مورينيو في تشيلسي وأحرز معه لقب الدوري الإنكليزي عام 2015 محور خط الوسط إلى جانب بوغبا والإسباني أندير هيريرا، بينما سيكون ليندلوف إلى جانب العاجي إيريك بايي، كقلبي الدفاع الأساسيين في التشكيلة الحمراء.

ويتوقع أن تكون المباريات الأولى في الموسم المقبل سهلة نسبيا لـ"الشياطين الحمر"، إذ أن أبرز موعد سيكون مع إيفرتون وعودة روني إلى أولد ترافورد بقميص الفريق الأزرق. إلا أن الأمر سيتبدل في أكتوبر ونوفمبر، في ظل لقاءات مرتقبة بمواجهة ليفربول وتوتنهام هوتسبر وتشيلسي خلال فترة لا تتعدى ثلاثة أسابيع، وستتزامن أيضا مع بدء مشاركته في دوري أبطال أوروبا. وفي بداية متعثرة لموسمه، خسر يونايتد أمام ريال مدريد الإسباني في مباراة كأس السوبر الأوروبية 1–2.

الوجوه الجديدة

لم يشكك أحد في أن الأندية المنافسة في الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم ستكسر الرقم القياسي السابق البالغ 1.2 مليار جنيه إسترليني (1.56 مليار دولار) للتعاقد مع لاعبين جدد في الموسم الجديد وكان ذلك يتوقف على مدى توافر الأموال وتحديد أسماء اللاعبين ووجهتهم المقبلة. ومع تضخم أسعار اللاعبين لعبت الاحتمالات دورا كبيرا. وكان من المحتمل أن ينضم روميلو لوكاكو إلى تشيلسي لكنه انتهى به الحال في مانشستر يونايتد مقابل 75 مليون جنيه (99.18 مليون دولار) وهي صفقة أدت إلى تحول اثنين من العناصر التي كان المدرب جوزيه مورينيو يضع عينه عليهما وهما ألكسندر لاكازيت وألفارو موراتا إلى أرسنال وتشيلسي على الترتيب.

وبدا أن بنيامين ميندي في طريقه إلى تشيلسي قبل أن يخطفه مانشستر سيتي مقابل 43 مليون جنيه بينما أصبح محمد صلاح، الذي باعه تشيلسي إلى روما، أغلى صفقة في تاريخ ليفربول مقابل 37 مليون جنيه إسترليني. ومن المبكر الحديث عن الفريق صاحب أفضل صفقات في أكثر سوق انتقالات جنونا لكن القليل من الوجوه الجديدة جاءت بسجل مرموق مثلما فعل زلاتان إبراهيموفيتش مع يونايتد في الصيف الماضي فيما جاء البعض الآخر بمقابل مبالغ فيه. وقضى موراتا، وهو ربما أكثر صفقة مثيرة للانتباه، أغلب فترات الموسم الماضي حبيسا لمقاعد بدلاء ريال مدريد وأشارت تقارير إلى أنه يفتقر للثقة بينما تعتمد سمعة ميندي على موسم واحد رائع مع موناكو.

بينما اعتبر كايل ووكر الظهير الجديد لسيتي بأنه يأتي في المرتبة الثانية خلف كيران تريبيير زميله السابق في توتنهام هوتسبير. ويبدو قرار المدرب بيب غواردیولا بإنفاق 200 مليون جنيه إسترليني على ضم خمسة لاعبين هو الأكثر دهشة لكن الأموال الطائلة تنفق في جميع الاتجاهات. وضم كل من إيفرتون وهدرسفيلد تاون الوافد الجديد تسعة لاعبين بينما كسرت أغلب الفرق المقابل المالي السابق لها لضم لاعبين جدد هذا الصيف.

وفعل برايتون أند هوف ألبيون ذلك ثلاث مرات الأولى عندما ضم الحارس الأسترالي ماثيو رايان ثم لاعب الوسط الهولندي ديفي بروبر وأخيرا الكولومبي خوسيه إيزكيردو من كلوب بروج. ويجسد قرار وست هام يونايتد فكرة التعاقدات قصيرة الأجل حيث دفع الفريق 36 مليون جنيه لضم أربعة لاعبين يبلغ مجموع عمرهم 119 عاما.

وكانت صفقة انتقال ماركو أرناوتوفيتش، الذي أحرز 22 هدفا في 125 مباراة مع ستوك سيتي لخمس سنوات، مقابل 19 مليون جنيه إسترليني هي الأغلى في وست هام. وعاد خافيير هرنانديز مهاجم يونايتد السابق إلى الدوري الإنكليزي بعد فترات في إسبانيا وألمانيا. كما يعود صلاح إلى الدوري الإنكليزي لكن مع ليفربول وترك انطباعا رائعا بتسجيل أربعة أهداف في المباريات الودية استعدادا لانطلاق الموسم.

وجاء لاكازيت إلى أرسنال وتسبقه سمعته الكبيرة بعدما هز الشباك أكثر من 20 مرة في كل من المواسم الثلاثة السابقة مع أولمبيك ليون الفرنسي. وعقدت مقارنات بينه وبين تييري هنري الذي أخذ بعض الوقت للتأقلم مع القوة البدنية في الدوري الإنكليزي حيث فشل في التسجيل في أول ثماني مباريات منذ وصوله من يوفنتوس. وأقر لاكازيت أن اللعب في الدوري الإنكليزي خطوة كبيرة في مسيرته. ولم يتكلف أرسنال أيّ مبلغ لضم البوسني سياد كولاشيناتس (24 عاما) بعد انتهاء عقده مع شالكه حيث اختير في فريق الدوري الألماني الموسم الماضي. والبوسنة واحدة من 105 دولة بعيدا عن بريطانيا مدت الدوري الإنكليزي باللاعبين منذ انطلاقه بالمسمى الجديد قبل 25 عاما.

الدوري الإنكليزي الممتاز: سوق الانتقالات الصيفية

حسام غالي يرحل عن الأهلي المصري بقلب معلق

«كابيتانو» الأزمات قادر على ضبط الإيقاع داخل فريقه الجديد النصر السعودي

نختلف أو نتفق حول حسام غالي قائد الأهلي المصري، فهذا ليس مهما، لكن الأهم أنه رغم عصبيته الزائدة فإنه يتمتع بجماهيرية طاغية منحته لقب "الكابيتانو"، كونه صاحب شخصية قيادية، فضلا عن أدائه المتميّز في مهام مركزه كلاعب ارتكاز قادر على ضبط إيقاع اللعب، لذلك أثار الإعلان عن رحيله أخيرا إلى النصر السعودي تساؤلا حول من سيسد فراغ غالي في الفريق؟

عماد أنور

❏ **القاهرة** – ستكون مباراة نهائي كأس مصر التي تجمع بين الأهلي والمصري البورسعيدي آخر ظهور لقائد الأهلي حسام غالي بقميص النادي، بعد أن اختار خوض تجربة احتراف قصيرة في نادي النصر السعودي.

وانتقل غالي إلى النصر "العالمي" في صفقة انتقال حر بعد انتهاء تعاقده مع الأهلي بنهاية الموسم الماضي، ويلعب لمدة موسم واحد مقابل 850 ألف دولار (أي ما يعادل نحو 16 مليون جنيه مصري)، ولم يكن الدوري السعودي غريبا على لاعب الأهلي، فقد سبق أن خاض تجربة احتراف في النصر عام 2009.

ويؤكد هذا القرار أن المقابل المادي أغرى غالي بالعودة إلى النصر، فضلا على أن عودته جاءت برغبة شخصية من رئيس النادي فيصل بن تركي الذي أجرى اتصالا هاتفيا مع اللاعب ليقنعه بالعودة، لكن تلك العودة لم تلق قبولا لدى البرازيلي ريكاردو غوميز، المدير الفني للنصر.

ونقلت صحف سعودية أن إدارة النادي فرضت التعاقد مع اللاعب على غوميز، الذي يرغب في ضم لاعب ارتكاز صغير السن، وهو شرط لا يتوافر في قائد الأهلي (36 عاما)، كما علق غوميز أن اللاعب ظهر بأداء متواضع خلال بطولة الأندية العربية التي استضافتها مصر مؤخرا.

وربما يفكر غوميز في إبقاء غالي على دكة البدلاء وعدم الدفع به أساسيا، لكن عمليا لم يكن عامل السن عائقا أمام لاعب يتمتع بشخصية عنيدة ومثابرة مثل غالي.

ويحرص "الكابيتانو" دائما على أن يظهر في حالة بدنية جيّدة، تقلل الفجوة مع اللاعبين صغار السن، وخاض عدة مباريات لفت خلالها انتباه المتابعين، ومن المؤكد أن الحديث عن عامل السن، لن يزيد غالي إلا إصرارا وسيقاتل من أجل محو هذه الفكرة، لكن الأهم من ذلك وما يعزز مشاركته هو الجماهيرية العريضة التي يتمتع بها بين مشجعي النصر.

وفنيا يعي غالي المولود في محافظة كفر الشيخ في دلتا مصر، إمكاناته جيدا، حتى وإن عاب عليه البطء في نقل التمريرات وكثرة الاحتفاظ بالكرة، فإنه يحافظ على المسافة بينه وبين اللاعب المنافس، كي يتمكن من اقتناص الكرة دون أن يحقق فارق السرعة الأفضلية لمنافسه.

وأثارت الإمكانات التي يتمتع بها اللاعب تساؤلا حول من يسد الفراغ الذي سيتركه في منطقة وسط ملعب الأهلي، حتى وإن توافرت في أي لاعب بمواصفات فنية وبدنية عالية، ربما لن تسعفه في أن يكون ذهنه حاضرا لأداء مهام متعددة، وهنا يأتي تعاقد الأهلي مع اللاعب هشام محمد ليؤدي نفس الدور.

> مباراة نهائي كأس مصر بين الأهلي والمصري البورسعيدي ستكون آخر ظهور لقائد الأهلي حسام غالي بقميص النادي قبل انتقاله لتعزيز صفوف النصر السعودي

ورغم ما أثير من لغط حول تجديد إدارة الأهلي عقدي حسام غالي، ومعه الصديق المقرّب عماد متعب مهاجم الفريق، والذي سيحمل شارة الكابتن بعد رحيل "الكابيتانو"، إلا أن مدير الكرة بالأهلي سيد عبدالحفيظ، أعلن حاجة الفريق إلى جهود اللاعب وأن رحيله يعني خسارة كبيرة.

واعتبر البعض أن اللاعب فضّل أموال النصر على مصلحة الأهلي، وهو فعليا ما يعبّر عن رغبة اللاعب في تأمين مستقبله، على حد قوله، خصوصا وأنه لم يعد له في الملاعب سوى موسم أو اثنين، لكن المنطق يفسّر رغبة غالي في الرحيل بعد قرار المدير الفني للأهلي حسام البدري إبقاءه على مقاعد البدلاء.

وقالت الجماهير إن غالي تعمّد عدم تفعيل تعاقده بعد التجديد مع الأهلي لوجود مفاوضات مع النادي السعودي، وقرّر اللاعب تعليق الاتفاق مع الأهلي حتى يصل إلى عرض مادي مناسب مع إدارة النصر.

وأضحى مؤكدا أن يحزم غالي حقائبه للرحيل إلى السعودية، لكن من المؤكد كذلك أنه لن يرحل عن قلوب وأذهان جماهير الأهلي التي عشقته بسبب عشقه لقميص النادي الذي ارتداه للمرة الأولى في مرحلة الناشئين وكان عمره 13 عاما، ومنذ ذلك الوقت وهو دائم الحرص على الفوز وإظهار أداء بطولي داخل المستطيل الأخضر إلى أن تم تصعيده إلى الفريق الأول عام 2001.

وعشق جماهير الأهلي لأي لاعب يرتبط بأمرين أولهما، يتمثل في كلمة السرّ "ابن النادي"، والتي تطلق على من بدأوا حياتهم الكروية بين جدران الأهلي مثل حسام غالي وعماد متعب وحسام عاشور.

ورغم أن غالي بدأ فعليا حياته في صفوف الناشئين بنادي بيلا بمحافظة كفر الشيخ، فإن جماهير الأهلي تعتبره واحدا من أبناء النادي لوجوده منذ أن كان ناشئا، وهنا يكمن سرّ عشق الجماهير لهذه النوعية من اللاعبين.

أما النوعية الثانية فتتمثل في اللاعبين من غير أبناء النادي، لكنهم يتمتعون بأداء ومهارة نادرة وقادرون على تحقيق الفوز في أصعب الظروف، وأبرزهم محمد أبوتريكة ومحمد بركات، وحاليا عبدالله السعيد، لكن إذا جمع لاعب واحد بين الأداء والانتماء صار أيقونة تتغنى بها الجماهير.

ويظل غالي في نظر جماهير الأهلي "الكابيتانو" رغم الأزمات المتعددة التي ارتبط بها اسمه، حتى عندما سحبت منه شارة القيادة في فترة سابقة بسبب خلافات مع المدير الفني.

ومع ذلك، فاحتمال أن يكون هذا الموسم هو الأخير في مشوار اللاعب وضعه أمام سهام النقد، فقد عزّ على البعض أن ينهي غالي مشواره بعيدا عن جدران النادي، رغم عدم إقامة مباريات اعتزال للاعبين المصريين منذ فترة طويلة، حتى أن لاعبين في نجومية حازم إمام وحسام حسن لم تقم لهم مباريات تكريم.

وعلمت "العرب" من مصدر مقرب إلى اللاعب، أنه ينوي تجديد عقده مع الأهلي كي يعود له بعد انقضاء الموسم مع النصر ليعلن اعتزاله بين جدران النادي، ويراه البعض الشخص المناسب ليكون من ضمن أعضاء مجلس الإدارة، بينما يرى آخرون أنه سيحقق نجاحا ملفتا في منصب مدير الكرة بعد الاعتزال.

وجهة معروفة

وبالفعل فإن شعبية غالي الطاغية دفعت محمود الخطيب "بيبو" إلى أن يعرض على اللاعب خوض انتخابات مجلس الإدارة المقبلة على قائمته، لأنه يتمتع بشخصية قيادية حاسمة تضعه بعد سنوات من الخبرة ضمن تلامذة حسن حمدي والراحل صالح سليم.

أفق أرحب أمام محرز

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❏ لعل التاريخ سيحفظ بلا شك ما حققه اللاعب الجزائري رياض محرز الذي قاد برفقة زمرة من اللاعبين كانوا متقدين حماسا فريق ليستر سيتي إلى معانقة اللقب الغالي في الدوري الإنكليزي الممتاز في إنجاز أسطوري وخرافي يشبه المعجزة، خاصة وأن هذا الفريق المغمور تغلب على كل المنافسين وكتب تاريخا جديدا في فصول الكرة الإنكليزية.

وفي ذلك الموسم عانق هذا الفتى الجزائري قمة المجد وبلغ عنان السماء بفضل تألقه اللافت وأهدافه الرائعة وتمريراته المتقنة التي سحر بها كل متابعي الدوري الإنكليزي، فساعد في تحقيق اللقب الغالي ثم دوّن اسمه بأحرف من ذهب بعد أن بات أول عربي ينال شرف التتويج بلقب أفضل لاعب في هذا الدوري العريق.

لقد حقق محرز كل ما يتمناه أي لاعب قادم من فريق صغير، إذ نجح في شق طريقه نحو العالمية وأصبح في أعقاب ذلك الموسم الاستثنائي والتاريخي أحد أبرز نجوم اللعبة في العالم، إلى درجة أن قميصه رقم 26 مع ليستر أصبح من بين أكثر القمصان مبيعا في العالم.

نال محرز كل عبارات الإشادة والتنويه من الجميع، وأكد في تلك الفترة أنه لاعب قادر على مقارعة أبرز نجوم الكرة في أوروبا، وفي خضم هذا النجاح الباهر والساحر ارتفع سعره وقيمته التسويقية في بورصة أبرز اللاعبين لتصل إلى حوالي 30 مليون يورو، لكن رغم ذلك تهاطلت عليه العروض فطلبت وده عدة أندية بارزة سواء في إنكلترا أو أوروبا، فأرسنال مثلا لهث وراءه طويلا في الصائفة الماضية وبرشلونة فكر في التعاقد معه، بل وكان ضمن مخططات المدرب السابق للفريق الإسباني لويس إنريكي.

كانت كل الأبواب مفتوحة أمامه للخروج من معقل "ثعالب" ليستر وخوض تجربة جديدة أكثر إثارة ومتعة.

غير أن إدارة ليستر التي كانت تخطط لتحقيق نجاحات جديدة ومبهرة في الموسم الموالي أوصدت هذه الأبواب وصدّت كل الطامحين والطامعين في التعاقد مع محرز، كان أمل هذه الإدارة أن يواصل الدولي الجزائري إبداعاته ويقود الفريق من جديد إلى إنجازات "ثورية" في عالم الساحرة المستديرة.

هذا القرار فرض على النجم المدلل ومعبود جماهير نادي ليستر البقاء والاستمرار لموسم آخر، وربما آمن رياض محرز من جانبه بأن المشروع السامي والطموح لفريقه قد يكتب له أن يتحقق مادامت كل الظروف في بداية ذلك الموسم مواتية.

لكن لعدة أسباب بدأت الأمور تسوء يوما بعد يوم وأسبوعا إثر أسبوع، فالضغط الكبير المسلط على الفريق والاستعداد الجيد لبقية الفرق المنافسة لمواجهة زحف ليستر من ناحية أخرى وخروج بعض اللاعبين المؤثرين من الفريق على غرار الفرنسي كانتي، كانت عوامل أدت إلى تراجع مستوى الفريق ونتائجه، وحتى محرز لم يجد بسهولة ثوابته ونقاط قوته في موسم كان مخيّبا نسبيا.

ليستر الذي صنع المعجزة موسم 2015ـ2016، صارع من أجل البقاء في الموسم الموالي وكاد يفقد مكانه في دوري الأضواء ليدفع مدربه السابق الإيطالي كلاوديو رانييري الثمن بعد أن تمت إقالته، ورغم بعض النجاح النسبي في أول مشاركة ضمن مسابقة دوري الأبطال إلا أن الفريق ظل يراوح مكانه وبقي معه محرز في "دوامة" لم يكن من السهل الخروج منها رغم اجتهاده في عدة مباريات ومواعيد هامة.

ومع نهاية الموسم المنقضي وبدء التحضير للموسم الجديد، أدرك محرز صاحب السادسة والعشرين ربيعا أن الوقت ربما قد حان للانطلاق نحو أفق أرحب وفريق أقوى لديه من الطموحات والأهداف ما يخول له استعادة سالف عنفوانه من جديد.

لقد فكر محرز طويلا وأعلم إدارة ناديه ليستر سيتي بأنه يرغب في الرحيل، لقد أعلمها بأنه لن يكون بمقدوره مستقبلا تقديم أي إضافة، لقد ضاقت أمامه السبل والأفق مع هذا الفريق وهو بحاجة لـ"دماء جديدة" تضخ في عقله وقدمه اليسرى الساحرة كي ينطلق من جديد.

هذه الرغبة الشديدة قابلتها بعض العروض أبرزها من نادي روما الإيطالي الذي سعى بشتى السبل إلى التعاقد مع بديل قوي وقادر على تعويض رحيل النجم المصري محمد صلاح إلى ليفربول، وكان محرز في مقدمة اللاعبين المطلوبين، بيد أن العرض المادي المقدم من الفريق الإيطالي لم يرض إدارة ليستر، الأمر الذي دفع بروما إلى صرف النظر مبدئيا عن التعاقد مع محرز.

ليبقى ذهن النجم الجزائري مشتتا، فهو لم يعد راضيا بوضعيته مع الفريق ولم يعد قادرا على البقاء لفترة أطول وفي الوقت ذاته لن يرضى بالذهاب إلى مكان آخر دون أن يحقق لفريقه الذي قدّمه للعالم مكسبا ماديا معتبرا، فاضطر مُكرها إلى مواصلة التدريبات مع ليستر، وشارك في مباراة الأسبوع الأول من الدوري الإنكليزي، لكنه رغم ذلك لم يغلق باب الخروج نهائيا.

محرز أصبح مستعدا لأي شيء، حتى وإن اضطر إلى طرق الأبواب بنفسه، وهو ما حصل فعلا بعد أن فتح باب التفاوض مع إدارة برشلونة الإسباني الباحث عن لاعب يكون قادرا على تعويض النجم البرازيلي نيمار، ويبدو أن الدولي الجزائري تفطن إلى أن الحكمة تتطلب الكثير من الجرأة، ومثلما تجرأ نيمار وقبل الخروج من فريق الأحلام البرشلوني من أجل خوض تحد جديد، فإنه تجرأ بدوره وطلب ود برشلونة من أجل تحد جديد وحلم قد يطير به في أفق أرحب بكثير.

مونديال القوى: الولايات المتحدة تتصدر

❏ **لندن** – أثبتت الهولندية دافني شيبرز اختصاصها في سباق 200 متر بعد احتفاظها بلقبها الجمعة في بطولة العالم لألعاب القوى المقامة بلندن حتى الأحد، فيما فاجأت الأميركية إيما كوبورن المرشحات الكينيات في 3 آلاف متر موانع.

وانتهت مبارزة الأميركية بريتني ريس مع مواطنتها تيانا بارتوليتا في الوثب الطويل لمصلحة الأولى، فيما أصبح البولندي بافل فايديك أول رامي مطرقة يحرز ثلاث ذهبيات.

ورفعت الولايات المتحدة رصيدها إلى 8 ذهبيات بفارق كبير عن كينيا (3) وبولندا وجنوب أفريقيا (2).

وسجلت شيبرز، حاملة فضية أولمبياد ريو، 22:05 ثانية أمام العاجية ماري-جوزيه تا لو (22:08 ث) وشوناي ميلر من باهاماس (22:15 ث).

وفاجأت الأميركية إيما كوبورن، حاملة برونزية أولمبياد ريو، الأسطول الكيني وأحرزت ذهبية سباق 3 آلاف متر موانع، مسجلة 9:02:58 دقائق (رقم قياسي للبطولة) أمام مواطنتها كورتني فريريكس (9:03:77 د) والكينية هايفينغ كيينغ جيبكيموي حاملة اللقب وفضية أولمبياد ريو (9:04:03 د).

واكتفت البحرينية روث جيبيت حاملة الرقم العالمي وذهبية أولمبياد ريو دي جانيرو بالمركز الخامس. وكانت جيبيت (20 عاما)، الكينية الأصل، خطفت الأضواء الصيف الماضي بإحرازها ذهبية أولمبياد ريو، وحطمت بعدها بأسبوعين الرقم العالمي بفارق أكثر من 6 ثوان، مسجلة 8:52:78 د في لقاء باريس.

وحلت البحرينية الأخرى وينفريد موتيلي يافي في المركز الثامن (9:22:67 د) محققة أفضل أوقاتها.

وغابت عن المسابقة التونسية حبيبة الغريبي، حاملة ذهبية دايغو 2011 وفضية بكين 2015 وأولمبياد لندن 2012، بسبب الإصابة.

وفي الوثب الطويل أحرزت الأميركية بريتني ريس الذهبية للمرة الرابعة في مسيرتها بعد 2009 و2011 و2013 (رقم قياسي).

وأصبح البولندي بافل فايديك (28 عاما) أول من يحرز لقب رمي المطرقة ثلاث مرات بعد 2013 و2015.

وسجل فايديك 79.81 مترا، متقدما على الروسي فاليري برونكين (78.16 م) الذي لعب تحت علم محايد بسبب إيقاف روسيا، والبولندي الآخر فويتشي نوفيتسكي (78.03 م).

وتأهل العداءان البحريني الصديق ميخو والمغربي فؤاد الكعام إلى نهائي سباق 1500 متر المقرر الأحد.

الجميع خلفي

مغربية تهب حياتها لرعاية القطط الشاردة

تعيش المغربية آسيا المؤذن كل يوم حكاية مختلفة مع القطط، حيث فتحت باب منزلها لإيواء عدد من هذه الحيوانات دون أن تهمل حاجة أعداد كبيرة منها توجد في الشارع إلى العناية، في ظل غياب الوعي أحيانا بضرورة حسن معاملة هذه الكائنات الأليفة.

مازالت للقطط قلوب ترعاها

❏ **طنجة (المغرب)** – انطلاقا من منزلها الكائن بزقاق ضيق في الحي العتيق بمدينة طنجة، أقصى شمال المغرب، تخصص آسيا المؤذن البالغة من العمر 61 سنة، حيّزا من يومها لرعاية القطط، عبر توفير الأكل والشراب والدواء للعشرات منها رغم ما يشكله ذلك من عبء ثقيل، خاصة وأن وضعيتها المادية قاسية، وفي ظل تزايد الحوادث والاعتداءات التي تتعرض لها هذه الحيوانات.

وتقول آسيا "منذ وعيت وأنا أميل إلى حب القطط"، وتضيف "إذا وجدت قطا مصابا حملته إلى بيتي لأعالجه، وإذا صادفت جائعا منها أسرع لتوفير الطعام والشراب له".

"أم الهرر" بهذا اللقب تعرف آسيا للدلالة على شهرتها بتربية القطط ورعايتها داخل منزلها وخارجه، وهي سعيدة بهذه التسمية.

ويوجد في منزل آسيا حاليا ما مجموعه 11 قطا، التقطتها من أماكن مختلفة وأغلبها كان في حالات سيئة، سواء نتيجة تعرضه لحوادث نجمت عنها كسور أو جروح أو اعتداءات من قبل بعض الأشخاص.

ولا تكتفي المؤذن برعاية هذا العدد من القطط، إذ تخرج صبيحة كل يوم تجر معها عربة صغيرة بها بعض الأطعمة والمأكولات لتوزعها على مجموعات من القطط المنتشرة في أزقة الحي الذي تقطنه والأحياء المجاورة قبل أن تعود إلى بيتها من أجل القيام بأغراضه الضرورية.

وتقول آسيا عن تجربتها اليومية مع تزويد هذه الحيوانات الأليفة بما تحتاجه من طعام وشراب "هذه القطط تتحسس مجيئي قبل أن أصل إلى المكان الذي هي فيه، إذ بمجرد أن أخرج من البيت أجد العشرات منها تتبعني في أزقة الحي".

وتضيف "أقدم لهذه القطط أطعمة متنوعة، حسب ما تسمح به طاقتي المالية، أرز وسمك وحليب (..)، فالقطط مثلنا تفضل أطعمة دون غيرها".

وتتابع "أحرص على توفير أنواع من الأدوية قدر المستطاع، تحسبا لمرض قط من هذه القطط".

وتبدي "أم الهرر"، من خلال حديثها، خبرة ملحوظة في التعامل مع مرض هذه القطط، إذ تلجأ إلى استعمال أدوية تقتنيها من الصيدليات أو منتوجات طبيعية على رأسها زيت الزيتون، الذي تستعمله في علاج مرض العيون الذي كثيرا ما يصيب هذه القطط.

وتوضح "أقوم بالمسح على عيون القط المصاب باستعمال زيت الزيتون بواسطة المنديل الورقي وليس القطن تفاديا لتأثيره على شعر جسمه". وإذا كانت القطط التي تؤويها "أم الهرر" في منزلها أو التي توفر لها ما تستطيع من عناية محظوظة بشكل كبير، فـ"هناك أعداد أكبر منها لا تجد من يحسن إليها، بل هناك من يتعمّد الإساءة إليها".

وبنبرة باكية، تضيف آسيا "هناك قطط تموت في الشارع جراء الجوع والبرد والمعاملة السيئة". وتستحضر هنا حالة قطة عثرت عليها في إحدى مقابر المدينة، وقد تعرضت للتعذيب.

وتنتقد بشدة سلوكات بعض الناس اتجاه هذه الحيوانات، مسجلة أن "البعض يستقدم قطة إلى منزله وعندما تمرض أو تنجب صغارا يقوم بالتخلص منها وتركها عرضة للخطر والجوع والعطش". وبالرغم من سعادتها وإحساسها بالقيام ببعض من الواجب اتجاه القطط، فإن "أم الهرر"، تعترف بأن رعايتها لهذه الحيوانات تجعلها تحس بعبء مادي يفوق طاقتها في الكثير من الأحيان.

وتقول "لو نظرت إلى حالتي المادية ستجد أنني أعيش ببركة الله فقط (..)، فابني هو من يؤدي أقساط كراء ومتطلبات البيت الذي أسكنه، كما أستعين بمساعدات بعض المحسنين".

وتوجّه آسيا المؤذن نداء إلى كل الناس بضرورة الاهتمام بهذه الكائنات الأليفة، وتقول إنه "في حالة تضافر الجهود، فلن يكلف ذلك عبئا كبيرا على الجميع".

الساعات الفخمة تفقد شعبيتها في السودان

❏ **الخرطوم** – يعرف عن السودانيين حرصهم على ارتداء الساعات الفخمة، لكن هذا التقليد ربما في طريقه للاندثار، بفعل البدائل التي وفرتها التكنولوجيا.

وقبل عقود طويلة كانت ماركة الساعة التي يرتديها أحدهم في معصمه محل تباه، حتى في الأغاني الشعبية، ويكاد لا يخلو سوق رئيسي من قسم مخصص لبيع مختلف العلامات العالمية، إلاّ أن هذا الزخم تراجع خلال العقدين الماضيين، حيث باتت معرفة الوقت متاحة بعدة خيارات من الهواتف النقالة إلى شاشات التلفزيون.

واليوم، فإن شارع الجمهورية الواقع بوسط الخرطوم، وكان معقلا لهذه التجارة لم يعد به سوى عدد قليل من فترينات العرض الزجاجية وعدد أقل من فنيي الصيانة الذين يطلق على الواحد منهم شعبيا لقب "ساعاتي".

ويقر عثمان قرشي، الذي يعمل في بيع وصيانة الساعات منذ 49 سنة، بهذا التراجع، لكنه يجزم بأنه لا يزال يملك "الكثير من الزبائن".

ويشير قرشي إلى أن هناك "تراجعا كبيرا" في شراء الساعات الفخمة، مثل الرولكس، والأوميغا وزوديك لأن "ثمنها باهظ".

ويبلغ سعر ساعة الرولكس 45 ألف جنيه، أي ما يعادل 6 آلاف و716 دولارا أميركيا.

وبعد خمسة عقود من العمل في هذه المهنة التي ورثها من والده، وعلمته "احترام الزمن والأناقة"، لا يزال قرشي يحتفظ بزبائن يترددون عليه يوميا لصيانة ساعات ابتاعوها منه قبل سنوات طويلة.

ويتفاخر التاجر أن في طليعة زبائنه "أقطاب الأندية الرياضية والسياسيين والفنانين".

أما توماس يعقوب المتخصص في صيانة الساعات منذ 52 عاما، فإنه يحن إلى تلك العقود البعيدة، عندما كان المستعمر الإنكليزي يزيّن العاصمة بأربع ساعات كبيرة على شاكلة ساعة "بيغ بن" الشهيرة في لندن.

وعُلقت إحدى هذه الساعات على القصر الجمهوري الذي كان مقرا للحاكم العام قبل استقلال البلاد في 1956. ويضيف يعقوب "رغم سيطرة الساعات السويسرية لعقود طويلة، فإنها تزحزحت قليلا بدخول ماركات يابانية مثل أورينت وسيكو فايف".

ويعتقد الساعاتي أنه رغم توفر بدائل لمعرفة الوقت، إلا أنها "لم تؤثر بشكل كبير على اقتناء الساعات كجزء من الأناقة".

وللتأكيد على مكانة الساعة في المزاج الشعبي السوداني، يستشهد التاجر فيصل العوض بأن المصانع الأوروبية كانت تنتج ساعات مخصصة للسوق السوداني مثل "ساعة الجيب" المُخصصة في الغالب لكبار السن.

وبالمقابل لا يحبذ الطالب الجامعي أمير عبدالله اقتناء ساعة لأن هاتفه النقال "يغنيه عن ذلك". ويرى عبدالله أن ارتداء الساعة مرتبط إلى حد ما بأجيال بعينها و"لا مستقبل لها وسط الأجيال الناشئة".

وبالنسبة إلى التاجر قرشي فإن "الشباب انطباعيون وإحساسهم بالزمن معدوم، ومع ذلك فإن جزءا كبيرا منهم لديه ولع بالساعات".

تايلور سويفت تبكي براءتها

❏ **دنفر** – حققت المغنية الأميركية تيلور سويفت مكسبا في قضية اتهامها منسق الأغاني ديفيد مولر بالتحرش الجنسي، حين رفض القاضي دعوى مضادة رفعها مولر واتهمها فيها بالتسبّب بفصله ظلما من العمل.

ولم يتخذ القاضي وليام مارتينيز قرارا بشأن مزاعم اعتداء وهجوم أطلقتها سويفت ضد مولر، الذي يؤكد أن المغنية تتهمه زورا وأن إذاعة "كيه. واي. جي. أو" فصلته من وظيفته التي كان يتقاضى عنها 150 ألف دولار سنويا بعد ضغوط منها.

ولدى رفض الدعوى، الجمعة، انهمرت دموع الفرح من عيني سويفت الحائزة على جائزة غرامي وصاحبة الأغاني الناجحة مثل "فيرليس" و"آي نيو يو وير ترابل"، وعانقت أفراد فريقها القانوني وأفراد أسرتها.

ويأتي قرار المحكمة في خامس أيام محاكمة شهدت إدلاء سويفت (27 عاما) بشهادتها وقولها إن مولر (55 عاما) دسّ يده تحت ثوبها وأمسك بمؤخرتها قبل حفل لها عام 2013، ونفى مولر هذه المزاعم بعد أدائه القسم في المحكمة، مؤكدا أنه ربما حدث احتكاك دون عمد بسويفت جعله يمس ذراعها أو جذعها.

صباح العرب

عدلي صادق

الباطل راكبا

❏ تقول الحكاية الرمزية إن رجلا ركب حماره ليعبر الصحراء المقفرة، فصادف نقيضه الباطل في الطريق، وقد تقطعت به السُبل بلا مركوب، توسل الباطل الحق أن يحمله معه على ظهر الحمار.

رقّ قلب الحق، لكنه أشفق على حماره من حمل الاثنين معا، قال للباطل "تركب أنت الآن وأنا أمشي، ثم تنزل وأركب"، استراح الباطل على ظهر الحمار، وعندما نزل وجاء دوره للمشي، بدأ يضمر أمرا باطلا.

ترجّل الحق طوعا ودعا الباطل إلى الركوب، ولما جاء الدور المقرر للحق، لم يدعُ صاحب الحمار للركوب، فطلب الحق من شريك الرحلة أن ينزل، فأجابه "كيف أمشي والحمار لي؟".

امتد السجال بينهما دون فتح أي ثغرة في جدار الباطل الذي أصرّ على أن الحمار حماره وكان الانسداد. بدا الوهن على الحق الذي تضعضعت حجته وأعيته الحيلة، ولا شهود يؤيدونه وليس في وسعه أن يردع الباطل.

تكسّرت لغته وداخت من خضيض السجال، بل أحسّ الحق بالرغبة في التسليم، ولكن شتّان بين من يُسلِم ويستريح ومن يرضخ فيشقى وتُدمى روحه وقدماه، فإن عاند غريمه سيشقى أكثر.

ساورته نفسه أن يتوسله لكي يقطعا الصحراء معا بتناوب الركوب، ربما يكون قد لعن الحمار المشؤوم الذي أدخله في هذا السجال، وتمنى لو أن الرحلة بدأت مشيا على الأقدام، فمن لا يحمي نفسه يعجز عن حماية فحواه، فما بالنا بحماره.

اتفق الاثنان على الاحتكام إلى من يصادفهما وإلى حين ظهور هذا الذي يحكم بينهما، سيظل الباطل راكبا والحق يجرجر أقدامه.

عندما ظهر الذي سيحتكمان إليه، كان الحق قد بلغ ذروة القنوط وانعقد لسانه ولم يعد عقله قادرا على المشاركة في صياغة السؤال، فترك الصياغة للباطل "مَن هو الأجدر بأن يمشي في هذه الدنيا.. الحق أم الباطل؟، أجاب الحَكَمْ "الحق طبعا".

هنا، شدّ الباطل رَسَنَ الحمار في الوجهة الأخرى، وقال للحق "لقد أنْصَفك الحَكَم".

وقيل إن باطلا تحدى الحق يوما فقال له "إنّ عندي من الحيل ما أغطي به وجهك الحقيقي عن الناس"، أجابه الحق "وعندي من القوة ما أهتك به تغريرك بهم"، غضب الباطل وصاح "هَبْ أنك أقنعت الناس جميعا، هل تنسى أن سندي إبليس الباقي إلى يوم يُبعثون؟"، أجاب الحق بهدوء "لن أيأس مادامت للناس عقول تفكّر"، عاد الباطل فقال "أي ناس هؤلاء ناسك، حتى وإن ظفرت بمن يفكرون؟ فما أكثر الناس أيها الواهم وما أكثر نصيبي منهم!".